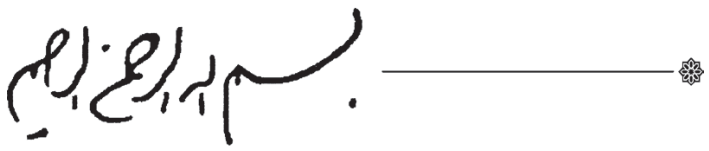
بسم الله الرحمن الرحيم

في مدرسة الرسول الأعظم (ص)

مختارات من كلمات قائد الثورة الإسلامية

آية الله العظمى السيد علي الخامنئي (مدّظله‌العالي)حول شخصية

رسول الإسلام الأعظم محمّد بن عبد الله (صلوات الله و سلامه عليه و آله) و بعثته و نهجه

مؤسسه ی پژوهشی فرهنگی

دفتر حفظ و نشر آثار حضرت آیت الله العظمی خامنه ای (مدظله)

الفهرس

الفهرس ٥
حول هذا الكتاب ١٣
المقدمة..... ١٥
الآثار البليغة لمعرفة أبعاد شخصية النبي الأكرم (ص) و سيرته ١٨
ضرورة العمل الواسع و الشامل لتعريف أبعاد شخصية الرسوم الأعظم (ص)... ١٩
أسلوب الرسول الأعظم (ص) في نشر القيم و الأخلاق الإسلامية في المجتمع.. ٢٠
نماذج من أسلوب الرسول (ص) لتوفير الأجواء الإسلامية في المجتمع ٢١
١ – إشاعة حسن الظن و اجتناب سوء الظن و التحامل..... ٢٢
إشارة إلى إشاعة حول إحدى نساء الرسول الأكرم (ص)..... ٢٣
الردّ القرآني الشديد على مروّجي الإشاعات و مستمعيها ٢٣
جزاء التهمة في الفقه الإسلامي..... ٢٤
٢ – تنمية الشعور المسؤولية لدى المسلمين بعضهم تجاه بعض..... ٢٦
عهد التآخي الذي أقامه الرسول الأكرم (ص) بين المسلمين ٢٨
٣ – الإفشاء العملي لروح التضحية و عرفان الجميل بين المسلمين ٢٨
بعثة الرسول الأكرم (ص) أهم أحداث التاريخ الإنساني و أكثرها تأثيراً ٣٠
أمران مهمّان في البعثة بالنسبة للمسلمين في الزمن الحاضر..... ٣١
١ – البعثة.. حقيقة طبيعية و حاسمة للإنسانية ٣١
٢ – اسم الرسول الأكرم (ص) و ذكراه و محبّته و إكرامه.. المحور الرئيس لوحدة كل المسلمين..... ٣٢
اقتران العاطفة و الإيمان في جاذبية اسم الرسول الأعظم (ص) و ذكراه..... ٣٣

نقطتان أساسيتان في قضية الوحدة بين المسلمين ٣٣
١ – التغلب على الخلافات و النزاعات الناجمة عن تحريضات الأعداء.....٣٤
٢ – توجيه وحدة المسلمين نحو سيادة الإسلام في المجتمع و العالم ٣٥
الإسلام وصفة علاج لكل عصور الحياة الإنسانية ٣٦
العودة لرسالة البعثة السبيل الوحيد لعلاج آلام المسلمين في العالم.....٣٨
التوحيد و العدالة.. هديتان معنويّتان من الرسول الأكرم (ص) للبشرية و كل الناس.....٣٩
أسبوع الوحدة.. تأكيد على تلبية حاجة البشرية إلى دعوة الرسول للتوحيد و العدل ٤١
٢ – إتمام مكارم الأخلاق ٤١
٣ – العدالة الاجتماعية.....٤٢
الإنسانية المعاصرة و حاجتها الماسّة لرسائل البعثة.....٤٣
أوجه أهمية ولادة النبي الأكرم (ص) لعصر البعثة و كل عصور التاريخ ٤٥
مقارنة ظروف العالم اليوم بظروفه في عصر البعثة.....٤٧
حبّ الرسول الأكرم (ص) محور الوحدة بين المسلمين في العالم.....٤٨
ظروف العالم في زمن البعثة.....٤٨
تناظر الظروف في العالم اليوم مع زمن البعثة من حيث الحاجة إلى سبيل الإسلام العقلاني المعنوي ٥٠
بعثة النبي الأكرم (ص) ينبوع كل الفضائل في العالم ٥٢
معايير الاختلاف بين عصر البعثة و العصر الجاهلي ٥٤
١ – التوحيد الخالص ٥٤
٢ – تحكيم العدل.....٥٥
٣ – مكارم الأخلاق ٥٦
٤ – عدم تحديد النظرات و الهمم بالحياة الدنيا ٥٧

أهمية الوحدة و ضرورة السعي الدؤوب لتحقيقها.....٥٧
خصوصيات أعداء الإسلام و الصحوة الإسلامية في العصر الراهن ٥٨
شخصية النبي الأكرم (ص) و تعاليمه.. محور الوحدة بين مسلمي العالم.....٦١
بعثة النبي الأكرم (ص) يوم ولادة أعظم المفاهيم و القيم و أشرفها.....٦٣
هدفان واضحان للبعثة:.....٦٤
٢ – تحقيق مجتمع سليم و عادل ٦٦
ولادة رسول الإسلام (ص) رحمة إلهية دائمة على البشر ٦٧
حاجة المجتمع البشري لتعاليم الإسلام.....٦٨
البعثة.. نقطة انطلاق البشرية في مسيرتها التكاملية.....٦٩
كفاح الرسول (ص) ثلاثة و عشرين عاماً لإبلاغ الرسالة الإلهية.....٧١
دور تأسيس الحكومة الإسلامية في توفير المناخ العادل السليم ٧٢
السير نحو تحقيق المبادئ معيار سلامة الحكومة الإسلامية و اعتبارها.....٧٤
تخلّق الإنسان بالأخلاق الحسنة؛ الهدف الغائي من تأسيس الحكومة الإسلامية ٧٥
دور الاستكبار العالمي في الوضع المؤسف للمجتمع البشري راهناً.....٧٧
تعالي حقيقة النبي الأعظم (ص) على فهم البشر و إدراكهم ٧٨
محبّة الرسول الأعظم (ص) النقطة الوحيدة التي لا خلاف عليها بين المسلمين .٧٩
نقاط أساسية في معالجة أمراض راهنة يعاني منها العالم الإسلامي.....٨٠
ضرورة استخدام المسلمين لمختلف طاقاتهم من أجل تحقيق النجاح ٨٢
ضرورة تفكير المسلمين بأهمية بعثة النبيّ الخاتم (ص).....٨٤
رسائل المبعث في القرآن الكريم ٨٥
البشرية اليوم أحوج من أي وقت لإحياء اسم الرسول (ص) و تعاليمه ٨٦
ركيزتان أساسيّتان في الإسلام: كلمة التوحيد و توحيد الكلمة ٨٧
وجود نبيّ الإسلام الكريم (ص) هو الإسم الإلهي الأعظم.....٨٨
البعثة استجابة لاحتياجات الإنسان الشاملة اللامتناهية ٨٩

انتفاع العلوم و الحضارة البشرية من الإسلام و تعاليمه ٩١
وضع العالم و ظروفه في زمن بعثة نبي الإسلام (ص) ٩٢
العوامل و العناصر المهمة في نجاح الإسلام ٩٣
استمرار تألق الإسلام و تأثيره على مرّ التاريخ و الحقبة المعاصرة ٩٥
المقام السامي لوجود الرسول الأكرم (ص) و شخصيته و رسالته ٩٦
جذور و أسباب الإهانات التي يوجّهها الأعداء لساحة النبي الأكرم (ص) المقدسة
..... ٩٧
مؤشرات الصحوة و الانبعاث الإسلامي في العصر الحاضر..... ٩٨
سقوط المعسكر الشرقي نموذج لإمكانية دحر المستكبرين ٩٩
البعثة.. فتح الطريق لخروج البشرية من كل الظلمات الفردية و الاجتماعية .. ١٠٠
خلاصة سيرة النبي الأكرم (ص) في الأعوام العشرة لحكومته في المدينة المنوّرة . ١٠١
سبع مميزات رئيسية للنظام الإسلامي الذي أسّسه الرسول الأكرم (ص) ١٠٢
دروس عديدة من سيرة الرسول (ص) خلال فترة حكمه في المدينة..... ١٠٥
الفطنة و التدبير الدقيق في الأداء السياسي للرسول الأكرم (ص) ١٠٧
خمسة أعداء أصليين هدّدوا المجتمع الإسلامي في عصر النبي (ص)..... ١١٠
٢ – الأشراف المستكبرون الحاكمون في مكة ١١٠
٣ – القبائل اليهودية الثلاث..... ١١٢
٤ – المنافقون ١١٤
٥ – العدو الداخلي.. الميول النفسية نحو الانحراف و الضلال ١١٥
أهمية ولادة الرسول الأكرم (ص) و آثارها..... ١١٩
العلامات الرمزية لولادة الرسول الأكرم (ص)..... ١٢١
مقارنة بين جاهلية ما قبل الإسلام و الجاهلية المعاصرة ١٢٣
الصحوة الإسلامية عودة المسلمين من حقبة الجهل و الانحراف إلى تعاليم الرسول
الحقيقية..... ١٢٥

إحياء ذكرى البعثة إعادة قراءة دروسها الكبرى ١٢٧
بعثة النبي الأكرم (ص) دعوة للتوحيد كمنهج حياة للبشر ١٢٨
البعثة دعوة لكل الكمالات التي يحتاجها البشر..... ١٢٨
مسؤولية العلماء و المثقفين و الرؤساء و النخب في إصلاح المجتمعات الإسلامية
..... ١٣٠
شخصية الرسول الفذّة.. نموذج دائمي لكل العصور ١٣١
نبي الإسلام.. معلم كل الفضائل من عدالة و إنسانية و معرفة و أخوّة و رشد و
تكامل..... ١٣٢
شرح الواقع الراهن للمسلمين و الدعوة إلى وحدة الأمة الإسلامية ١٣٢
مسؤولية الحكومات و النخبة المسلمين الثقافيين و الدينيين حيال وحدة العالم
الإسلامي ١٣٤
مميزات الأمة الإسلامية من بركات بعثة رسول الإسلام (ص)..... ١٣٦
بداية الصحوة الإسلامية المعاصرة.. الهجوم الشامل للاستكبار على الشعوب
المسلمة ١٣٧
وحدة المسلمين واجب عقلاني على عاتق الأمة الإسلامية ١٣٨
أسباب تذرّع الأعداء بحقوق الإنسان و محاربة الإرهاب ١٤٠
يوم المبعث عيد البشرية كلها عبر التاريخ ١٤١
حقائق العالم المعاصر و ضرورة التنبّه لها: ١ – صحوة العالم الإسلامي..... ١٤٢
٢ – إسلام التفكير و التعمّق و التحرّر الفكري.. المظهر الحقيقي للصحوة
الإسلامية ١٤٣
دروس الرسول الأكرم (ص) و واجب الجميع في مراجعتها و العمل بها..... ١٤٥
رسول الإسلام مجمع كل فضائل الأنبياء و الأولياء ١٤٦
رسالة تسمية سنة باسم الرسول الأكرم (ص) ١٤٨
الأهداف العليا لرسول الإسلام: ١ – إتمام مكارم الأخلاق ١٤٩

٢ – الاستقامة و الثبات ١٥٠
أهمية وضع الأمة الإسلامية بالنسبة لروح الرسول الطاهرة ١٥٢
الصحوة الإسلامية.. السبيل الوحيد لاستعادة الأمة الإسلامية عزتها ١٥٤
مميزات الرسول الأعظم (ص) لتحمّل أعباء البعثة الهائلة ١٥٥
إشاعة نظرية فصل الدين عن السياسة من قبل المستكبرين المستعمرين..... ١٥٩
حاجة الأمة الإسلامية للحكومة الإسلامية الحقيقية..... ١٦٠
جذور انحطاط الأمة الإسلامية و عوامله..... ١٦١
حاجة البشرية الدائمة لرسول الرحمة (ص) و رسالته الإلهية..... ١٦٤
صحوة المسلمين الراهنة و الانفتاح على المعارف الإسلامية ١٦٥
حاجة البشرية لرسالة البعثة، و ثلاثة معالم مهمة للدعوة الإسلامية: العلم و الحكمة، و التزكية و الأخلاق، و العدالة و الإنصاف ١٦٦
الواجب الخطير للنخبة و المسؤولين في البلدان الإسلامية..... ١٦٦
استذكار البعثة مراجعة لدرس خالد للأمة الإسلامية و كل البشرية ١٦٨
الأبعاد المتعددة و المتنوعة لبعثة الرسول الأكرم (ص)..... ١٦٨
بعثة الرسول الأكرم (ص) طليعة تاريخ إنساني جديد..... ١٦٩
العناصر المؤثرة و الضامنة لنجاح رسول الإسلام (ص) في ظروف الجاهلية و العصبية..... ١٦٩
ضرورة الدراسة الدقيقة لحياة الرسول الأكرم (ص) و فهم دروسها، و من دروسها البصيرة و الصبر ١٧٣
معاني الأحداث التي اقترنت بولادة الرسول الأعظم (ص) ١٧٤
الوحدة الإسلامية الواجب الأصلي و المهم على المسلمين ١٧٦
العوامل الداخلية و الخارجية الناقضة لوحدة الأمة الإسلامية..... ١٧٦
واجبات الساسة و النخبة و المثقفين في العالم الإسلامي لمواجهة حيل الاستكبار ١٧٩

أبعاد التربية العقلانية و الأخلاقية و القانونية في بعثة الرسول الأكرم (ص) .. ١٨٠
١ – التربية العقلانية ١٨٠
٢ – التربية الأخلاقية ١٨٢
٣ – التربية القانونية..... ١٨٣
حاجة الأمة الإسلامية الشديدة إلى إعادة إنتاج الحقائق الإسلامية ١٨٤
بعثة النبي الأكرم (ص) سبيل تأمين كل المطاليب الفطرية كالعدالة و السلام ١٨٥
سمات الجاهلية الحديثة في العصر الراهن..... ١٨٨
مؤشرات الصحوة الإسلامية و الزوال الأكيد للاستكبار و أعداء العدالة و السلام
..... ١٨٩
آثار الصحوة الإسلامية في الحقبة المعاصرة ١٩٢
واجبات النخب السياسية و العلمية و الدينية في العالم الإسلامي لاستمرار
الصحوة الإسلامية ١٩٥
يوم المبعث.. أهم و أعظم و أكثر أيام السنة بركة ١٩٧
العودة للإسلام السبيل الوحيد لإنقاذ البشرية و السير نحو الكمال..... ١٩٨
عدم جدوى مساعي الاستكبار لمواجهة الصحوة الإسلامية..... ١٩٩
تعليم دروس الرسول الأكرم (ص) السبيل إلى إحياء العزة الإسلامية ٢٠٠
شخصية الرسول الأكرم (ص) و خصالها ٢٠١

حول هذا الكتاب

الكتاب الذي بين يدي القارئ العزيز مختارات من كلمات سماحة قائد الثورة الإسلامية آية الله العظمى السيد علي الخامنئي حول شخصية رسول الإسلام الكريم (صلى الله عليه و آله و سلم) و خصاله و بعثته، و قد استقيت من خطاباته التي ألقاها من خرداد ١٣٦٨ هـ ش (أيار ١٩٨٩ م) إلى شهريور ١٣٩١ هـ ش (أيلول ٢٠١٢ م) طبقاً للملاحظات أدناه:

١ – من بين الآراء المذكورة حول حياة الرسول الأكرم (ص) و شخصيته، تم اختيار دروس الحياة و البعثة التي يحتاجها كل البشر و المجتمعات الإنسانية على مرّ التاريخ و خصوصاً في الفترة الحاضرة.

٢ – متلقّو الكلمات التي تمّ اختيارها للسيد القائد هم في الغالب النخب و المثقفون و المدراء في البلدان الإسلامية.

٣ – تمّ إدراج المقاطع المختارة حسب التسلسل الزمني للخطابات.

على أمل أن تحلّ هذه الكلمات التي هي بدورها ثمرة التعاليم الخالدة لمدرسة آخر أنبياء الله سيدنا محمد بن عبد الله (صلى الله عليه و آله و سلم)، و الواردة على لسان أحد كبار العلماء و الفقهاء الإسلاميين المعاصرين، محلاً طيباً من أرواح القرّاء و قلوبهم، و أن تبثّ روحاً جديداً في نهضة الصحوة الإسلامية المتوثبة.

إن شاء الله

المقدمة

يمكن اعتبار المحور الأصلي لهذا الكتاب طريق سعادة البشرية عبر التاريخ، الطريق الذي اختطه خالق المخلوقات للإنسانية بخلقه و من ثم بعثه الإنسان الكامل و النموذج الأعلى للعبودية، و بهذا أتمّ الحجّة على البشر، و جعل الكثير من العلامات الواضحة للحظة ولادة محمد بن عبد الله (صلى الله عليه و آله و سلم) السعيدة شواهد على هذه الحقيقة.

الرسول الخاتم (صلى الله عليه و آله و سلم) الذي بشّرت بظهوره و رسالته الكتب السماوية السابقة، كان حتى قبل بعثته معروفاً بالمروءة و العفة و الصدق. فقد كان يعتبره الناس أميناً، و مثل هذه الصفة في ذلك العصر الذي سُمّي بحق عصرَ الجاهلية، إنما ينمّ عن منزلته السامقة (ص). و حين بُعث بالرسالة قال: **بعثت لأتمّم مكارم الأخلاق**.

هذا الوجود الوديع الذي قدّر الله له أن لا يكون تلميذ أيّ من المدارس المعروفة، و أن لا يتعلّم إلّا من المدرسة الإلهية و بواسطة الوحي الربّاني، صار أستاذ كل البشرية، يعلّمها دروس الأخلاق و الكرامة و الرحمة و الجهاد و العزة و المقاومة و المروءة و ...، و ليأخذ بيد الإنسانية الرازحة تحت نير الظلم و الجهل و الذلة إلى رحاب العلم و الحكمة و التزكية و الأخلاق و العدالة و الإنصاف، و لتتحقق المدينة الفاضلة لا في أفكار المفكرين و أخيلة الشعراء، بل على أرض الواقع من قبل الصالحين. و لذا فقد

كان صلى الله عليه و آله و سلم و سيبقى أستاذ كل الخصال الحميدة كالعدالة و الإنسانية و المعرفة و الأخوّة و الرشد و التكامل و التقدم البشري الدائم.

على الرغم من التقدّم المادي و الظاهري الهائل الذي لا يقبل الإنكار للبشرية في الحقبة المعاصرة، إلّا أنها للأسف لا تزال تعاني من الجاهلية بأشكال أعمق و أفجع. جاهلية حديثة و مزوّقة تستخدم أكثر الأدوات و وسائل الإعلام تطوّراً لمسخ كل الحقائق، و إخضاع أرواح البشر و أجسامهم لاستحمارها و استعمارها و استغلالها.

و من البديهي أن مثل هذه الجاهلية الحديثة هي العدو الرئيس للرسول الأعظم (صلى الله عليه و آله و سلم) و رسالته المنقذة. و لهذا اشتدت هجمات المستكبرين على شخصية خاتم المرسلين (ص) خلال العقود الأخيرة و خصوصاً بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران – التي عملت بالوصفة المنقذة للرسول الأكرم (صلى الله عليه و آله و سلم)، و نجحت في إضاءة قبس من الأمل في قلوب المسلمين، بل و كل المستضعفين المظلومين من قبل الاستكبار و الجاهلية الحديثة في العالم – و راحوا يطلقون أعمالاً و نتاجات مخزية على شكل روايات و أفلام و كاريكاتيرات و ... ضد هذه الشخصية المقدسة.

لكن التقدير الإلهي لا يزال يصدع مدوّياً: «**يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم و الله متمّ نوره...**»، و حسب السنن الإلهية فإن هذه الوقاحات و الهجمات آتت نتائج عكسية، و هل أوضح شاهداً على ذلك من أن شوق الناس في مختلف البلدان و اندفاعهم للتعرّف على شخصية الرسول الأكرم (صلى الله عليه و آله و سلم) الوضّاءة قد ازداد تضاعف، و الميول نحو الدين الإسلامي بين الشعوب الخاضعة للهيمنة، و حتى في البلدان المستكبرة نفسها، قد اشتدت باعتراف الأعداء و على الرغم من إرادتهم.

كل هذه الأحداث دلائل على تحقق الوعد الإلهي بأن الوصفة الكاملة لإنقاذ الإنسانية التي منّ الله تعالى بها على الإنسانية عبر بعثة خاتم الأنبياء و المرسلين (ص)، ستطبّق في يوم غير بعيد، و ليس في منطقة واحدة من الأرض بل في كل الأرض، و

ستقوم حكومة العدل الإسلامي على يد آخر المعصومين و الأئمة في مدرسة الإسلام العزيز، سيدنا الإمام المهدي المنتظر (عجّل الله تعالى فرجه الشريف).. إن شاء الله.

و من الله التوفيق

الآثار البليغة لمعرفة أبعاد شخصية النبي الأكرم (ص) و سيرته

كان وجود نبيّ الإسلام المكرّم (صلى الله عليه و آله و سلم) أكبر رصيد للوحدة في جميع العصور الإسلامية، و يمكنه أن يكون كذلك اليوم أيضاً. ذلك أن اعتقاد جميع المسلمين بهذا الوجود الأقدس الجليل ممتزج بالعواطف و الحبّ. من هنا كان عليه و آله أفضل الصلاة و السلام قطباً و محوراً لعواطف كل المسلمين وعقائدهم، و هذه المحورية من أسباب الأنس بين قلوب المسلمين و تقريب الفرق الإسلامية من بعضها.

ليس بوسع أي إنسان إن يشرح أبعاد شخصية النبيّ الأكرم (ص) بشكل كامل، أو عرض صورة لشخصية هذا الإنسان العظيم تكون حتى قريبة من الواقع. كل ما عرفناه على امتداد التاريخ حول سيد الرسل و الأنبياء و من اختاره ربّ العالمين، إنما هو ظل لذلك الوجود المعنوي الجليل. على أن هذا القدر من المعرفة يكفي المسلمين أولاً لضمان مسيرتهم نحو الكمال، و لكي يجعلوا قمّة الإنسانية و ذروة الكمال البشري نصب أعينهم. و ثانياً ليشجّعهم و يدفعهم نحو الوحدة الإسلامية و الاجتماع حول ذلك المحور. و بالتالي فإن توصيتنا لكل المسلمين في العالم هو العمل بكثرة على أبعاد شخصية الرسول الأكرم (ص) و حياته و سيرته و أخلاقه و تعاليمه المأثورة و المنصوصة عنه.

بعد فترة القرون الوسطى في العالم الغربي و المسيحي حيث شنّت غارات إعلامية واسعة على شخصية الرسول الأكرم (ص)، و أدرك أعداء الإسلام الألدّاء أن أحد أساليب العمل ضد الإسلام هو النيل من شخصية نبيّ الإسلام المكرّم (صلى الله عليه

و آله و سلم)، و قد أنجزوا على هذا الصعيد الكثير من الأعمال، و إلى اليوم حيث يعمل العدو بشكل مستمر و أساليب مختلفة على تشويه شخصية الرسول الأعظم (ص) في أذهان الأحرار في العالم، ثمة الكثير من الناس في العالم لو عُرض عليهم رسول الإسلام (ص) و عرفوه كما يعرفه المسلمون، أو حتى أقل من ذلك – أي لو لاح لهم حتى بصيص خفيف من وجهه المشرق النيّر و أضاء قلوبهم – لأمكن ضمان اعتقادهم و ميلهم نحو الإسلام و المعنوية الإسلامية. علينا أن نعمل على هذا الجانب و نبذل من أجله الجهود.

ضرورة العمل الواسع و الشامل لتعريف أبعاد شخصية الرسوم الأعظم (ص)

ربما كانت أكبر دعاية و إعلام للإسلام هو أن نوضّح و نشرح شخصية رسول الإسلام (ص) للباحثين عن الحقيقة في العالم. و من المناسب جداً أن يبادر المسلمون الفنانون و المطلعون المتمرّسون بالأساليب المختلفة الدارجة في العالم، و قبل أن يعمد الأعداء و المعارضون بأساليبهم الثقافية و الفنية المعقدة لتشويه وجهه النيّر (صلى الله عليه و آله و سلم) في أذهان الناس غير المطلعين في العالم، أقول من المناسب أن يبادر المسلمون للعمل العلمي و الثقافي و الفني و الإعلامي و البيان و التبليغ و الشرح بخصوص تلك الشخصية العظيمة المكرّمة.. هذه أعمال و مهام ضرورية.

علينا العمل في مجال تعريف شخصية الرسول الأكرم (ص)، و شخصيته الجليلة هنا لا تعني فقط حياته، إنما المراد الأبعاد المتنوعة لهذا الإنسان الكبير نظير أخلاقه و أسلوبه في الحكم و رعايته للناس و عبادته و سياسيته و جهاده و تعليماته الخاصة، و لا نكتفي بكتابة الكتب فقط، إنما يتحتّم أن نبدأ بأعمال فنية و إعلامية ذات أساليب جديدة و باستخدام التقنيات العصرية الشائعة، و ليس في الجمهورية الإسلامية و حسب، بل في كل أنحاء العالم الإسلامي.[1]

---

١. من كلمته في لقائه ضيوف مؤتمر الوحدة الإسلامية و رجال الدين و المسؤولين و أئمة الجمعة و الإخوة من أهل السنة و الشيعة في محافظات كردستان و كرمانشاه و لفيف من شتى شرائح الشعب من أهالي قزوين و مباركة و سرخه و خواف بتاريخ ١٩٨٩/١٠/١٦ م.

المهم هو أننا باعتبارنا سائرين على طريق أولئك الشخصيات الكبيرة و مواصلين لدربهم – أو هذا هو على الأقل ادعاؤنا و الناس في العالم تعرفنا بهذا الادعاء – يجب أن نحاول إيجاد الأبعاد المختلفة لتلك الشخصيات العظيمة الإلهية في وجودنا و شخصياتنا – و لو على نحو ضعيف يسير – و إحياءها. لا يكفي أن يكون المجاهدون في سبيل الله و المكافحون في سبيل سيادة الإسلام مهمومين فقط ببناء المجتمع و النظام الإسلامي – رغم أن هذا واجب أعلى و كبير، و ربما كان الواجب الأهم و الأكبر على عاتق الإنسان المؤمن و المسلم – و لكن إلى جانب الجهاد و الكفاح من أجل توفير النظام الإسلامي و استكماله و انتصاره، لا بدّ من جهاد آخر، و ربما أصعب، هو إيجاد تحوّل و ثورة في وجودنا و قلوبنا و أرواحنا.[١]

أسلوب الرسول الأعظم (ص) في نشر القيم و الأخلاق الإسلامية في المجتمع

النقطة التي أروم الإشارة لها اليوم في حديثي عن حياة الرسول الأكرم (ص) هي أن رسول الإسلام، و من أجل تكريس القيم و الأخلاق الإسلامية في المجتمع بحيث تمتزج بأرواح الناس و عقيدتهم و حياتهم، كان يغمر أجواء الحياة بالقيم الإسلامية.

أحياناً يأمر أحد الناس أو يوصي بأن يتحلى الناس مثلاً بحسن الخلق و التجاوز و الصفح و الصبر و الاستقامة في سبيل الله، و أن لا يظلموا أحداً، بل ينشدوا إقامة العدل و القسط. أي إن الأمر هنا عبارة عن توصية و أمر و تعليم – و هو بالطبع عملية لازمة و كان رسول الإسلام (ص) يمارس التعليم، و **يعلمهم**،[٢] و يعطي الناس دروساً في المعرفة و الحياة – و لكن أحياناً تكون القضية فوق التعليم، أي إن المعلم يفعل و يسلك سلوكاً من شأنه أن يجعل هذه الأخلاق و الواجبات الإسلامية ثابتة راسخة في المجتمع، و يثور على المعتقدات الخاطئة للناس، و يكافح ضد المشاعر

---

١. من كلمته في لقائه لفيفاً من رجال الدين و أئمة الجمعة و الجماعة و مسؤولي الأجهزة الإدارية و المؤسسات الثورية و القضائية، و عدد من نواب مجلس الشورى الإسلامي، و قادة القوات المسلحة بمناسبة ولادة سيد البشرية الرسول الأكرم (ص) و الإمام جعفر الصادق (ع) بتاريخ ١٩٨٩/١٠/١٨ م.

٢. سورة البقرة، الآية ١٢٩ .

الجاهلية و ترسّبات الأخلاق غير الإسلامية، و يوقع صدمات على المجتمع و الناس، و يفعل في الأوقات المناسبة و بأساليب مناسبة ما يجعل أجواء المجتمع و بيئة حياة الناس ممتزجة تماماً بتلك الصفات و الأخلاق و الأساليب الإيجابية.

نماذج من أسلوب الرسول (ص) لتوفير الأجواء الإسلامية في المجتمع

إذا أراد المجتمع أن ينمو و يرشد و يتحلى بالأخلاق الإسلامية الصحيحة فهو بحاجة لهذا الأسلوب. ربما كان المراد من التزكية في الآيات التي وردت فيها كلمة «**يزكّيهم**» بعد كلمة «**يعلمهم**»[1] أو قبلها، ربما كان المراد منها هو هذه الفكرة. أي تطهير الناس و تنقيتهم و تهذيبهم، كما يفعل الطبيب الذي لا يكتفي بأن يقول لمريضه: إفعل كذا و لا تفعل كذا، إنما يضعه في مكان خاص و يعطيه ما يلزمه، و يغذّيه بما يجب، و يمنع عنه ما يضرّه. و قد سار رسول الإسلام الأكرم (ص) طوال ثلاثة و عشرين عاماً من نبوّته على مثل هذا المنهج و الوضع، و خصوصاً في الأعوام العشرة التي كانها في المدينة و خلال فترة حكم الإسلام و تأسيس الحكومة الإسلامية.

لقد أعددتُ عدة أمثلة و نماذج لأطرحها، و هي مهمة جداً لنا حالياً في النظام الإسلامي، و كذلك لكل واحد من أبناء الشعب، و خصوصاً للمسؤولين و الذين يتعاملون مع جماعة من الناس، و ينظر الناس لهم و لما يقولونه و يصغون لأقوالهم. علينا أن نتنبّه إلى أننا إذا أردنا أن نتحرّر و نبعد أنفسنا عن ترسّبات و مخلفات أخلاق عهد الطاغوت — و هي مضرة جداً بالنسبة لرشدنا و رفعتنا — فلا سبيل أمامنا سوى أن نعمل في حياتنا بمناهج و أساليب رسول الإسلام الكريم بكل شجاعة و حسم.

أحد الأمثلة يتعلق بتوفير أجواء سليمة بعيدة عن العصبيات الجاهلية في بيئة حياة الناس. تعلمون أن كل الشعوب على هذه الشاكلة و هذا هو وضعها، باستثناء أفراد لهم مستويات معرفية عالية، بمعنى أن الشعوب لها عصبياتها و أغراضها و أمراضها و أحقادها و ما شاكل من الأمور التي تسود حياتها و تصدّ الناس عن السلوكيات الحقة العادلة، و تجعل الأجواء غير سليمة.

---

١. سورة البقرة، الآية ١٢٩ .

١ – إشـــــاعة حســن الظــن و اجتنــاب ســوء الظن و التحامل

يجب جعل هذه الأجواء سليمة، و من أجل جعل الأجواء سليمة و إفشاء حسن الظن و التفاؤل بين الناس، كان لرسول الإسلام الأكرم (ص) ما عدا توصياته، أساليبه التي استخدمها خصوصاً في الفترة التي كانت هذه القضية تمتاز بأهمية عالية. ذلك أن العرب الجاهليين كانوا في ما بينهم ذوي أحقاد و سوء ظن كبير و عصبيات قبلية و عائلية شديدة، و كان على النبيّ الأكرم (ص) أن ينتزع هذه الأشياء من قلوب المؤمنين، و يجعل أفئدتهم تجاه بعضهم طاهرة نقية ناصعة.

ثمة رواية عن الرسول الأكرم تقول: «**لا يبلغني أحد منكم عن أحد من أصحابي شيئاً فإني أحبّ أن أخرج إليكم و أنا سليم الصدر**».[1] كانوا يأتون إلى النبيّ الأكرم (ص) و يذكر بعضهم بعضاً بسوء و يتحدثون ضد بعضهم، و قد يكون الكلام أحياناً صحيحاً و أحياناً غير صحيح و بخلاف الواقع. فقال الرسول الأكرم (ص) للناس: لا يحدثني أحد بشيء حول أصحابي. أي لا تكثروا قول السوء عن بعضكم عندي، فأنا أرغب حينما أظهر بين الناس و أكون في أوساطهم و بين أصحابي سليم الصدر، أي أنْ أعيش بينهم بصدر نقيّ طاهر ليس فيه أية سوابق و سوء ظن و ذهنيات سلبية.

هذا كلام عن الرسول و أمر منه للمسلمين. لاحظوا كم يساعد سلوك الرسول الأكرم (ص) على أن يشعر المسلمون أن من الضروري أن يتعامل الأفراد في ما بينهم في المجتمع و المناخ الإسلامي من دون سوء ظن و سوء طويّة، و بحسن ظن و صدر سليم. في الروايات أنه حينما يكون الشر و الفساد هما السائدان شكّوا و ارتابوا في كل شيء، و لكن حينما تكون السيادة في المجتمع للخير و الصلاح اتركوا سوء الظن و أحسنوا الظن ببعضكم، و تقبلوا كلام بعضكم بعين القبول و لا تنظروا لمساوئ بعضكم، بل شاهدوا الإيجابيات و الحسنات.

كان المسلمون يأتون للرسول و يتحدثون له ببعض الأمور همساً و بشكل سرّي لا

---

١. مكارم الأخلاق، ص ١٧ .

يسمعه الآخرون، أو ما يشبه النجوى الخفيّة، فنزلت آية كريمة منعت الناس من التحدث همساً و نجوى في أذن الرسول، لأن ذلك يخلق حالات من سوء ظن و ذهنيات سلبية بين المسلمين.

إشارة إلى إشاعة حول إحدى نساء الرسول الأكرم (ص)

الخاطرة أو الحادثة المهمة جداً ضمن هذا السياق و التي راجعتها مراراً في ذهني، و راجعت آياتها في القرآن الكريم، هي حادثة الإفك. ثمة في سورة النور عدة آيات تتعلق بهذه الحادثة. و حادثة الإفك باختصار هي أن إحدى زوجات النبيّ الأكرم (ص) تأخّرت عن القافلة في إحدى الغزوات. كان الرسول قد أخذها معه إلى ساحة الحرب، و حينما كانوا في طريق العودة لم يجدوها. و مهما كان السبب سواء كان النوم قد غلبها أو ذهبت لحاجة لها. فجأة وجد المسلمون أن زوجة الرسول الأكرم (ص) ليست معهم. و ظهر رجل من المسلمين و جاء بزوجة الرسول الأكرم (ص) إلى المدينة.

و ثمة اختلاف بين أهل السنة و الشيعة في أيّ زوجات الرسول (ص) كانت التي وقعت لها هذه الحادثة. يقول الشيعة في رواياتهم إنها «ماريّة القبطيّة»، و أهل السنة يقولون إنها «عائشة». و هذه المسألة نقاش تحريفي في يومنا هذا أنْ نتجادل في أيّ نساء النبيّ كانت. ليست المسألة أساساً إننا نريد أن نعرف أيّ نساء الرسول (ص) نزلت تلك الآيات القرآنية بشأن ما تعرّضت له من اتهام. القضية قضية ثانية تتضمن أمراً و دستوراً أخلاقياً و اجتماعاً على جانب كبير من الأهمية.

الردّ القرآني الشديد على مروّجي الإشاعات و مستمعيها

بعد أن عادت هذه المخدّرة إلى المدينة المنوّرة، طفق بعض ذوي الألسن المنفلتة البذيئة يهمسون بين الناس و يتساءلون: أين كانت هذه المرأة، و لماذا تأخّرت، و من كان هذا الذي عاد بها؟! من دون أن يصرّحوا بشيء و يوجّهوا تهمة محدّدة، إنما بثوا بين الناس همسات و إشاعات.

ليست القضية أن تلك المخدّرة زوجة النبي (ص) و ينبغي احترامها، إنما القضية في

القرآن شيء آخر. الآيات في سورة النور حول «الإفك»، أي الكلام الكاذب الذي أشاعه المنافقون و سيّئو الطويّة و الأشخاص غير النزيهين في المجتمع. و تبدي الآيات القرآنية الكريمة أشدّ الحساسية، و ثمة عدد من الآيات المتلاحقة تخاطب المسلمين بلهجة شديدة و تقول لهم: لماذا حين سمعتم هذه الشائعة لم تواجهوا قائلها بشدة — و هذا ما يستفاد من الآيات الكريمة — و لماذا لم تنكروا هذه الإشاعة بكل حسم.

في هذه الآية هناك جملتان تبدآن بتعبير «**لو لا**». و العارفون بالأدب العربي يعلمون أن «لو لا» التحذيرية تستخدم عندما يريد المرء أن يقول لمخاطبه بكل شدة و توبيخ: لماذا لم تفعل كذا؟ «**لو لا إذ سمعتموه ظنّ المؤمنون و المؤمنات بأنفسهم خيراً و قالوا هذا إفك مبين**».[١] أنتم أيها المسلمون (المؤمنون و المؤمنات) لماذا عندما سمعتم هذه الشائعة لم تحسنوا الظن ببعضكم و لم تقولوا بكل حسم إن هذا كذب؟ و يقول في موضع آخر: «**و لو لا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم**».[٢] حينما سمعتم هذه الإشاعة لماذا لم تقولوا إنه ليس من حقنا أن نكرّرها، فهي بهتان عظيم؟

ثم يقول في آخر الآيات: «**يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبداً إن كنتم مؤمنين**».[٣] أي إن الله تعالى يعظكم و ينصحكم بأن لا تحوموا أبداً حول مثل هذه الإشاعات، و أن لا تقع في المجتمع الإسلامي مثل هذه الحادثة بعد اليوم، إن كنتم مؤمنين. أي إن هذا هو شرط الإيمان.

جزاء التهمة في الفقه الإسلامي

و كما أشرت، ليست القضية أن هذه المرأة زوجة النبي الأكرم (ص). حتى لو لم تكن زوجة الرسول لكان نفس هذا العتاب و الخطاب و التكليف على المؤمنين. لذا نجد في الإسلام أنه لو اتهم شخص شخصاً آخر ببعض التهم الخاصة، و لم يستطع

---

١. سورة النور، الآية ١٢ .

٢. سورة النور، الآية ١٦ .

٣. سورة النور، الآية ١٧ .

إثباتها بأربعة شهود عدول، فإن المتّهم نفسه سيُدان و يجري عليه الحدّ. ليس من حقكم إطلاق كلام هكذا على عواهنه في الهواء فتشوبون الأذهان و تقلقون القلوب و تؤذوها، و إذا استطعتم أن تثبتوه أثبتموه، و إن لم تستطيعوا إثباته فستذهبون إلى سبيل حالكم! لا، إذا لم تستطيعوا إثبات بعض التهم التي يستحق المجرم فيها الحدّ، فإنكم سوف تعاقبون بسبب توجيهكم التهمة، و يجري عليكم الحدّ.

اعتقد أن هذا حدث عظيم في تاريخ الإسلام و عصر الرسول الأكرم (ص) تمّ من خلاله استئصال جذور بث الإشاعات حول القضايا الشخصية للأفراد في البيئة الإسلامية، و هي إشاعات تسبّب حالات من سوء الظن و عدم الثقة بين البعض و البعض، و تجعل الأجواء الاجتماعية غير سليمة. هكذا هو الإسلام. إذن، من ممارسات الرسول الأكرم (ص) أن يجعل أجواء المجتمع أجواء عاطفية زاخرة بالمحبة و العطف و الرحمة، حتى يتحابب كل الناس فيها تجاه بعضهم، و ينظر بعضهم لبعض بعين حسن الظن و الثقة. و هذا هو واجبنا اليوم أيضاً.

و حالة أو نموذج آخر من مساعي الرسول الكريم (ص) لصناعة أجواء طيبة هو أنه ينزع من قلوب الناس العداوات و الأحقاد. في الحالة السابقة كان الأمر يتعلق بإيجاد حسن الظن و الأجواء السليمة، و لكن الحالة هنا فوق تلك. أي إن المسلمين في المجتمع الإسلامي يجب أن لا يكونوا غير آبهين و لاأباليين بعضهم تجاه بعض. ليس من المقبول و المستحسن في الإسلام أن لا يكون للمسلمين شأن ببعضهم، و يكون لكل واحد منهم عالمه الخاص المنفصل، و لا تربطه أية مسائل بباقي المسلمين. و قد كان أحد فصول حياة الرسول الأكرم (ص) تبديل مناخ عدم الاكتراث و اللاأبالية هذا إلى أجواء محبة و تعاون و أخوّة، و خلق منظومة من التعاون في ما بين المسلمين. و هذا ما نحتاج إليه اليوم في نظامنا.

٢ – تنمية الشعور المسؤولية لدى المسلمين بعضهم تجاه بعض

يجب أن يكون للمسلمين بعضهم ببعض علاقاتهم الودّية المخلصة بعيداً عن أية لاأبالية. لا يكون الأمر بحيث لو علمتم أن مسلماً يعاني من حدث معين تمرّون به مرّ الكرام. لا، التعاون و التعاطف و الإخلاص و المحبّة المتبادلة بين المسلمين من الأمور الكبيرة التي قام بها الرسول الأكرم (ص). لم يكن عليه و آله الصلاة و السلام في حدود تواجده و إمكانياته يسمح بأن يحمل المسلمون في المجتمع الإسلامي البغضاء و الأحقاد و العداوة ضد أحد، حتى لو كانت حالة واحدة. أي إن الرسول الأكرم (ص) بحكمته و حلمه يوجد بحق بيئة طيبة سليمة مليئة بالمحبة.

يروى أن أعرابياً بدوياً – لم يكن على معرفة بالتحضّر و التمدّن و آداب المعاشرة و الأخلاق الدارجة في الحياة – جاء بخشونته و شدّته الصحراوية إلى المدينة، و التقى بالرسول الأعظم (ص). و كان الرسول بين أصحابه في المسجد أو في أحد الطرق. و طلب شيئاً من الرسول فساعده الرسول، و ربما أعطاه مالاً أو طعاماً أو ثياباً. و بعد أن وهبه هذه الأشياء سأله: هل هذا حسن؟ و هل بررت بك؟ و هل أنت راضٍ الآن؟ فقال له الرجل بسبب عنفه البدوي و صراحته و عدم مجاملاته، و لأن مساعدة الرسول بدت في عينه قليلة، قال: لا، فأنت لم تفعل شيئاً و لم تصنع لي أي جميل، و لم يكن هذا أصلاً بشيء أعطيته لي!

و بالطبع فإن مثل هذا التعامل العنيف مع الرسول (ص) يبعث في قلوب أصحابه شعوراً جد سيّئ و ثقيل. فغضب الجميع، و أراد بعض الأشخاص المحيطين بالرسول أن يردّوا على هذا الأعرابي بغضب و شدّة، لكن الرسول الكريم (ص) قال لهم: لا، لا شأن لكم به، و أنا سأعالج الأمر معه. و خرج من بين أصحابه و أخذ هذا الأعرابي معه إلى بيته. و يتضح أن النبي العظيم لم يكن لديه هناك شيء و إلا لأعطاه أكثر. فأخذه إلى بيته و أعطاه هناك المزيد من الطعام مثلاً أو الثياب أو المال. ثم قال له: هل رضيت الآن؟ فقال الرجل: نعم. و خجل من إحسان الرسول و حلمه، و أبدى رضاه.

فقال له الرسول الأكرم (ص): قبل هنيئة قلت لي أمام أصحابي كلاماً جعلهم

يسخطون عليك. فهل تحبّ أن نذهب الآن إليهم و تبدي أمامهم ما أبديته الآن من رضا و طيب خاطر؟ فقال الرجل: نعم. فأخذه الرسول الأكرم (ص) في المساء أو اليوم التالي إلى أصحابه و قال: أخونا الأعرابي هذا يظن أنه راضٍ عنا، فإن كنت راض عنا قل ذلك. فانبرى الرجل يمدح الرسول (ص) و قال: نعم، أنا مسرور و راض و أشكر الرسول الأكرم – أو قال شيئاً من هذا القبيل – لأنه أبدى لي الودّ و الطيب. قال الرجل هذا و انصرف.

و بعد أن غادر الرجل قال الرسول الأكرم (ص) لأصحابه إن مثل هذا الأعرابي كمثل ناقة نفرت من قطيعها و راعيها و هامت على وجهها في الصحراء. و أنتم أصحابي من أجل أن تمسكوا بهذه الناقة و تعيدوها تهجمون عليها و تطاردونها من كل صوب. و فعلكم هذا يزيد من نفورها و خوفها و يصعّب الإمساك بها، فلم أتركك تنفّروها أكثر مما نفرت. تعاملت معه بالمحبة و المداراة و أعدته إلى جماعتنا. هذا هو أسلوب الرسول الأعظم (ص).

لا يريد الرسول الأكرم أن تكون هناك أدنى أحقاد و عداوات بين المسلمين في بيئة الحياة الاجتماعية. كان يسعى دوماً لإفشاء المحبّة و الصميمية بين الناس. حتى عندما اتسعت دائرة الإسلام و فتح صلوات الله و سلامه عليه و آله مكة عفا عن أهالي تلك المدينة. و قد كان أهل المكة هم من طردوا الرسول (ص) منها، و تجرّع الرسول منهم طوال ثلاثة عشر عاماً الأمرّين و المحن العظام. ثم كانت له معهم عدة حروب قتل فيها الكثير من المسلمين، و قتل المسلمون في المقابل بعض أهل مكة. و لو تقرّر أن يستضيفوا جيش رسول الله (ص) الفاتح بهذه الطريقة لما كان بالإمكان تكريس الصلح و الوئام معهم لسنين طوال. لذا بمجرد أن دخل الرسول الأكرم (ص) مكّة أعلن إعلاناً عاماً فقال: «**أنتم الطلقاء**»،[1] أي إنكم جميعاً أحرار و قد عفوت عنكم. عفا الرسول الكريم (ص) عن قريش و انتهى الأمر.

---

١. بحار الأنوار، ج ٩٧ ، ص ٥٩ .

عهد التآخي الذي أقامه الرسول الأكرم (ص) بين المسلمين

من الأعمال التي قام بها الرسول العظيم (ص) في الشهور الأولى لدخوله المدينة المنورة إعلان الأخوة بين المسلمين. أي إنه آخى بين المسلمين. أنْ نقول إننا إخوة في الإسلام فليس هذا من باب المجاملات. أي إن المسلمين لهم على بعضهم حقوق الأخوّة فعلاً. كما أن الإخوة لهم على بعضهم حقوق و يجب أن يأدّوا حقوقهم المتقابلة تجاه بعضهم، آخى الرسول الأعظم (ص) بين المسلمين و طبّق هذه الأخوّة عملياً.

آخى صلى الله عليه و آله و سلم المسلمين إثنين إثنين، و لم يراع في هذا الطبقات و العوائل و الأشراف من المدينة و قريش. آخى بين عبد أسود و شخصية كبرى، و بين طليق و أحد الأشراف المعروفين من بني هاشم أو قريش. على كل حال كانت لهذه المؤاخاة أبعاد مختلفة من أهمها أن المسلمين شعروا تجاه بعضهم بالأخوّة.

٣ – الإفشاء العملي لروح التضحية و عرفان الجميل بين المسلمين

و أسوق مثالاً آخر لنرى كيف أن الرسول الأعظم (ص) غمر مناخ المجتمع بالقيم الإسلامية. المهم في الإسلام – بغضّ النظر عن المعتقدات و الأذواق السياسية و الخطوط و التيارات و الارتباطات و باقي الأمور – روح الوفاء و عرفان الجميل و شكر الجهود و الخدمات التي يقوم بها الأفراد. فهذه الأمور مؤثرة جداً في سلامة المجتمع، و قد شدّد عليها الرسول الأكرم (ص) عملياً كل تشديد. لم يكتف الرسول باللسان و القول و التوصية أن يعرف الناس لبعضهم الجميل، إنما أشاع عملياً هذه الأجواء في المجتمع.

وجدتُ في الحديث أن وفداً من قبل النجاشي – ملك الحبشة – جاء للرسول (ص) إلى المدينة، و من المفترض أنه كان يحمل رسالة للرسول، كما هو الدارج بين الدول. كان النجاشي ملكاً في الحبشة، و كان كالكثير من السلاطين و الأمراء في العالم آنذاك مسيحياً و ليس مسلماً. و لكن حين جاء وفد النجاشي من الحبشة قام الرسول (ص) بنفسه من مكانه و راح يضيف ذلك الوفد. فقال له أصحابه: يا رسول الله نحن نكفيك فاسمح لنا أن نضيّفهم نحن. فقال: لا.. يوم هاجر المسلمون إلى الحبشة

احترم ملكها المسلمين و كرّمهم، و أريد أن أقابله بالمثل. هذا هو عرفان الجميل.

لذلك تلاحظون أن الرسول الأكرم (ص) في حياته، رغم ما كان له من الحروب مع كفار قريش، و قد كانت له بعض الحروب مع امبراطورية الروم الشرقية — التي كانت تسيطر إذ ذاك على منطقة الشامات و فلسطين — و قد كانت للمسلمين حروب في اليرموك و مؤتة و تبوك، و كان هناك جهاد و فتوحات في تلك الأنحاء، إلا أنه لم يبعث أية جيوش إلى الحبشة و تلك الأنحاء.

لم يكن الأمر بحيث يحارب النبيّ أي ملك لا يتقبّل الإيمان الإسلامي. لا.. كان هناك عرفان جميل و شكر مودّة للنجاشي في عهد الحكومة الإسلامية و حينما كان الرسول الأكرم قائد النظام الإسلامي. و الأمثلة من هذا القبيل كثيرة في حياة الرسول الأعظم (ص)، و لو أردنا ذكرها جميعاً لطال بنا المقام.

و لأذكر مثالاً آخر. في فترة الحكم الإسلامي جاءت امرأة للقاء الرسول الأكرم (ص) في المدينة المنورة. و رأى الأصحاب أن رسول الله (ص) يكرّم هذه المرأة تكريماً كبيراً و يسألها عن حالها و حال أسرتها، و يتعامل معها بمنتهى المحبّة و الصميمية. و بعد أن غادرت المرأة قال الرسول ليرفع استغراب أصحابه إن هذه المرأة كانت تتردّد على بيتنا في زمن خديجة (زمن القمع و الشدة في مكة). يبدو أنه في الوقت الذي حاصر فيه الجميع أصحاب الرسول فلم يكن بإمكانهم زيارة السيدة خديجة (سلام الله عليها) زوجة الرسول الأعظم، كانت هذه المرأة تتردد على خديجة. و لم تذكر الرواية أن هذه المرأة قد أسلمت. لا.. من المحتمل أن هذه المرأة لم تكن قد أسلمت في ذلك الحين، و لكن لمجرد أنه كانت لها في الماضي مثل هذه الميزة و أبدت تجاه خديجة محبة و صميمية فقد عرف الرسول الأكرم (ص) لها هذا الجميل بعد ذلك بسنوات.

و نموذج آخر هو توفير أجواء العمل و السعي و الكدّ في المجتمع، حيث لم يكتف الرسول الأكرم (ص) بالأمر بأن يسعى الناس و يجدّوا، إنما كان يُحيي روح العمل و الجدّ لدى الناس بأساليب مختلفة، و أحياناً حينما يشاهد شاباً عاطلاً عن العمل يقول: «**إن الله لا يحبّ الشاب الفارغ**».

و في رواية إن رسول الله (ص) عندما كان يرى شاباً تعجبه سلامته و قوته و شبابه، كان يسأله سؤالين: هل أنت متزوج و هل تعمل أم لا؟ و إذا أجاب الشاب بأني لم أتزوج و لا أعمل، كان الرسول يقول: «**سقط من عيني**». بهذه الأساليب كان ينبّه الناس لأهمية العمل و الجدّ و السعي.

ذات مرة جاء نفر من الناس للرسول الأكرم (ص)، و مدحوا شخصاً فقالوا: يا رسول الله، لقد كنا مع هذا الرجل في سفر و وجدناه جد صالح و طاهر و ذاكر لله.. يعبد الله دوماً، و أين ما نزلنا ينشغل بالصلاة و الذكر و القرآن و ما شاكل، من لحظة نزولنا إلى حين مسيرنا مرة أخرى. و حين مدحوه بهذا المديح سألهم الرسول الأكرم (ص) مستغرباً: إذن، من كان يقوم بأعماله و شؤونه؟ الذي حين ينزل ينشغل دوماً بالصلاة و القرآن فمن يطبخ له طعامه؟ و من يُنزل أحماله و يُركِبها؟ و من يقوم بأعماله و ينجز شؤونه؟ فقالوا: يا رسول الله، إننا كنّا نقوم له بكل أعماله بكل رغبة و حبّ. فقال الرسول الكريم: «**كلكم خير منه**».[1] أن لا يقوم الرجل بأعماله و يُلقيها على عاتق الآخرين و يشتغل بالعبادة فهذا لا يجعل منه رجلاً صالحاً. الرجال الصالحون هم أنتم الذين تعملون و تجدّون، بل و تأخذون على عاتقكم مهام الآخرين و أعمالهم.

كان الرسول الأكرم (ص) بهذه الأساليب يغمر أجواء الحياة الاجتماعية الإسلامية بحبّ العمل و الجدّ و السعي. و كل هذه الأمور التي طرحتها هي اليوم مما نحتاجه.[2]

بعثة الرسول الأكرم (ص) أهم أحداث التاريخ الإنساني و أكثرها تأثيراً

مسألة البعثة، و ظهور هذا الحدث الإلهي، أهم مسألة وقعت للبشرية على امتداد عمرها الطويل. لم تكن هناك حادثة مؤثرة في مصير الإنسان و تاريخ البشرية بقدر هذه الحادثة، و ما من لطف من قبل الله تعالى أنزله على البشر بعظمة هذا اللطف و الفضل. إننا نفخر لأننا نؤمن من أعماقنا بهذه البعثة العظيمة، و قد عرفنا طريق السعادة هذا. هذه بحدّ ذاتها نعمة إلهية عظيمة، و من واجب كل مسلم تحقيق البعثة

---

١. بحار الأنوار، ج ٧٣ ، ص ٢٧٤ ؛ مكارم الأخلاق، ص ٢٦٥ .

٢. من خطبتي صلاة الجمعة بطهران بتاريخ ١٩٨٩/١٠/٢٠ م.

النبوية في حياته الشخصية و دنياه، و الإيمان و العمل و الحركة نحو الأهداف الكامنة في بعثة النبي الأكرم (صلى الله عليه و آله و سلم) ليصل إلى جنّة السعادة الإلهية و المعنوية. طبعاً، نحن لا نستطيع أن نقول شيئاً في معنى البعثة و حقيقتها. فهذه الحقيقة فوق أذهاننا و خارج متناول عقولنا القاصرة.

أمران مهمّان في البعثة بالنسبة للمسلمين في الزمن الحاضر

المطروح بالنسبة لمسلمي العالم حالياً في خصوص البعثة هو أمران:

الأمر الأول هو أن هذه البعثة و الينبوع لا يزال متدفقاً، و أن هذا الفضل و البركة الإلهية مستمرة على البشرية طوال التاريخ، و كما وعد الله تعالى مراراً في القرآن الكريم فإن ظهور هذه الحقيقة هو من أجل سيادتها على حياة البشرية و تلوين الحياة بلونها. و هذه حقيقة سوف تتحقق: «**ليظهره على الدين كله**».[1]

١ – البعثة.. حقيقة طبيعية و حاسمة للإنسانية

قضية البعثة حقيقة طبيعية في هذا العالم، و حالة حتمية قطعية للبشرية. العدل و الحق الذي أطلق في العالم ببعثة الأنبياء (ص) لم يكن من أجل أن يؤمن به جماعة من الناس لبرهة معينة من الزمن، ثم لا يؤمن به شطر كبير من البشر طوال فترات تاريخية طويلة. إنما أطلق لبناء العالم و الإنسان حسب مقترحاته، و لأجل الأخذ بيد البشرية و كل الوجود – تبعاً للبشرية – إلى طريق الكمال، و هذا ما سوف يحصل، و إذا لم يحصل فهو نقض للغرض.

و بالطبع، فإن المسيرة نحو هذا الهدف مسيرة تحصل حسب شروطها و عللها و عواملها المناسبة لها. و نحن نسير نحو هذه الحقيقة، و كل خطوة تقطعها البشرية – شاءت ذلك أم أبت، و علمت بذلك أم لم تعلم – تقترب فيها من حقيقة البعثة.

المطروح في العالم اليوم هو البعثة الإلهية، رغم أنه لا يوجد عمل خلف تلك الشعارات. و مثال ذلك شعارات العدالة الاجتماعية و الحرية و التحرر و العلم و المعرفة و التقدم و الرقيّ و السمو و رفع مستوى الحياة و سائر الشعارات التي ترفعها الحكومات و الشعوب و أصحاب الفكر و المدارس و المذاهب المتنوعة. نفس وجود

---

١. سورة الفتح، الآية ٢٨ .

هذه الشعارات في الدنيا إنما كان بفضل بعثة الأنبياء و بعثة خاتمهم و آخرهم، و هذه الشعارات متوفرة للناس بشكل ناقص طبعاً و يسير البعض نحو تحقيقها.

إننا و كل البشرية اليوم نسير نحو التدين بمفاهيم و قيم هذه البعثة. و نحن في الجمهورية الإسلامية نفخر بأننا من البشر و الشعوب التي حققت و طبقت في حياتها شعارات الدين و العمل بالقرآن الكريم، و نسير نحو تحقيقها و تطبيقها بصورة كاملة. إننا نفخر بأننا عرفنا هذه الحقيقة و رأيناها و عشقناها و بدأنا المسيرة نحوها و تقدمنا على هذا السبيل إلى حد كبير. كل العالم و كل البشرية يجب أن تسير في هذا الطريق و سوف تسير فيه.

٢ – اسم الرسول الأكرم (ص) و ذكراه و محبّته و إكرامه.. المحور الرئيس لوحدة كل المسلمين

الأمر الثاني يتعلق بشخص الرسول الأكرم (صلى الله عليه و آله و سلم). اسم هذا الإنسان العظيم و ذكراه و محبّته و حرمته و تكريمه محور أصلي لاجتماع كل المسلمين في كل العصور الإسلامية. ما من محور آخر في كل الدين تحظى هكذا و من كل النواحي – من النواحي العقلية و من النواحي العاطفية و من النواحي الروحية و المعنوية و الأخلاقية – بقبول و اتفاق و تفاهم كل الفرق الإسلامية و جميع المسلمين. هذه هي النقطة أو المحور المركزي.

القرآن الكريم و الكعبة و الفرائض و العقائد كلها مشتركة، لكن كل واحدة منها تجتذب إليها بعداً من شخصية الإنسان كالعقائد و المحبة و الميول الروحية و حالات التقليد و التشبّه و التخلق العملي. ثم أن معظم هذه الأمور التي ذكرت تتفاعل بين المسلمين على أساس تفاسير و تصورات متعددة، لكن ما يُجمع عليه كل المسلمين من الناحية الفكرية و العقيدية – و أهم من ذلك من الناحية العاطفية و الشعورية – و يتوحّدون حوله و يتفاهمون هو الكيان المقدس للرسول الخاتم و النبي الأكرم سيدنا محمد بن عبد الله (صلى الله عليه و آله و سلم). ينبغي النظر لهذا المحور على أنه عظيم كبير. و ينبغي زيادة هذه المحبّة يوماً بعد يوم، و يجب تشديد و تعميق هذه الميول المعنوية و الروحية نحو هذا الكيان المقدس في أذهان المسلمين و كل الناس باستمرار.

تلاحظون في المؤامرات و الهجمات الثقافية على الإسلام أن من الجوانب المستهدفة

من قبل الأعداء هو الكيان المقدس و الجليل للرسول الأكرم (ص)، و الذي تعرّض للهجوم في كتاب «الآيات الشيطانية»، ما دلّ على المواطن التي تستهدفها مؤامرات الأعداء من منظومة المعتقدات و العواطف لدى الأمة الإسلامية.[١]

اقتران العاطفة و الإيمان في جاذبية اسم الرسول الأعظم (ص) و ذكراه

الاسم المقدس للرسول الأكرم (ص) من أكثر الظواهر الإسلامية جاذبية لدى كل المسلمين في العالم، إذ إن القضية هنا هي قضية العاطفة و الإيمان معاً. لذا فإن قوّة فاعلية هذه الذكرى و هذا الاسم بالنسبة للمسلمين أعظم من كثير من الظواهر الإسلامية الأخرى المعتمدة على الإيمان وحده، و التي لا دور للعواطف فيها. من هنا قال بعض المفكرين الكبار في العالم الإسلامي في العصور السابقة إن الاسم المقدس لهذا الإنسان العظيم و الإيمان به و ذكراه يمكنها أن تكون محوراً لوحدة المسلمين و اتحادهم عملياً. و هذا كلام صحيح. و لحسن الحظ فإن هذه المراسم اقترنت هذه السنة بالإعلان الرسمي عن تأسيس «مجمع التقريب بين المذاهب الإسلامية» حيث عقد إخوتنا هممهم و بدأوا هذا العمل، و يجب أن يسير إن شاء الله باتجاه الأهداف الإسلامية العليا.

نقطتان أساسيتان في قضية الوحدة بين المسلمين

ثمة في قضية الوحدة نقطتان أو توجّهان أساسيان لكلّ منهما بمفرده أهمية بالغة. حينما نرفع شعار الوحدة ينبغي أن نتنبّه لهاتين النقطتين الأساسيتين، و هذا هو المفيد لحياة المسلمين العملية:

---

١. من كلمته في لقائه قرّاء القرآن من أربعين بلداً و عدداً من المكفوفين في ذكرى بعثة الرسول الأكرم (ص) بتاريخ ١٩٩٠/٠٢/٢٣ م.

١ – التغلب على الخلافات و النزاعات الناجمة عن تحريضات الأعداء

إحدى هاتين النقطتين هي رفع الاختلافات و التناقضات و الاشتباكات و التعارضات و المماحكات التي كانت منذ قرون و إلى اليوم بين طوائف المسلمين و فرقهم، و قد كانت دوماً في ضرر المسلمين. لو راجعنا تاريخ الإسلام لوجدنا أن مصدر كل هذه التعارضات و التناقضات أو معظمها هو الأجهزة المادية الحاكمة. لاحظوا تاريخ الإسلام و سترون أنه منذ الاختلافات الأولى نظير مسألة خلق القرآن إلى باقي الاختلافات التي ظهرت على مرّ الزمن بين الفرق الإسلامية و خصوصاً بين الشيعة و السنة في الكثير من الفترات التاريخية، كانت أزمّة الكثير من هذه الاختلافات بيد القوى المتسلطة.

و طبعاً كانت هناك تأثيرات للجهل العام و العصبيات غير المستندة إلى منطق، و إثارة المشاعر بين الطرفين. لكن هذه هي مجرى أرضية مسبقة، و لا تخلق أيّاً من الأحداث الدامية الكبرى التي نقرؤها في التاريخ. مردّ تلك الأحداث الكبرى لأجهزة أرباب السلطة التي تنشد مصالحها في هذه الاختلافات. و حينما دخل الاستعمار البلدان الإسلامية بشكل مباشر في بعض البلدان و بشكل غير مباشر في بلدان أخرى، تبيّن بوضوح أنه يرنو إلى إثارة هذه الخلافات.

سلوك بعض الشخصيات الأوربية المعروفة، سواء السياسية أو الثقافية، فيه الكثير من العبر. حين كانوا يذهبون إلى مصر يتحدثون بطريقة معينة، و حين يقصدون الباب العالي في الدولية العثمانية يتحدثون بطريقة معينة، و عندما يأتون إلى إيران الشيعية يتحدثون بطريقة أخرى. و هدفهم إفساد نظام الوحدة الذي كان الاستعمار الأوربي و زعماء الحضارة الصناعية يخافونه، و كانوا على حق في خوفهم هذا. و قد فعلوا فعلهم و أوجدوا اختلافات عميقة و عجيبة بين المسلمين.

الوحدة التي نعلنها و نرفع شعارها و نتوق إليها و نتابعها و نعمل من أجلها نقطتها الأولى يجب أن تتركّز على رفع هذه التعارضات و التناقضات و الخلافات و الاشتباكات، و هذا ما يرضاه الله تعالى و المؤمنون المخلصون و الأولياء و العقلاء.

يجب التمهيد لمقدمات هذه العملية و أرضيّاتها. ثمة اختلافات عقيدية بين المسلمين، فلتكن. و ثمة تنوّعات قومية فيهم، فلتكن. و هناك تغاير عرقي بينهم، فليكن. يجب أن لا يدعو كل هذا للتنافس و التعارض و الاشتباكات و الجدال بين المسلمين. على الجميع أن يعملوا بإخلاص. و على العلماء الكبار و المفكرين و المستنيرين و الكتّاب و الشعراء و الفنانين أن يعتبروا هذا الأمر من واجبهم حقاً. الآية القرآنية الشريفة: «**و اعتصموا بحبل الله جميعاً**»،[1] و آيات قرآنية أخرى إنما تخاطبنا و كل المسلمين مقابل أعداء الإسلام. لنعمل بهذه الآيات.

٢ – توجيه وحدة المسلمين نحو سيادة الإسلام في المجتمع و العالم

النقطة الثانية هي أن هذه الوحدة يجب أن تصبّ في خدمة و لصالح سيادة الإسلام، و إلا كانت عبثية و بلا معنى. إذا كان علماء الإسلام يؤمنون بأن القرآن الكريم قال: «**و ما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله**»،[2] و أن الرسول الأكرم (ص) لم يبعث لمجرد أن ينصح و يتكلم و يعمل الناس بما بدى لهم، و ما عليهم إلا تقديم الاحترامات له، إنما جاء ليطاع، و يوجّه المجتمع و الحياة، و يشكل نظاماً و يقود البشر نحو أهداف الحياة الصحيحة، و إذا كان علماء المسلمين يؤمنون أن القرآن الكريم يقول: «**لقد أرسلنا رسلنا بالبينات و أنزلنا معهم الكتاب و الميزان ليقوم الناس بالقسط**»،[3] و أن إقامة القسط و العدل و رفع الظلم و توفير حياة سليمة للبشر هو هدف الأديان، إذن، يجب أن تكون المسيرة نحو سيادة الإسلام في البلدان و المجتمعات الإسلامية، و هذا أمر ممكن.[4]

---

١. سورة آل عمران، الآية ١٠٣ .

٢. سورة النساء، الآية ٦٤ .

٣. سورة الحديد، الآية ٢٥ .

٤. من كلمته في لقائه بمسؤولي البلاد و ضيوف مؤتمر الوحدة الإسلامية بتاريخ ١٩٩٠/١٠/٠٨ م.

الإسلام وصفة علاج لكل عصور الحياة الإنسانية

حدث البعثة العظيم، و على الرغم من مرور قرون متوالية و آراء المفكرين و العلماء في العالم عنه، لا يزال جديراً بكل تدقيق و تأمّل من جوانب مختلفة. بعثة النبي الأكرم (صلى الله عليه و آله و سلّم) حركة هائلة في تاريخ البشرية، و على سبيل إنقاذ البشر و تهذيب النفوس و الأرواح و الأخلاق، و مواجهة المشكلات و المصائب التي واجهتها الإنسانية في كل أطوارها و أحقابها، و لا تزال تواجهها. كل الأديان عارضت الشرور و الفساد و رسمت الصراط المستقيم نحو الأهداف العليا، لكن الدين الإسلامي المقدس يمتاز بأنه وصفة دائمية و فاعلة لكل عصور الحياة الإنسانية.

حين نقرأ في القرآن الكريم: «**هو الذي بعث في الأمّيّين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته و يزكّيهم و يعلمهم الكتاب و الحكمة**»،[1] فليس معنى هذا أنه بنزول الدين الخاتم و بعثة النبي الخاتم سوف تتزكّى كل النفوس الإنسانية، أو أنها تزكّت فعلاً، و ليس بمعنى أن البشرية من بعد بزوغ شمس القرآن الكريم لن ترى أثراً للظلم و التمييز و الشقاء و الاختلالات في مسيرتها نحو التكامل. لو قلنا إن الرسول الأكرم (ص) و الدين الإسلامي كانا من أجل تكريس العدل و إنقاذ المستضعفين و تحطيم الأصنام الحيّة و غير الحيّة، فليس معنى ذلك أن الظلم سيرتفع بعد طلوع هذه الشمس الوضّاءة، و أنه لن يكون هناك طواغيت و أصنام يحكمون و يتسلطون على رقاب الناس. و الواقع يدلّ أنه بعد طلوع الإسلام ظهر في أقطار العالم و حتى في البيئة الإسلامية، طبعاً بعد مضي عقود من الزمن، طواغيت مارسوا ظلماً ضد البشرية، و استمرت المعاناة التي كابدتها البشرية على طول تاريخها.

إخفاقات البشر ثمرة عدم العمل بوصفة الإسلام و الرسول الأعظم (ص)

إذن، المراد من أن غاية البعثة و هدفها هو إنقاذ الإنسان معنى آخر. معناه أن ما منحه الرسول الأكرم (ص) و الإسلام للناس هو وصفة شافية لكل العصور و الأحقاب.. وصفة مضادّة لجهل البشر، و لتكريس الظلم، و للتمييز، و لانسحاق

---

١. سورة الجمعة، الآية ٢ .

الضعفاء تحت أقدام الأقوياء، و لكل أوجاع البشرية منذ بدء الخلقة. و هي كباقي الوصفات إذا تمّ العمل بها فسوف تؤتي ثمارها و نتائجها، و إذا تركت أو أسيئ فهمها، أو لم تتوفر الجرأة على العمل بها فستكون كالعدم و لن تؤثر شيئاً. أفضل الأطباء إذا كتبوا لكم أصحّ الوصفات، و لم تستطيعوا أن تقرؤها أو أسأتم قراءتها أو لم تعملوا بها و بقيت بالتالي مهجورة، فلن يكون لها أي تأثير على المريض، و لن يكون هناك أي عيب أو ملامة على ذلك الطبيب الحاذق.

مضت قرون و نسي المسلمون القرآن الكريم، و مُحيت الخطوط القرآنية الواضحة للحياة، أو أسيئ فهمها أو حُرّفت عن عمد، أو أن الناس فهموها لكنهم لم يتحلوا بالجرأة و الشجاعة للعمل بها، أو إنهم عملوا بها و كانت بعض النتائج، لكنهم لم يضحّوا في سبيل الدفاع عن تلك النتائج و صيانتها. حتى في صدر الإسلام، لو أنهم لم يفهموا كلام الرسول (ص) أو لم يتجرّؤا على العمل به، و قد أشار القرآن الكريم إلى أمثال هؤلاء الناس: «**يقولون إن بيوتنا عورة و ما هي بعورة إن يريدون إلا فراراً**»،[1] أو لم يضحّوا من أجل حماية و صيانة النتائج المكتسبة فإن تلك النتائج ما كانت لتحصل، أو ما كانت لتبقى.

---

١. سورة الأحزاب، الآية ١٣ .

العودة لرسالة البعثة السبيل الوحيد لعلاج آلام المسلمين في العالم

معظم البلايا التي سادت حياة الناس في شبه الجزيرة العربية آنذاك بسبب الجهالة و العصبية، تسود حياة الشعوب المسلمة في العصر الراهن. ثمة في البلدان الإسلامية فقر و أمّية و تخلف علمي و استبداد داخلي و هيمنة القوى الاستكبارية و اختلافات داخلية. يعيش في العالم اليوم أكثر من مليار مسلم بوسعهم أن يكون لهم رأي و كلمة واحدة حاسمة في الأحداث العالمية المهمة، و لكن هذا التشتّت و المشكلات الداخلية و المعاناة الكبيرة تركت هذا الكمّ الهائل الذي يوجد فيه علماء و شخصيات ممتازة، تركته غير فاعل و ليست فيه فائدة! لماذا؟ هل هناك شيء يمكنه معالجة هذه الأوجاع؟ الإسلام و الانبعاث ببعثة النبي الأكرم (صلى الله عليه و آله و سلم).

على الشعوب الإسلامية أن تعود للإسلام. و الأبواب مفتوحة طبعاً. القرن الماضي أي القرن الرابع عشر للهجرة كان قرن النداءات و الهتافات الإسلامية. منذ بدايات القرن حيث أصدر الميرزا الشيرازي مرجع التقليد الإسلامي الكبير فتواه الحاسمة ضد الشركة الإنجليزية و أثار شعباً بكامله، إلى حادثة الثورة الدستورية في إيران، إلى الحركات الإسلامية في الهند، إلى الصحوة الإسلامية في غرب العالم الإسلامي في الشرق الأوسط و منطقة شمال أفريقيا و الشخصيات الكبيرة التي تحدثت و نادت، و السيد جمال الدين و آخرين و آخرين، كان ذلك القرن تقريباً قرن النداءات و الكفاح، أما القرن الذي تلاه فهو قرن التجربة. القرن الذي نحن فيه الآن هو قرن التجربة. القرن الرابع عشر للهجرة كان قرن النداءات و الصحوة و الإعلام، و هذا القرن الخامس عشر كان منذ مطلعه قرن التجارب و العمل.

نرى أن الشعوب الإسلامية اكتسبت تجارب و راحت تعمل، و من نماذج ذلك الجمهورية الإسلامية في إيران، و هي النموذج الأول. لأننا كنّا النموذج الأول فقد مررنا بالكثير من المشاكل، و على المسلمين أن يستلهموا التجارب من هذا النموذج. الشعوب التي تريد اليوم أن تطلق في بلدانها حركات إسلامية بوسعها عرض مشروع أشمل من الشعب الإيراني، إذا أعانها الله و إذا بذلت هي الهمم و الجهود اللازمة.

ليس أمام المسلمين من سبيل سوى العودة للإسلام، و سوى تأسيس حكم

إسلامي و تحقيق الإسلام و تطبيقه عملياً. ينبغي أن لا نأمل من أعداء الإسلام القدماء الحقودين أية مواكبة أو مساعدة. بل يجب أن لا نأمل منهم حتى أن يصبروا علينا و يسكتوا عنّا.[1]

التوحيد و العدالة.. هديتان معنويّتان من الرسول الأكرم (ص) للبشرية و كل الناس

يوم ولادة نبي الإسلام الكريم يوم للتدبّر في البركات و الخيرات اللامتناهية لهذا المولود الكريم، و ربما أمكن القول إن أعظم بركات هذه الولادة العظمى هي إهداء التوحيد و العدالة للمجتمعات البشرية. حتى في العصر الحاضر حيث التقدم العلمي و الفكري البشري، لا يزال البشر أسرى الشرك، و هذا ما يصدق عليهم حتى في البلدان المتقدمة جداً من الناحية المادية. لذا يتبيّن أن الاعتقاد بالتوحيد مع كل خيراته و بركاته بحاجة إلى نور لا يمكن التمتّع به إلّا عن طريق العقل المهديّ من قبل الوحي الإلهي. و قد قدّم رسولنا المكرّم (ص) هذه الهدية للبشرية، كما أهداها لها الأنبياء الذين سبقوه. للإيمان بالتوحيد خيرات و بركات في أرواح البشر و قلوبهم و حيواتهم يجب التفكير فيها و السير نحوها.

من الهدايا الإلهية الكبرى الأخرى التي أعطيت للبشرية عن طريق هذا الوليد الكريم هي العدالة.. هدية العدالة للإنسان الممتحن بانعدام العدالة.. منذ فجر التاريخ و إلى يومنا هذا، لا يزال انعدام العدالة معضلة البشر الكبرى. الدين الذي عرضه الوليد الكريم اليوم على الإنسانية يدعو الإنسانية لمثل هذه القمم الشامخة، أي التوحيد و العدالة في حياة الناس. إذن، بركات هذا اليوم و خيراته بركات و خيرات لكل البشرية، أي إن بوسع كل إنسان التمتع بها. هذا أولاً، و ثانياً هي خيرات لا تختصّ بزمن معين دون غيره. اليوم أيضاً تحتاج الإنسانية للعودة إلى التوحيد الخالص و دساتير العدل الإسلامي و الوصفة التي اختطّها الإسلام للعدل، حيث قال: «**إن أكرمكم عند الله أتقاكم**».[2]

---

١. من كلمته في لقائه بمسؤولي الجمهورية الإسلامية و الضيوف الأجانب المشاركين في مراسم عشرة الفجر ذكرى انتصار الثورة الإسلامية في إيران، و ذكرى المبعث النبوي الشريف بتاريخ ١٩٩٢/١٠/٠٢ م.

٢. سورة الحجرات، الآية ١٣ .

أي الدعوة للتقوى و الورع، و تحاشي دوافع التفرقة بين البشر كالقومية و العنصر و العرق و اللون و ما إلى ذلك.

البلدان المتقدمة مادياً في العالم اليوم لا تزال تعاني من مشكلة الأسود و الأبيض. الأسود له حدود و الأبيض له حدود. لا تزال هناك حروب عرقية و حروب العنصر و القوميات. و كم من البشر يقتلون و تضيع حقوقهم و يتشرّدون بسبب هذه الحروب القومية المفتعلة! إذن، البشرية اليوم أيضاً بحاجة لنداء الوحدة و التوحيد و العدل الذي رفع رايته الإسلام و المسلمون. من يعارض هذا المسار؟ يعارضه الأقوياء الذين ينتفعون من التفرقة، و من الشرك، و من انعدام العدل، و الذين يقوم صرح حياتهم و فلسفتها على التمييز. الأقوياء الكبار في العالم المادي، أي الذين يرفعون في بلدانهم شعارات الديمقراطية و يدّعون الديمقراطية و المساواة في الحقوق بين أفراد المجتمع، و الذين يعارضون بألسنتهم و ادعاءاتهم استبداد الحكومات، نفس هؤلاء يسحقون الديمقراطية اليوم على مستوى العالم. ترجيح شعب على شعب، و تفضيل منطقة على أخرى، و تمييز دم عن دم! سوّدوا الاستبداد على العالم ليديروا العالم كما يشاءون. هذا هو واقع البشرية اليوم. و نرى أن البشرية حالياً تحتاج لنفس النداء الذي رفعه رسول الإسلام الكريم (ص) بين الناس على أساس التوحيد و العدل. لقد أعلن الشعب الإيراني هذا الأسبوع أسبوعاً للوحدة، و نادى إمامنا الخميني الراحل (رضوان الله تعالى عليه) و الذي رفع دوماً راية الوحدة بين المسلمين، نادى في هذا الأسبوع بالوحدة، و أوصل نداءه هذا لأسماع كل المسلمين في العالم، بل لأسماع كل طلّاب الحق في المعمورة.

أسبوع الوحدة.. تأكيد على تلبية حاجة البشرية إلى دعوة الرسول للتوحيد و العدل

أسبوع الوحدة اسم مناسب. و الحمد لله، الوحدة قائمة و متينة بين أبناء الشعب الإيراني و بين شرائح الشعب مهما كان مسارهم و وضعهم و مهمّاتهم و أعمالهم. على الرغم من المؤامرات و ما يُنثر من بذور النفاق، فإن أبناء الشعب الإيراني متحدون مع بعضهم و يسيرون باتجاه واحد هو اتجاه الإسلام و القرآن الكريم و سيادة الدين من دون فرق بين الشيعة و السنة و القوميات المختلفة من فرس و عرب و ترك و تركمن و بلوچ و كُرد و غير ذلك. إنه شعب متلاحم متوحّد. الحق أن الشعب الإيراني نموذجي ببركة الإسلام. إنه نموذج ناجح بين الشعوب المسلمة. رضي الله عنكم أيها الشعب الإيراني لصدقكم في تلبية دعوة الدين و نداء إمامكم الخميني الكبير. يجب أن تحافظوا على هذه الحال. الوحدة الثمينة التي استطعتم بفضلها أن تحققوا كل هذه الانتصارات لها أعداؤها الذين يتربّصون بها الدوائر. يجب أن تكونوا واعين يقظين، و لا تسمحوا بنشوب خلافات. كونوا حذرين أكثر في المواطن التي توجد فيها ذرائع للاختلافات و بوسع العدو إيجاد مستمسكات للتفرقة. يجب أن تكونوا حذرين أكثر في قضية المذاهب و الاختلافات المذهبية التي استغلها الأعداء قروناً متمادية. على الشيعة أن يحذروا و على السنة كذلك أن يحذروا.[1]

٢ – إتمام مكارم الأخلاق

حول أهمية هذا اليوم المبارك، لو أراد شخص استخدام ألفاظ و عبارات معينة، ربما تعذّر بيان عظمة و أهمية المبعث بأي شكل أو بيان. ذلك أن الألفاظ استخدمت في الكثير من المواطن بصورة متكرّرة و بمعان مجازية، و لم تعد تستطيع أن تعبّر عن عظمة هذا الحدث. ربما أمكن القول مثلاً إن بعثة سيّدنا خاتم الأنبياء (صلى الله عليه و آله و سلم) حدث يمكن مقارنته بأصل خلقة الإنسان. فهو حدث عظيم و مهم إلى هذه الدرجة. ما يجب أن نهتم به كدرس و فائدة من هذا الحدث و العيد هو رسالة المبعث في حدود إدراكاتنا و قدراتنا. ما يمكن فهمه و قوله على الإجمال هو أن بعثة النبي

---

١. من كلمته في لقائه مسؤولي الدولة بمناسبة ذكرى ولادة الرسول الأكرم (ص) و الإمام جعفر الصادق (ع) بتاريخ ١٩٩٢/٠٩/١٤ م.

الأكرم (ص) في إطار الكيان الفردي و التحوّل الداخلي للإنسان و كذلك في إطار الحياة الاجتماعية، رسم هدفاً معيناً مشخصاً. في إطار الفرد، و الأصل هنا أن يحدث تحوّل في الإنسان، هناك آيات في كلام الله الكريم، نظير الآية الشريفة من سورة آل عمران: «**لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته و يزكّيهم و يعلمهم الكتاب و الحكمة**».[1] هذه التزكية و تعليم الكتاب و الحكمة هي نفسها التحوّل الداخلي عند الإنسان. من أجل أن يبلغ الإنسان الهدف و الغاية من خلقته يجب عليه أن يحقق هدف بعثة الأنبياء. أي أنْ يتحوّل و يتغيّر و يصلح و يكون صالحاً نقياً من الأدران و العيوب و الهواجس التي تعتمل في داخل الإنسان و تأخذ العالم نحو الفساد. هذا في خصوص الكيان الفردي للإنسان. و هذا هو الهدف من البعثة. و في قوله صلى الله عليه و آله و سلم: «**بعثت لأتمّم مكارم الأخلاق**»[2] نظير هذا المعنى، أي تهذيب الإنسان و تزكيته و الأخذ بيده نحو الحكمة، و نقله من الجهل و البساطة العامية إلى الفهم و الحياة الحكيمة. هذا ما يتعلق بالمستوى الفردي و الحياة الفردية.

٣ – العدالة الاجتماعية

على مستوى الحياة الاجتماعية، فإن الشيء المرسوم كهدف هو العدالة الاجتماعية. «**ليقوم الناس بالقسط**».[3] و القسط يختلف عن العدل. إذ للعدل معنى عام. العدل هو المعنى السامي و الراقي الجاري في الحياة الشخصية و العامة و الأجسام و الأرواح و الأحجار و الخشب و كل أحداث العالم. أي إنه يعبّر عن توازن صحيح و سليم. هذا هو العدل. إنه السلوك الصحيح و التوازن الصحيح و الاعتدال و عدم الميل نحو العيوب و الخروج عن الحدود. هذا هو معنى العدل. لكن القسط كما يفهم الإنسان هو العدل في العلاقات الاجتماعية، أي الشيء الذي نسمّيه اليوم «العدالة الاجتماعية». و هذا غير

---

١. سورة آل عمران، الآية ١٦٤ .

٢. بحار الأنوار، ج ٦٨ ، ص ٣٨٢ .

٣. سورة الحديد، الآية ٢٥ .

العدل بمعناه العام الكلي. مع أن مسيرة الأنبياء كانت نحو العدالة بمعناها العام «**بالعدل قامت السماوات و الأرض**»،[1] لكن الشيء الذي يمثل حالياً قضية بالنسبة للبشرية و الذي تتشوّق و تتعطش له الإنسانية و لا يمكنها العيش بما دونه هو القسط. القسط معناه أن يؤخذ العدل بأبعاد أصغر فيكون عبارة عن العدالة الاجتماعية.. «**ليقوم الناس بالقسط**».[2] من أجل هذا جاء الأنبياء.

البشرية لا تستطيع أن تعيش في ظل اللاعدالة و السلوكيات الظالمة و العدوان و التعرّض و الاعتماد على التعسّف و القوة. فهذه لن تكون بحياة، إنما هي جحيم. جاء الأنبياء ليصنعوا من بيئة الحياة جنة. طبعاً لو نظرنا بعين الدقة فإن هذه الثانية التي هي هدف الأنبياء على مستوى الحياة الاجتماعية مقدمة لوصول الإنسان لذلك الهدف المرسوم على صعيد الحياة الفردية، أي التحوّل الداخلي و الصلاح و أن يكون الإنسان إنساناً سليماً. كل شيء تلاحظونه في العالم، شكله الصحيح هو الذي ينتج الفائدة المطلوبة. لم يخلق الإنسان من أجل أن يوجّه الضربات و الأضرار للآخرين و يحسدهم و يريد كل شيء لنفسه و يحرم الآخرين، و تصدر عنه الشرور للعالم و الناس، و أن يلتصق بالأشياء الصغيرة و يغفل عن الكمال و المطامح السامية. الإنسان لم يخلق لهذه الأشياء. خلق الإنسان ليكون صالحاً مفيداً سائراً نحو الكمال. إذا كان هذا و سار الإنسان نحو الكمال، و كان الدرب الذي يسير فيه مفيداً له و للآخرين، كان هذا الإنسان متحوّلاً زكياً. هذا من أهداف البعثة.

الإنسانية المعاصرة و حاجتها الماسّة لرسائل البعثة

اليوم حيث تعمل مئات الألسن و الحناجر و الأقلام في العالم، و تحاول بدعم أموال الأجهزة الاستعمارية أن تنال من المعنوية و الدين و الإسلام و أي تدفق إسلامي، و أن توحي بأن هذه النظم المادية في العالم و هذه النظم المتغطرسة السائدة في الدنيا هي الصالحة و هي الجيدة، و ليس من حاجة إلى الإسلام كي يأتي و ينال

---

١. الكافي، ج ٥ ، ص ٢٦٦ .

٢. سورة الحديد، الآية ٢٥ .

من هذه النظم العاتية، هل ترى أن الإنسانية في غني عن البعثة؟ ألا تريد الإنسانية اليوم أن تزكّي نفسها؟ أليس من العيب على كل واحد من أبناء البشر أين ما كان أن يفكر براحة نفسه و أذى الآخرين؟ أليس من العيب على البشرية أن لا يكون هناك نزعة مبدئية بين أبنائها، و أن يقنع الجميع بالوضع السائد في حياتهم، و إذا كانت في يد شخص كسرة خبز قبض عليها بكل قوة لئلا يأتي متعسف يسرقها منه، و لا ينال هو منها شيئاً؟ هل هذا واقع صالح في العالم؟ هل هذا الوضع و هذا النظام العالمي هو الجنة الموعودة للبشرية؟ ألا يجب فعل شيء ضد هذا الوضع و لإصلاحه و تهذيبه؟ ألا يجب أن تبدي البشرية حركة و يكون لها انبعاث؟ ألا يسود «قانون الغابة» بالمعنى الحقيقي للكلمة في العالم اليوم، أو في أجزاء من العالم على الأقل؟ هل ثمة أثر هناك للقسط؟

انظروا إلى العالم من أقصاه إلى أقصاه. تلاحظون أن عدداً من شعب يبلغ الملايين بكباره و صغاره و نسائه و رجاله و مرضاه و أصحّائه و الكل و الكل تزهق أرواحهم من قبل عدد من الناس، و تهدّم بيوتهم، و يُعتدى على أعراضهم و نسائهم، و لا دواء لهم، و لا غذاء لهم، و لا راحة لهم، و لا أمن لهم، و لا يصدر عن العالم أي تحرّك بالمعنى الواقعي للكلمة! في أحداث البوسنة و الهرسك المريرة المبكية، ما هي الأسباب و المبرّرات التي يحملها الذين يمارسون ضد الناس كل هذا القمع و العنف؟ هل ثمة أسباب أو أدلة يحملونها لممارساتهم هذه؟ حتى لو كانت لهم أسبابهم القومية فليس هذا هو الحلّ و السبيل الصواب. و لو كانت لهم أسبابهم الدينية فليس هذا هو الحل و الطريق الصحيح. أن يجري القضاء على شعب بأكمله و أخذ أبنائه للمخيّمات لكي لا تكون لهم هناك أية حُرمة، ألا يدل هذا على وحشية حقيقية و سيادة قانون الغابة؟ يوم انهال الصرب على المسلمين في البوسنة تقتيلاً و إرهاباً، لو صدرت عن أطراف العالم و أكنافه في أوربا و أمريكا و آسيا و البلدان الإسلامية ردود أفعال حقيقية جادّة، و ساروا إليهم لتأديبهم، لكان ذلك دليل على وجود رشد و سلامة في العالم إلى جانب الانحراف و الشرور. و نرى أن مثل هذا الشيء لم يحدث.[1]

---

١. من كلمته في لقائه مسؤولي البلاد بمناسبة عيد المبعث النبوي الشريف بتاريخ ١٩٩٣/٠١/٢٠ م.

أوجه أهمية ولادة النبي الأكرم (ص) لعصر البعثة و كل عصور التاريخ

ولادة النبيّ الأكرم (صلى الله عليه و آله و سلم) مهمة بالنسبة لنا نحن المسلمين من عدة نواح. إنها ذكرى عميقة المعاني و المضامين. الناحية الأولى هي أن ولادة هذا الإنسان العظيم حدثت في وقت كانت فيه البشرية عموماً، و لا أخصّ شعباً بعينه أو أهل بلاد بحد ذاتهم، بل مجموع البشرية كان لها سمتان بارزتان. إحدى هاتين السمتين هي أنها كانت متقدمة من الناحية العلمية و العقلانية و الفكرية بالقياس إلى العصور التي سبقتها. فقد ظهر في البشرية فلاسفة و علماء و علماء رياضيات و أطباء و مهندسون كبار و حضارات كبيرة. و هذه الحضارات ما كانت لتظهر من دون علوم و معارف. الأكاديميات في الغرب، و الحضارات في الشرق، و حضارة الصين، و حضارة مصر، و الحضارات التاريخية الكبرى، كلها كانت قد ظهرت و مضت. أي إن البشر قد تكامل. هذه إحدى السمتين.

و السمة الثانية، و الجمع بين هاتين السمتين أمر عجيب جداً، هي أن البشرية كانت في تلك الفترة منحطة أخلاقياً أكثر من أي عصر سابق، أو إذا لم نشأ أن نقيم هذه المقارنة قلنا إنها كانت في الدرك الأسفل من الانحطاط. هذه البشرية المتمتعة بالعلوم و المعارف كانت أسيرة بشدة للعصبيات و الخرافات و الأنانيات و المظالم و الجور و الأجهزة الحكومية الدموية و اللاإنسانية. مثل هذا الوضع كان سائداً في العالم يومئذ. لو نظر شخص في التاريخ فسيرى أن البشرية كلها كانت في ذلك الزمن أسيرة. و كما ورد في كلام الإمام علي بن أبي طالب (عليه الصلاة و السلام) حيث يقول: «**في فتن داستهم بأخفافها، و وطئتهم بأظلافها، و قامت على سنابكها**».[1] كانوا يعيشون في منتهى الفتن و الضغوط و المحن و المشكلات و الاقتتال. كانت البشرية تعيش حياة جد مريرة. «**نومهم سهود**». يقول الإمام علي بن أبي طالب في هذه نفس هذه الخطبة إن نوم الناس كان سهوداً، أي إنهم لم يكن بوسعهم النوم براحة و طمأنينة و سكينة.

---

١. شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد)، ج ١ ، ص ١٣٦ .

من الخطأ أن يظن ظان أن هذه المشكلات كانت خاصة بجزيرة العرب. لا، حين تنظرون لمهد الحضارة في ذلك الحين، أي لبلاد الروم، تجدون مثل هذه الأحوال. هناك أيضاً و هم يزعمون يومذاك أن لهم ديمقراطية و مجلس شيوخ، كان يسود الناس استبداد و مفاسد حين تقرأون عنها في الكتب تخجلون أمام أنفسكم. يخجل الإنسان لأن الإنسان كان يعيش مثل هذا الانحطاط في زمن من الأزمنة. و في بلادنا إيران قديماً لم يكن الوضع أفضل من بلاد الروم. هم أيضاً كانت لديهم قدرات و سلطة و سيوف و رماح و بطولات قتالية و حماسة و ما إلى ذلك، لكن الفوارق الطبقية و الظلم و التمييز و الفساد و التعسف و الجهل و الخرافات لم تكن لها حدود تقف عندها. في مثل هذه الظروف ولد هذا المولود المبارك و الرسول الإلهي لإنقاذ البشرية.

ما ورد في التواريخ من أن قمّة قصر كسرى تصدّعت، و تزلزلت علامات الوثنية و الشرك في أنحاء العالم عند ولادته (ص)، فإذا كان هذا المأثور أكيداً، كان ذلك ربما علامة القدرة الإلهية، من أجل الإعلان الرمزي عن شروع القوة الإلهية التي يُراد لها زعزعة أركان الظلم و الفساد، و تنزيه العلم من الخرافات و الحضارة من الفساد و الظلم. و هذا ما فعله رسولنا الكريم. واجه هذا الوليد المقدس عند بعثته الكبرى مثل هذا العالم، و حال عبر جهاد جد عسير و صعب دون أن تستمر الإنسانية في تخبطها في الجهل و الخرافات و الفساد و الظلم و العصبيات المدمّرة و ظلم البشر لبعضهم و استغلال بعضهم لبعض. بل لقد غير وجّه الإنسانية، و أوجد وجهاً و وضعاً جديداً في العالم. و من البديهي أن مهمّة الرسول الخاتم (صلى الله عليه و آله و سلم) لم تكن إصلاح الدنيا كلها. لا، كان على هذا الرسول أن يتلقى هذا النموذج الصالح الصحيح من الوحي الإلهي و يعطيه للبشر، ليستخدمه الإنسان على امتداد حياته لحظة بلحظة. أما من الذي عمل بهذا النموذج و من الذي أضاعه فهذا بحث آخر. لقد أدّى هذا الإنسان الجليل رسالته بتمامها، و أكمل مهمته و انتقل إلى جوار رحمة ربّه.

مقارنة ظروف العالم اليوم بظروفه في عصر البعثة

و اليوم أيضاً تبرز هذه الذكرى مهمّة ذات شأن من حيث أننا يجب أن نتنبّه إلى أن العالم تقدم من الناحية العلمية و انحدر إلى الحظيظ من الناحية الأخلاقية. وصل الأمر بالعالم إلى درجة أن القوى العاتية في العالم تجعل من المعروف منكراً و من المنكر معروفاً على رؤوس الأشهاد و أمام أنظار الناس في العالم. أعتقد أنه لا شيء أسوء من هذا في عالم الفساد و انحطاط الإنسانية. يقول الرسول في إحدى الروايات إنه سيأتي زمان يأمر فيه الناس بالمنكر و ينهون عن المعروف. فتعجّب المستمعون، فأوضح لهم أن المنكر سيكون معروفاً. و يشعر المرء في الوقت الراهن أن أيدي القوى المادية المستكبرة المنفلتة المتكبّرة المتفرعنة المتعسّفة تصنع مثل هذه الأشياء. يكذبون على الناس علانية، و يعتبرون هذا الكذب عملاً مقدساً! يشجّعون على الظلم، و يعتبرون الظالم محقاً في ظلمه هذا! يدينون المظلوم و يدمغونه و يعدّون قمع المظلومين هذا عملاً صالحاً حسناً!

هكذا أضحى الوضع في العالم اليوم. ذهبت جماعة و اغتصبت فلسطين، و لم تكتف باغتصاب فلسطين، إنما عرّضت المسلمين الفلسطينيين طوال أكثر من أربعين عاماً لشتى صنوف القمع و الضغط و التشريد و التقتيل و الإذلال. و هذا منكر بيّن جليّ. من لا يخطّئ إنساناً يدخل بيتكم عنوة و يقمعكم!؟ يجب تخطئة الظلم. و لاحظوا اليوم أن السلطات الأوربية و أمريكا و خدّامها و التابعين لهذه القوى و الراضخين لإملاءاتها و الحكومات التي تقوم بإشارة من الأصابع الأمريكية و لا صلة لها بشعوبها، لاحظوا أنها تعاضدت كلها لتصويب ما يقوم به هذا الظالم الذي مارس ظلمه هذا بكل وضوح و جلاء. و من جهة أخرى عندما يجاهد الشباب الفارغ الصبر في فلسطين و لبنان هذا الظالم الجائر، و هو عمل ممدوح في رأي كل عقلاء العالم، إذا بهم يرفعون أصواتهم بأن هؤلاء إرهابيون و ظالمون، و لماذا قتلتم و لماذا ضربتم و لماذا لم تستسلموا و لم تخضعوا؟!

حبّ الرسول الأكرم (ص) محور الوحدة بين المسلمين في العالم

أعزائي.. إن مسلمي العالم يستطيعون الاتحاد تحت اسم النبي الأكرم (صلى الله عليه و آله و سلم) أسهل و أسرع من أي شيء آخر. فهذه هي سمة هذا الإنسان العظيم. لقد قلت مراراً إن هذا الإنسان العظيم هو مجمع و ملتقى عواطف المسلمين، فالمسلمون يعشقون رسولهم. اللهم اشهد أن قلوبنا مفعمة بمحبّة رسولك. يجب الانتفاع من هذه المحبة، فهي محبّة حلّالة للمشكلات. المسلمون اليوم بحاجة للأخوّة و الوئام. شعار «**إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم**»[1] أهمّ اليوم من أي وقت آخر. الضعف و الذلة التي يعاني منها المسلمون في بلدان العالم حالياً ناجمة عن هذه التفرقة و الاختلاف. لو كان المسلمون متحدين لما حلّ بفلسطين ما حلّ بها. و لما عانت البوسنة مما عانت. و لما كان هذا وضع كشمير. و لما كان هذا وضع طاجيكستان. و لما عاش مسلمو أوربا هذه المحن و الصعاب. و لما تعرّض المسلمون في أمريكا لهذا التعسّف. السبب هو أننا متفرقون مختلفون في ما بيننا.

نادت الجمهورية الإسلامية بالوحدة فانهالت عليها كل القوى الاستكبارية! و بالطبع فقد استطاعت الجمهورية الإسلامية لوحدها الانتصار على كل هذه القوى. لماذا؟ لأنها نادت بالوحدة و هم أعداء الوحدة. وحدة المسلمين في ضررهم. لذلك يحاولون تحطيم هذه الوحدة. أقول: يجب على علماء الشيعة و السنة أين ما كانوا من العالم، و بما في ذلك بلادنا العزيزة، أن يحذروا و يدققوا. لقد كان ثمن هذه الوحدة التي في إيران غالياً. و قد كلف تكريس نداء الوحدة في العالم غالياً. فلا تحطموه بسهولة! و كل من يحطمه فهو خائن كائناً من كان. و لا فرق في ذلك بين السنّي و الشيعي.[2]

ظروف العالم في زمن البعثة

أهمية يوم المبعث من الناحية المعنوية أعظم حقاً من أن يستطيع أمثالي الإدلاء بكلام واضح حوله. بيد أن هناك نقاطاً حول تأثير البعثة في حياة البشر على مدى

---

١. سورة الحجرات، الآية ١٠ .

٢. من كلمته في لقائه مسؤولي البلاد و شرائح الشعب المتنوعة بمناسبة ذكرى ولادة الرسول الأكرم (ص) و الإمام الصادق (ع) بتاريخ ١٩٩٣/٠٩/٠٥ م.

العصور التاريخية، يمكن طرحها و التحدّث عنها.

كانت البعثة في ظروف فراغ حقيقية، فالبشرية كانت بأمسّ الحاجة لهذه البعثة الكبرى. و قد شاء الله تعالى حسب مقتضى حكمته البالغة أن يكون مكان هذه البعثة العظيمة و الواقعة الكبرى في محلّ يحول دون أن تتلوّث المفاهيم الحقيقية للبعثة بالمفاهيم الشائعة في ذلك العصر، و أن تشتهر بذلك في العالم إذ ذاك و تبقى صحيحة عبر التاريخ. هذه بحد ذاتها نقطة تتعلق بمكان البعثة الخاتمة التي لم تقع في بلاد الروم مثلاً أو بلاد اليونان أو غيرهما من البلدان المتقدمة يومذاك.

في زمن البعثة النبوية الشريفة كانت هناك حضارات كبيرة في العالم. كانت هناك شعوب لها معارفها الفلسفية و العلمية البشرية و وعيها الحضاري. و كان يمكن أن تقع البعثة في تلك البلدان و المناطق، لكن الله تعالى لم يجعل هذه البعثة التي كان يجب أن تستمر للبشرية طوال التاريخ و إلى ما لا يعلمه إلّا الله، لم يجعل الله تعالى هذه البعثة في منطقة قد تتسبّب في أن تتدخّل فيها عند انعقاد نطفتها الأولى عناصر غريبة و أجنبية. كانت في غرب الأرض آنذاك بلدان فيها حضارات كبرى. و تعاملهم مع الأنبياء يدلّ على أنهم كانت لهم حضارات. و من ذلك أهالي مدينة أنطاكية التي يروي القرآن الكريم في سورة «يس» قصة بعثة ثلاثة أنبياء لها، و ينهيها بكفر هؤلاء الأهالي و عدم شكرهم. هذا ليس بالشيء القليل. و قد روى لنا التاريخ أيضاً بعض المعطيات عن تلك الأمم. لم يجعل الله رسوله الخاتم في تلك الأماكن.

لم تكن في جزيرة العرب معارف، إنما كان هناك الشرك و معارف الشرك، و بمستويات هابطة. لذلك نلاحظ في القرآن الكريم حرباً شعواء ضد الشرك. سورة الإخلاص التي تؤكد كل هذا التأكيد على «**لم يلد و لم يولد**»، حيث توجد في هذه السورة القصيرة أربع آيات تقول: «**لم يلد و لم يولد**»، و تركّز كذلك على «**و لم يكن له كفواً أحد**»،[1] كل ذلك من أجل محو الشرك من الأذهان و عدم اختلاطه بالرسالة الإلهية. أية ممارسة شركية مرفوضة في الإسلام. و إذا تجاوزنا هذا، فقد ولد

---

١. سورة الأخلاص، الآيتان ٣ و ٤ .

الإسلام الخالص، و انتقل إلى أرجاء العالم خالصاً. لذلك أين ما ذهب و سار كان قاطعاً متميزاً في مقابل الحضارات و الثقافات المختلفة، إلى أن تغيّر الخلوص لدى دعاته و تغيّرت حالة الخلوص في الدعوة أيضاً. هذه البعثة أمر دائمي للبشرية. و هذه هي ميزة بعثة خاتم الأنبياء (صلى الله عليه و آله و سلم). أي كلّما فرغت ساحة العالم و الحياة البشرية من المعنوية، استطاعت هذه المعارف التي ينطق بها القرآن الكريم ملء هذا الفراغ في أي زمان. نوعية المعارف الإسلامية بحيث تستطيع في كل الظروف إيجاد قوة داخل هذه المجموعة من القوانين و المعارف يمكنها في كل الظروف ملء الفراغات المعنوية، و تمكين البشرية من العيش في أجواء معنوية.

تناظر الظروف في العالم اليوم مع زمن البعثة من حيث الحاجة إلى سبيل الإسلام العقلاني المعنوي

و اليوم أيضاً يعيش العالم ما يشبه تلك الظروف. ما هو الشرط اللازم في أن تستطيع دعوة معينة أن تجد مكانها بين الشعوب و البلدان، و تكسب من يصغون إليها؟ الشرط الأول هو أن تكون منطقية و معقولة. أية كلمة تفصل الإسلام عن منطقه العقلاني الذي يتحلى به تنتهي في ضرر تنامي الإسلام و انتشاره. الذين يتحدثون حول القضايا و الشؤون الإسلامية و يبدون وجهات نظرهم يجب أن يتفطنوا لهذه النقطة. الإسلام دين عقلاني. الإسلام دين يفهمه العقل السليم و الفطرة و تدركه و تتقبله و تستحسنه. هذه هي ميزة الإسلام. و هذا ليس بمعنى أن كل حكم من أحكام الإسلام له برهان عقلاني. لماذا صلاة الصبح ركعتان؟ هل يتحتّم أن نسوق لذلك برهاناً عقلياً؟ لا. و ليس بمعنى أن أي عقل مهما فهم و أدرك يجب أن نجد رأيه في الإسلام. القضية ليست كذلك أيضاً. بل بمعنى أن المعارف الإسلامية، ما صحّ منها نسبته إلى الإسلام و حكم أهل الخبرة و الاختصاص بأنها إسلامية حقاً، يمكن الدفاع عنها في أية أجواء عقلانية و علمية.

يمكن تسويغ الصلاة لأكثر الناس مادية، و شرحها و تفهيمها له، و إيضاح ما هي الصلاة و لماذا هي واجبة في الإسلام. أحد المفكرين الغربيين في القرن التاسع عشر، و هو قرن اللادينية في العالم الغربي، و هو شخصية معروفة شهيرة و لا أريد ذكر الأسماء،

يقول: «ثمة سرّ عظيم كامن في الصلاة». نعم، لو لم يكن فيها سرّ عظيم كامن لما رفع شخص مفكر صوته لصالحها في تلك البيئة المادية. الأشخاص المنصفون و أهل العلم و العقل و المنطق و الاستدلال و البرهان يمكنهم استيعاب كل المعارف الإسلامية و استحسانها و قبولها. هذه هي ميزة الإسلام.

إذن، المنطقية و العقلانية من خصوصيات الإسلام. إذا حاول البعض فصل الإسلام عن هذه الخصائص و الخصال، أو القول في دعواتهم و إعلامهم «هذه على الضد من العلم و العقل»، أو نسبوا عملياً إلى الإسلام ما ليس من الإسلام، و ما لا يستطيع العقل السليم تصديقه و قبوله، فهم يضرون يقيناً بنشر الإسلام، و لا يساعدون على ذلك أبداً. هذه من خصوصيات العناصر الذاتية التي تستطيع نشر الإسلام.

الميزة الأخرى في الإسلام هو أنه رسالة معنوية و إلهية. أي خلافاً لما ينسب للمسيحية من تغلب الجوانب الأخروية فيها على جوانبها الدنيوية، فإن الإسلام ليس كذلك. الإسلام يعتبر الدنيا جزءاً من الآخرة. حياتكم هذه و تجارتكم و دراستكم و أعمالكم الإدارية و نشاطكم السياسي هي كلها جزء من آخرتكم. الدنيا قطعة من الآخرة. أو هذه الأعمال التي تقومون بها بنية صالحة، إنما هي حسنات تقرّبكم في الآخرة من الله و المراتب المعنوية العليا. أو أعمالكم المنطلقة من نوايا سيئة لا سمح الله، أي ما تفعلونه بنيّة الأنانية و عبادة الذات فإنه يجرّ عليكم الانحطاط و الهبوط و السقوط في الدرك.

هكذا هو الإسلام. كل بيئاتنا الحياتية و كل مساعينا الدنيوية هي جزء من الآخرة. الدنيا و الآخرة ليستا منفصلتين. السيّئ هو أن تقوموا بمساعيكم المادية اليومية ذات العلاقة بحياتكم في هذه النشأة بنوايا سيئة. هذه هي الدنيا الذميمة التي قيل عنها ما قيل. لكن هذه النشأة غير منفصلة عن تلك النشأة. و هذا العالم غير منفصل عن ذلك العالم. هذا العالم مزرعة لذلك العالم. ما معنى المزرعة؟ و هل يمكن حصد المحصول من غير المزرعة؟ هذا يعبّر عن منتهى الوحدة و التناسق و التوحّد. و مع أن

للإسلام مكانته و كلمته في أنحاء الحياة البشرية، إلا أن الإسلام مع ذلك دين معنوي. القلوب في بيئة الدين الإسلامي يجب أن تتجّه نحو الله. و النوايا يجب أن تكون لله. هذه من خصوصيات الإسلام و من وسائل نشر الإسلام.

النقص الذي يستشعر في العالم اليوم، و الذي يشعر به الناس في العالم أنفسهم، هو نقص المعنوية و الفراغ المعنوي، و خصوصاً في العالم الغربي. بقوا مقيدين بالماديات و انفصلوا عن المعنويات و غرقوا في الشهوات. خصوصية الشهوات هي أنها في بداية الأمر شهوة لكنها تتحوّل بالاستمرار و المواصلة إلى جحيم! إذا سادت الشهوات على حياة فرد أو شعب تتحوّل إلى جحيم. هذه هي خصوصية الشهوات البشرية. لا يمكن أن تروا شخصاً يعيش حياة طيبة هانئة في الشهوات لمدة طويلة. مثل هذا الشخص لم يخلقه الله. إذا نظرتم و بحثتم و حققتم فسوف تصلون إلى هذه النتيجة. هذه قضية واضحة و أكيدة. استمرار البقاء في الشهوات يخلق للإنسان جحيماً. و هذا هو الجحيم الذي استغرق حالياً بعض الناس المتنعّمين في الغرب. و غير المتنعّمين يعيشون في جحيم من الفقر و البؤس و الفساد. طبعاً ثمة استثناءات. من كل شريحة لا بدّ أن يكون هناك أشخاص استثنائيون. و لا شك أن هناك بينهم أناس و أفراد صالحون. لكن النوع هو هذا. العالم اليوم بحاجة لهذه البعثة.[1]

بعثة النبي الأكرم (ص) ينبوع كل الفضائل في العالم

ولادة النبي الأكرم (ص) محطة بارزة في التاريخ بالنسبة لأي فرد مسلم. فقد أفضت هذه الولادة لاحقاً إلى حركة هائلة في تاريخ الإنسانية. كل فضيلة في العالم ناجمة، و إن بشكل غير مباشر، عن تلك البعثة و إقامة مكارم الأخلاق على يد الرسول الأعظم (ص). يعلم كل مسلم أنه ما من قطب أفضل من الكيان المقدس للرسول الأكرم (ص) من أجل تركيز عواطف العالم الإسلامي و مشاعر شتى الفرق الإسلامية، فجميع المسلمين يحبّون هذا الإنسان الكبير الذي كان محور الأمة الإسلامية على مرّ التاريخ. إذن، هذه الولادة مهمة بالنسبة لنا.

و بالطبع فقد دلّ التاريخ الإسلامي على أنه بعد نحو مائة سنة من وفاة الرسول

---

١. من كلمته في مسؤولي الدولة و مدرائها بمناسبة يوم المبعث النبوي الشريف بتاريخ ١٩٩٤/٠١/١٠ م.

الأكرم (ص) تولّى الإمامة حفيده الإمام جعفر الصادق (عليه الصلاة و السلام) و كان ذلك بزوغاً جديداً للأهداف و المعارف الإسلامية. الجمهورية الإسلامية تولي اهتماماً خاصاً لولادة النبي الأكرم (ص) و بعثته و كل ما يتعلق به. لماذا؟ لأن إيران الإسلامية هي اليوم و على مستوى العالم كله و تحت مظلة السماء، هي المنطقة الوحيدة من العالم التي تطبّق فيها بشكل رسمي أحكام الإسلام، و تنظم القوانين و المقررات طبقاً للقرآن الكريم و سنة الرسول الأكرم (ص)، و يُعمل بها، و بعبارة أخرى فإنها أهم بقعة على الأرض تشهد مثل هذا التحرّك الهائل. ثمة في إيران دولة تحكم باسم الإسلام، و هذا في الحقيقة شيء يلقي تكليفاً على عاتق كل المسلمين في العالم. لأن الحكومة إذا كانت على أساس الإسلام فمعنى ذلك أن الإسلام يُعمل به. أما إذا كان الإسلام بمعنى عقيدة الأفراد و أعمالهم في المجتمع من دون سيادة الدين، فإن القرآن و الإسلام سيكونان مهجورين في مثل هذا المجتمع.

و قد ورد مصداق هذا في القرآن الكريم في سورة الفرقان على النحو التالي: «**و قال الرسول يا ربّ إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً**».[1] فما هو معنى هجر القرآن؟ لا شك أنه ليس بمعنى أن الناس دفعت عن نفسها كلياً هذا القرآن و اسم القرآن و اسم الإسلام. فهذا ليس اتخاذاً. «**اتخذوا هذا القرآن مهجوراً**» بمعنى أن القرآن معهم، و لكن معهم إلى جانب الهجر. القرآن موجود و لكنه مهجور. معناه أن القرآن يُتلى في المجتمع و يحترم ظاهرياً و لكن لا يعمل بأحكامه، و تُسلب الحكومة من القرآن بذريعة فصل الدين عن السياسة. إذا كان المقرر للقرآن و الإسلام أن لا يحكما فلماذا كان كل هذا الكفاح و الجهاد الذي خاضه النبي الأكرم؟ إذا كان رسول الإسلام (ص) يعتقد أنه يجب عدم التدخل في حكم الناس و إدارة حياتهم و في السلطة السياسية في المجتمع، و يكفي أن يكون للناس معتقداتهم الإسلامية و أن يؤدوا أعمالهم الدينية في بيوتهم، لما كان من الأكيد أن تفرض على الرسول كل هذه الصنوف من التحديات و الكفاح و الجهاد و المعارضات. إنما كان موضع الخلاف بين الرسول و

---

١. سورة الفرقان، الآية ٣٠ .

معارضيه على السلطة السياسية و تولي القرآن الكريم للسلطة. هجر القرآن الكريم معناه أن يكون اسم القرآن موجوداً من دون سيادة القرآن و حكمه. أين ما لم يكن القرآن الكريم هو الحاكم في العالم الإسلامي، يصدق خطاب النبي «**يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً**».[1]

معايير الاختلاف بين عصر البعثة و العصر الجاهلي

في المصطلح القرآني و الحديثي و في العرف الإسلامي يسمّى العصر السابق لعصر البعثة بالعصر الجاهلي. و قد استخدم هذا التعبير و هذا المصطلح في القرآن الكريم، و هو موجود في الروايات و عرف المسلمين، حيث يضعون الحقبة الإسلامية في مقابل العصر الجاهلي. و طبعاً ثمة حدود و ضوابط، فما هي هذه الضوابط؟ ثمة نقاط تفصل العهد الإسلامي عن العهد الجاهلي، و هي النقاط الإسلامية الأصلية و القيمية.

١ – التوحيد الخالص

يأتي التوحيد الخالص في الدرجة الأولى من هذه النقاط. و معنى التوحيد الخالص هو نفي عبودية غير الله. هذا هو التوحيد الخالص. لم يكن التوحيد مجرد أن يتركوا الأصنام. فللتوحيد معنى شامل و عام و سائر على مرّ التاريخ. و هل الأصنام موجودة دوماً؟ الأصنام الحجرية و الخشبية ليست موجودة دوماً. معنى التوحيد و روحه عبارة عن انتهاء الإنسان عن عبودية غير الله، و أن لا يعفّر جبهة العبودية على الأرض أمام غير الله. هذا هو معنى العبودية الكاملة الخالصة. و لو نظرتم بعين مستنيرة واعية متسلحة بالعلوم لحياة البشر – العلوم الاجتماعية و التربوية و ما إلى ذلك – فسترون أن دائرة العبودية دائرة واسعة. عبودية الأنظمة الاجتماعية الخاطئة، و عبودية الأعراف و التقاليد الخاطئة، و عبودية الخرافات، و عبودية الأشخاص و القوى المستبدة، و عبودية الأهواء النفسية – و هذه هي الأكثر شياعاً من غيرها – و عبودية المال و القوة. هذه هي أنواع العبودية.

---

١. من كلمته في لقائه مدراء الدولة و ضيوف مؤتمر الوحدة الإسلامية بتاريخ ١٩٩٤/٠٨/٢٦ م.

حين نقول: «**لا إله إلّا الله، وحده لا شريك له**»،[١] فمعنى ذلك التوحيد الخالص. معناه أن تزول كل هذه العبوديات جانباً، و إذا كان هذا تحقق الفلاحُ و الصلاحُ فعلاً. حين قال: «**قولوا لا إله إلا الله تفلحوا**»،[٢] فهذا الفلاح هو فلاح حقيقي. و ليس مجرد فلاح سياسي، و لا فلاح اجتماعي، و لا فلاح معنوي، و ليس مجرد الفلاح في يوم القيامة، بل هو فلاح الدنيا و الآخرة. هذه نقطة حول مميزات الإسلام و العلامات البارزة في الدعوة الإسلامية يمكن التعبير عنها بشكل آخر، و هو أن الإسلام يعني التسليم و **الإسلام لوجه الله** و التسليم لله. هذا جانب آخر و بعد آخر لذلك التوحيد. هذا على سبيل المثال أحد مميزات الدعوة الإسلامية. أين ما كانت هذه كان الإسلام. و أين ما كان الضدّ من هذه كانت الجاهلية. و كل ما كان بين هذا و ذاك كان ما بين الإسلام و الجاهلية، فهو ليس بالإسلام الخالص أو الكامل، بل هو إسلام قد يكون نصفي ناقص.

٢ – تحكيم العدل

نقطة أخرى في الدعوة الإسلامية هي تسويد العدل و تحكيمه بين الناس. من خصوصيات الجاهلية نظامها الظالم. الجور كان عرفاً دارجاً في الجاهلية. و لم يكن الأمر بحيث يقع الظلم في أحيان نادرة من بعض الأشخاص. إنما كان أساس نظام المجتمع هو الظلم و التمييز و منطق القوة و تعسف القويّ ضد الضعيف، و تعسف الرجل ضد المرأة، و تعسف الثريّ ضد المعدم، و تعسف السيد مقابل العبد. و هؤلاء الأسياد أنفسهم يرضخون بدورهم لعسف السلاطين و أصحاب الحكم و السلطة. كانت الأمور عسفاً في عسف و ظلماً في ظلم. كانت حياة الناس كلها ظلماً و تمييزاً و تعسفاً. هذه هي صورة الحياة الجاهلية. و أين ما كان الوضع على هذا النحو كان وضعاً جاهلياً. و قد جاء الإسلام بالحالة المقابلة لهذا. جاء بتكريس العدل و تسويده و

---

١. وسائل الشيعة، ج ١ ، ص ١٥ .

٢. بحار الأنوار، ج ١٨ ، ص ٢٠٢ .

تحكيمه. «**إن الله يأمر بالعدل و الإحسان**».[1] هذه من خصوصيات المجتمع الإسلامي.

و العدل ليس مجرد شعارات. على المجتمع الإسلامي أن يسعى للعدل، و إذا لم تتوفر العدالة وفّرها و عمل على تحقيقها. إذا كان في العالم قطبان أو نقطتان إحداهما العدل و الثانية الظلم، و كلاهما ليست من الإسلام، فإن الإسلام ينظر بعين الموافقة لنقطة العدل حتى لو كانت غير إسلامية. المهاجرون إلى الحبشة بعثهم الرسول الأكرم (صلى الله عليه و آله و سلم) بنفسه للحبشة. أي إنه بعثهم ليلجؤا إلى ملك كافر بدافع العدل. و بعبارة أخرى، أبعدَ الناسَ عن بيوتهم و حياتهم و بيئتهم بسبب الظلم الذي يتعرّضون له. هذه بدورها نقطة تتعلق بتكريس العدل و انتهاجه و إشاعته و السعي و الجهاد لتحقيقه و تكريمه و تبجيله – حتى لو كان في بلاد غير مسلمة – و إدانة الظلم في أية بقعة من العالم. هذه من الخصائص الإسلامية، و تلاحظون أن الحياة الإسلامية و حياة الرسول الأكرم (صلى الله عليه و آله و سلم) و التاريخ الإسلامي في أفضل أزمنته و أنزه فتراته يدلّ على تحرّي العدل و تنميته. هذه بدورها من مميزات بعثة الرسول الأكرم (صلى الله عليه و آله و سلم). إنني أذكر هذه الأمور من باب المثال. تنبّهوا لنصل إلى حيث نستطيع أن نستخلص من هذه الأمور ما ينفعنا لمسيرتنا الراهنة. فنحن لا نروم مجرد استعراض التاريخ أو إحدى معارف الإسلام لنخزنها في الأذهان و نزيّن بها أذهاننا.

٣ – مكارم الأخلاق

و ثمة في النظام الإسلامي نقطة ثالثة هي السير نحو مكارم الأخلاق. و هذه النقطة غير تلكم النقطتين. مرة يكون في المجتمع أشخاص يتمتّعون بأخلاق صحيحة. فأفراد ذلك المجتمع أشخاص يتحلون بصفات الصفح و التفكير و العقل و الخير و الإحسان و مساعدة الآخرين و الصبر على المشكلات و الحلم عند الصعاب، و الخلق الحسن في تعاملهم مع بعضهم، و الإيثار عند لزوم الإيثار. و قد يصدق العكس. أي قد يكونوا

---

١. سورة النحل، الآية ٩٠ .

أناساً لا تقوم العلاقات بينهم على أساس الرحمة و المروءة و الإنصاف و الأخلاق الحسنة، بل على أساس المنفعة الشخصية. فالواحد يتحمّل الآخر طالما اقتضت مصالحه، و إذا لم تكن مصالحه تقتضي ذلك فسيكون على استعداد للقضاء عليه و إفنائه. هذا أيضاً نوع من المجتمعات. هذا المجتمع مجتمع جاهلي، و يختلف عن مجتمع تسوده مكارم الأخلاق و يسمّى المجتمع الإسلامي. ميزة بعثة رسول الإسلام (صلى الله عليه و آله و سلم) هي الدعوة لمكارم الأخلاق. و هذا عنصر و نقطة أخرى في الحياة الرسالية للنبي الأكرم (ص) و بعثته. إذن، يمكن في الواقع القول إن الأخلاق أحد الحدود و المميزات بين الإسلام و الجاهلية.

٤ – عدم تحديد النظرات و الهمم بالحياة الدنيا

نقطة أخرى نجعلها الأخيرة هي عدم تحديد النظرات و الرؤى بالحياة الدنيا. و هذه نقطة أساسية. من خصوصيات النظام الجاهلي هو أن أفراده يرون كل شيء ملخّصاً في الحياة الدنيا. إذا استطاعوا الحصول على شيء في الحياة الدنيا من قبيل الأكل و النوم و ما يحتاجه الإنسان، اعتبروا أنفسهم فائزين رابحين. أما إذا تقرر أن يجدّوا و يجتهدوا و يسعوا سعياً لا يحصل الإنسان على ثماره في هذه الدنيا، اعتبروا أنفسهم مخدوعين مهزومين خاسرين. هذه من خصوصيات الحياة الجاهلية. ليس في الحياة الجاهلية أن يعمل المرء عملاً يحتسبه عند الله و المعنوية و يوم الجزاء. و قد جعل الإسلام إحدى خصوصياته أن الحياة كلها و همم الإنسان كلها لا تتحدّد بالحياة الدنيا. هذه من خصوصيات البعثة و الوضع المقابل لها هو الجاهلية.[١]

أهمية الوحدة و ضرورة السعي الدؤوب لتحقيقها

من الصدقات الجارية للثورة الإسلامية و التي تحققت بفضل الذهنية الواعية لإمامنا الخميني الراحل (رضوان الله تعالى عليه) أن تعلن أيام ولادة النبي الأكرم (عليه و على آله الصلاة و السلام) أياماً للوحدة بين المسلمين. إن هذه القضية لافتة من حيث أن الوحدة الإسلامية من الآمال. البعض يراودهم حقاً هذا الأمل، و البعض يتحدثون فقط و كلامهم مجرد لقلقة لسان. على كل حال لا بدّ لهذا الأمل من طريق لتحقيقه

---

١. من كلمته في لقائه مدراء الدولة و مسؤوليها بمناسبة عيد المبعث النبوي الشريف بتاريخ ١٩٩٤/١٢/٣١م.

عملياً.

ما من أمل يمكن أن يتحقق من دون سعي دؤوب و جدّ و جهاد. حين نفكّر بالسبل العملية لهذا الهدف و الأمل نجد أن من أفضلها و أعظمها هو هذه الشخصية الضخمة في عالم الخلقة أي الكيان المبارك لرسول الإسلام العزيز (ص)، و مركزيته لعواطف و عقائد العامّة من المسلمين. قد لا يكون لنا بين حقائق الإسلام و معارفه محور يتفق عليه المسلمون بكل آرائهم و عقائدهم و عواطفهم بهذه الصورة، أو أنه نادر جداً. فالعواطف لها دور كبير. ما عدا بعض الأقليات و الجماعات المنفصلة عن عامة المسلمين من الذين لا يعيرون أهمية للعواطف و لا يبالون للمحبة و التوجّه و التوسل، فإن عامّة المسلمين يحملون عواطف جيّاشة تجاه النبي الأكرم (عليه و على آله الصلاة و السلام). لذلك يمكن لوجود هذا الإنسان العظيم أن يكون محوراً للوحدة.

خصوصيات أعداء الإسلام و الصحوة الإسلامية في العصر الراهن

أريد اليوم بحضور مسؤولي البلاد رفيعي المستوى و الشخصيات البارزة في العالم الإسلامي أن أركّز تركيزاً خاصاً على هذه النقطة.

أيها الإخوة الأعزاء، أيتها الأخوات العزيزات.. الوحدة اليوم حاجة أكيدة و حاسمة للمسلمين. لأعداء الإسلام و المسلمين في الوقت الراهن خصوصيتان لم تكونا لهما طوال التاريخ. الأولى هي أنهم مجهّزون تجهيزاً كبيراً بالمال و السياسة و الإعلام و مختلف أدوات التأثير و النفوذ و الإضرار بالغير. من هم أعداء الإسلام؟ إنهم جبهة الاستكبار، من الصهيونية إلى أمريكا، إلى الشركات النفطية، إلى الكتّاب المرتزقة و المثقفين الذين يعملون لهم، و يتمتعون حالياً بكل المعدّات و الأدوات اللازمة. لم تكن الجبهة المعادية للإسلام مجهّزة بكل الأدوات اللازمة إلى هذا الحد الذي هي عليه اليوم.

الخصوصية الأخرى هي أن هذه الجبهة القوية المجهزة غدت اليوم حساسة جداً حيال الخطر الذي يمثله الإسلام و الصحوة الإسلامية لها. و هذه الحساسية ناجمة عن أنهم يرون أن الإسلام يستطيع أن يكون أكثر من مجرد توصية أخلاقية، و أن يظهر بمظهر الفكر الذي بوسعه إنشاء نظام. شاهد أعداء الإسلام أن الإسلام استطاع إيجاد

ثورة، و رأوا أن الإسلام تمكن من إيجاد نظام مستقر و ثابت، و شاهدوا أن الإسلام استطاع توعية شعب بذاته و إخراجه من حالة الانهزام النفسي و تحويله إلى حالة الاستقرار و الاعتماد على الذات و الاعتزاز بذاته و بدينه. وجدوا أن الإسلام يستطيع أن يمنح شعباً من القدرة و القوة ما يجعل كل تلك الأدوات التي ذكرناها كليلة عاطلة ضده.

بعد نحو سبعة عشر عاماً من انتصار الثورة و قيام نظام الجمهورية الإسلامية، اضطرت القوة الوحيدة التي تزعم أنها قوة عظمى في العالم لأن تتراجع أمام الجمهورية الإسلامية سياسياً و اقتصادياً. هذه حالة مشهودة في الوقت الحاضر، و لا تخفى عن أعين المحللين التابعين للاستكبار العالمي. اقتدار الإسلام راح يعبّر عن نفسه. هم لاحظوا أن أية فئة في العالم الإسلامي تنشد إصلاح مجتمعها و بلادها تتمسك بالإسلام. قبل انتصار الإسلام في إيران، كانت الجماعات التي تريد في مختلف البلدان رفع شعار الإصلاح تعتصم بالماركسية أو القومية المتطرفة، أما اليوم فحين ينظرون للبلدان الإسلامية يجدون أن المثقفين و الشباب و رجال الدين و الجامعيين و شتى فئات الشعب حين يريدون المناداة بالإصلاح يتمسّكون بالإسلام. هذا يعبّر عن القدرات و الإمكانيات العالية في الإسلام. هذا ما يراه العدوّ، و لذلك صار حساساً من الإسلام.

يقف العالم الإسلامي اليوم مقابل أعداء الإسلام و المسلمين الذين يتميّزون بهاتين الخصوصيتين: العُدّة و التجهيزات غير المسبوقة و الحساسية تجاه الإسلام أكثر من أي وقت مضى. فماذا سيفعل هذا العدو؟

أفضل وسيلة يمتلكها هذا العدوّ هي أن يزرع الخلافات بين المسلمين، خصوصاً بين الأجزاء التي يمكنها أن تكون ملهمة لسائر المسلمين. لاحظوا اليوم في البلدان الإسلامية المختلفة كم ينفقون من الدولارات النفطية و غير النفطية من أجل أن يضعوا الكتب و ينسبوا عقائد عجيبة غريبة للشيعة. في وقت من الأوقات جمعتُ عدداً كبيراً من هذه الكتب فوجدت أنهم كتبوا الكثير منها. تعمل و تجدّ أحذق العناصر الإعلامية لإعداد

و إصدار هذه الكتب الرامية لتأجيج الخلافات، و لفصل جزء من العالم الإسلامي رفعَ راية الإسلام، و تمثل إيران الإسلامية قمّته و ذروته – و كذلك بقية المناطق التي استطاعت بفضل الإسلام السير لحرب مصاعب الحياة و منازلة القوى العاتية – عن باقي أجزاء العالم الإسلامي.

في العالم الإسلامي اليوم الكثير من الأموال و الكثير من الأفكار، و طاقات بشرية جيدة، و عدد كبير من العلماء و الشعراء و الكتّاب و الفنانين و الشخصيات السياسية المبرّزة، و جزء كبير من المصادر المالية الهائلة و المصادر الجوفية العالمية – المعادن و المواد الجوفية التي منّ الله بها – موجودة في البلدان الإسلامية. و إذا كانت هذه الطاقات متعاضدة و في سياق واحد، أو لم تكن ضد بعضها على الأقل، لاحظوا ما الذي سيحدث في العالم! و العدو يعمل ما من شأنه أن تصطف كل هذه المصادر البشرية و المالية في العالم الإسلامي ضد بعضها. حرّضوا النظام العراقي و أشعلوا لثمانية أعوام حرباً مدمرة في المنطقة، ثمّ ساعدوه لاستئصال هذه الغرسة الفتية من جذورها استئصالاً تامّاً، و لم يستطيعوا ذلك طبعاً.

«**ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت**».. هذه هي سمة الكلمة الإسلامية، إنها عصيّة على الاستئصال.. «**و فرعها في السماء تؤتي أكلها كلّ حين بإذن ربّها**». [1]

إنهم في الوقت الحاضر يبذلون قصارى جهدهم السياسي، لذا فإن استنتاجي و فهمي و تصوّري و توصيتي باعتباري خادماً و شخصاً يرى مؤامرة العدو و يشعر بها، توصيتي للإخوة المسلمين هو أن الاتحاد بين المسلمين ضرورة حيوية للمسلمين في الظرف الراهن. الاتحاد ليس هزلاً أو شعاراً. على المجتمعات الإسلامية أن تحقق اتحاد الكلمة في ما بينها بكل جد، و تتحرّك تحرّكاً متناسقاً موحّداً. و بالطبع فإن الوحدة قضية معقدة، و توفير الوحدة عملية معقدة. الاتحاد بين الشعوب الإسلامية حالة تنسجم مع اختلاف المذاهب و اختلاف أساليب الحياة و أعرافها و تقاليدها، و

---

١. سورة إبراهيم، الآيتان ٢٤ و ٢٥ .

كذلك مع اختلاف المناحي الفقهية. معنى الاتحاد بين الشعوب الإسلامية هو أن يتحرك المسلمون في اتجاه واحد في القضايا ذات الصلة بالعالم الإسلامي، و يساعد بعضهم بعضاً، و لا يستخدموا أرصدتهم ضد بعضهم.

شخصية النبي الأكرم (ص) و تعاليمه.. محور الوحدة بين مسلمي العالم

من الأمور التي يمكنها أن تمثل قطباً في هذا المجال هي الوجود المقدس للنبي الأكرم (صلى الله عليه و آله و سلم). على المسلمين و المثقفين الإسلاميين أن يركّزوا على شخصية هذا الإنسان العظيم و تعاليمه و محبّته بنظرة شاملة مستوعبة للإسلام. من العوامل التي يمكنها أن تكون محوراً لهذه الوحدة و بوسع جميع المسلمين كلهم أن يتفقوا عليها اتباع أهل بيت الرسول. فجميع المسلمين يؤيدون أهل بيت الرسول. طبعاً الشيعة يعتقدون بإمامتهم، و غير الشيعة لا يعتبرونهم أئمة بمعنى الإمامة كما هي في المصطلح الشيعي، لكنهم يعتبرونهم من الشخصيات الكبرى في الإسلام، و أهلَ بيت الرسول و عائلته، و أصحابَ معرفة و اطلاع على المعارف و الأحكام الإسلامية. على المسلمين أن تكون لهم وحدة كلمتهم في خصوص العمل بكلمات الأئمة عليهم السلام و أهل بيت الرسول. هذه إحدى وسائل الوحدة.

طبعاً هذه عملية فنية تخصصية لها مقدماتها و ليست بالعملية اليسيرة. من هم من أهل الفن و الحديث و العلوم ذات الصلة بالحديث يعلمون ما هي مقدمات هذه العملية. يجب الاتفاق على معايير فهم الحديث و تلقيه و احتمالاته و معايير صحته و اعتباره. يجب الاتفاق على رجال الحديث. في الماضي عملت أجهزة الخلافة العباسية و الأموية بطريقة تخرج معارف أهل البيت من ذهنية العالم الإسلامي، لذلك قلّ ما نقلت رواياتهم. يروي المحدّث الحديث و لا فرق عنده في نقل الحديث عن الحسن البصري أو قتادة أو غيرهما. فلماذا لا ينقل عن جعفر بن محمد عليه الصلاة و السلام؟! أجهزة خلافة الرشيد و المأمون و المعتصم و المتوكل و أمثالهم هي التي منعت ذلك و أغلقت الطرق، و البعض كانوا يتهمون رجال الحديث. لذا من الأعمال التي يجب أن تنجز و تتم التصوّر المشترك بخصوص مقدمات الحديث. تقع على العلماء واجبات في هذا

الخصوص، و تقع على المفكرين الإسلاميين وظائف و واجبات على هذا الصعيد.

كم هو مؤسف و محزن أن يهتم ذهن المفكر الإسلامي الذي يجب أن يكتب لأجل عزة المسلمين و رفع راية الإسلام، بالمسائل الخلافية و بث الخلافات و خلق المعارك و الفواصل بين المسلمين، و أن يكتب و يعمل في هذا الاتجاه. يتهم هذا و يخرج ذاك من الدين! على علماء الدين واجبات كبيرة لتحقيق الوحدة و توفير مقدماتها. و ليس المقصود علماء جانب واحد، بل علماء الجانبين.

أيها الإخوة و الأخوات.. أحياناً يستخدم العدو من أجل خلق الفرقة و الخلافات – بين الشيعة و بين السنة – أشخاصاً قد لا يكونوا مغرضين قاصدين. تحدث في المجتمع شيعي أمور تثير حفيظة الإخوة المسلمين غير الشيعة و حساسيتهم. و مثل هذه الشيء يحدث في المجتمع السني في ما يتعلق بالأمور التي يتحسّس منها الشيعة و يكرهونها. من الذي يقوم بهذه الأعمال و الممارسات؟! هناك عدوّ واحد أمامنا اليوم، هذا فضلاً عن وجود كتاب واحد و سنة واحدة و رسول واحد و قبلة واحدة و كعبة واحدة و حج واحد و عبادات واحدة و أصول عقيدية واحدة في المجتمع الإسلامي. طبعاً ثمة اختلافات أيضاً. الاختلافات العلمية قد تقع بين اثنين من العلماء. و بالإضافة إلى كل هذا هناك عدو واحد أمام العالم الإسلامي. قضية الاتحاد بين المسلمين قضية جدّية. هكذا ينبغي التعامل مع هذه القضية. كل يوم تتأخّر فيه هذه القضية يخسر العالم الإسلامي.. و هذه الأيام بعضها حساسة إلى درجة أنها قد تؤثر لحقبة طويلة من الزمن. يجب أن لا تسمحوا بتأخّر الوقت و فواته.

لقد سارت الجمهورية الإسلامية في هذا الطريق من البداية بفضل من الله تعالى. و قد كان إمامنا الخميني الجليل (رضوان الله عليه) رائد هذا الدرب، و بذل الكبراء و المسؤولين و الخطباء و الكتاب و الأجهزة المختلفة و المفكرون في العالم الإسلامي الكثير من المساعي. لا تسمحوا بضياع هذه الجهود.

نتمنى أن يعيننا الله تعالى، و يرسّخ الخطى و يثبت الأقدام و يهدي القلوب في هذا السبيل و يعاضد أيدي الوحدة فتلتحم بقوة و دفء، و يقرّب القلوب من بعضها أكثر

فأكثر إن شاء الله.[١]

بعثة النبي الأكرم (ص) يوم ولادة أعظم المفاهيم و القيم و أشرفها

يوم البعثة هو على التحقيق أعظم الأيام في تاريخ البشرية. إنه يوم ولادة أعظم و أشرف المفاهيم و القيم. بعثة النبي الأكرم (عليه و آله الصلاة و السلام) كانت خطوة عملية لأخذ البشرية من ناحية إلى الغاية و القمة في الكمال الفردي و الروحي و المعنوي، و أخذها من ناحية ثانية إلى سموّ الحياة الاجتماعية و إصلاح وضع المجتمعات. ما أهدي للناس في بعثة ليس مجرد عدد من المفاهيم الجافة و طريق ليس فيه سالك و لا من يمسك بزمام أمور الناس في هذا الدرب. منذ اللحظة الأولى تجسّدت هذه البعثة في وجود هذا الإنسان العظيم نفسه ثمّ في أرواح و أعمال المؤمنين بهذه الرسالة، و تلقت الجاهلية منذ البداية ضربة من هذه الرسالة فراحت تواجهها و تحاربها. هذه هي خصوصية بعثة الأنبياء.

و هذا الأمر لا يختصّ بنبوة الرسول الخاتم. يسير الأنبياء و يبرزون في أعمالهم ما يهدونه للبشرية على مستوى التعليم. هم أنفسهم أول من يسير في هذا الدرب.

«**يعلمهم الكتاب و الحكمة**»[٢] فرع على أن علم الكتاب و الحكمة متوفر في الوجود المقدس للنبي الأكرم بدرجاته العليا. «**يزكيهم**»[٣] فرع على أن ذلك الكيان المطهّر، زاكٍ متزك بأرفع درجات التزكية الممكنة في الطبيعة البشرية. و بهذه القوة و الطاقة يستطيع السير بعالم كامل نحو التزكية. هذا هو الشيء الذي لا نصيب لقادة المدارس المختلفة و رواد المفاهيم الفلسفية و الاجتماعية و السياسية المتنوعة منه. هؤلاء أشخاص تخطر ببالهم أمور و يفهمون في عالم التصور بعض الأشياء فيروونها للناس و ينقلوها إليهم. و بعض الناس يتعلمون منهم و بعضهم لا يتعلمون. هذا يختلف عن

---

١. من كلمته في لقائه المسؤولين و المدراء في الدولة و الضيوف الأجانب المشاركين في المؤتمر الدولي للوحدة الإسلامية بتاريخ ١٩٩٥/٠٨/١٥ م.

٢. سورة البقرة، الآية ١٢٩ .

٣. م س .

درب الأنبياء الذي تكون فيه الحركة هي السابقة و الممارسة العملية هي المتقدمة، و يكون تحقيق الشعارات التي تجري على ألسنهم مشهوداً في أعمالهم و ممارساتهم منذ بداية الشوط. و هذا ما حصل تحديداً في حياة النبي الأكرم (ص).

بدأ التعليمُ و التزكية و السيرُ في سبيل أقامة القسط منذ اللحظة الأولى. و لذلك بدأت الصدامات و المعارضات منذ اللحظة الأولى. منذ أن وسّع النبي الأكرم (ص) من دعوته استجابة للنداء الربّاني، «**و أنذر عشيرتك الأقربين**»[1] و إلى حين نشرها و إعلانها على عامة الناس، و إلى حين حركته باتجاه النظام الاجتماعي — و هو نظام العدل — و إقامته هذا النظام. طبعاً ما نشاهده و نصفه في البعثة هو السياق الظاهري للبعثة. أما تلك الحقيقة الإلهية و الملكوتية و الشيء الذي يحدث بين الخالق المتعال و إنسان ممتاز مختار فهو خارج حدود طاقاتنا الذهنية و لا ندري ما الذي حدث. الحدث من هذه الناحية عظيم إلى أبعد الدرجات و خارج حدود تصوراتنا. ما نراه و يمكننا أن نتصوره، يفهم منه كل إنسان بمقدار فهمه و تدبّره، و تترك هذه الحادثة تأثيراتها على المتلقين و البشر و العالم المحيط بها.

هدفان واضحان للبعثة:

منذ بداية وقوع هذا الحدث كان فيه شيئان اثنان كهدفين واضحين: أحدهما إيجاد التحرك الداخلي و الروحي و النفسي لتوجيه باطن الإنسان نحو الله تعالى. هذه هي النقطة الأولى. إنها قضية الإيمان و التوجّه لخالق العالم و ربّه، و على حد تعبير الكثير من الآيات القرآنية «الذكر». ما يمنحه الله تعالى للبشر بالدرجة الأولى عن طريق البعثة هو الذكر و التذكّر و وعي الإنسان لنفسه. هذه هي الخطوة الأولى. و ما لم تحصل هذه الخطوة فلن يتحقق أي من أهداف النبوات و البعثات. «**إنما تنذر من اتبع الذكر**»[2] الذي يوفر في نفسه هذا الذكر و يتبعه سيكون بعد ذلك جديراً بالإنذار و الإصلاح و الإرشاد و التكامل و الكفاح في سبيل الأهداف الاجتماعية. هذه هي

---

١. سورة الشعراء، الآية ٢١٤ .

٢. سورة يس، الآية ١١ .

الخطوة الأولى.

حين تغفل الإنسانية عن المعنويات فسوف تنغلق في وجهها كل أبواب الإصلاح و الصلاح. انظروا للعالم المادي اليوم! ما يمكن أن يعدّ في العالم المادي اليوم مفتاح كل الإصلاحات و السعادات هو أن يصحو الناس على أنفسهم و يتذكروا و يبحثوا عن هدف الخلقة من وراء هذه الظواهر المادية، إذ ينبغي أن يفتشوا وراء هذه الظواهر المادية للحياة و المتمثلة بالأكل و النوم و الشهوات و السلطة و المال و ما إلى ذلك عن حقيقة معينة. انتظار إلهام معين و توقعه. الإصغاء إلى أوامر مصدر و مبدأ حاكم و قادر و صاحب تحكّم من وراء الغيب. هذا هو أصل القضية. و على حد تعبير القرآن الكريم أيضاً فإنه «الإيمان بالغيب»: «**الذين يؤمنون بالغيب**».[1] ينبغي أن لا يغرق البشر في هذه الظواهر المادية للحياة، و أن لا يختزلوا الحياة في هذا الأكل و النوم و الشهوات و الميول البشرية و السلطة و الرئاسة و ما إلى ذلك. هذه هي الهدية الأولى التي تقدمها البعثات للبشرية و هو أول أهداف الأنبياء.. أن يذكّروا البشر و يمنحوهم الإيمان، و الإيمان هنا الإيمان بالغيب.

الهدف الثاني الذي رنا إليه الرسول منذ اللحظة الأولى هو توفير بيئة سليمة و نزيهة لمعيشة الإنسان و تفاعل الحياة البشرية. عالم لا يكون فيه ظلم و تمزيق للضعيف من قبل القويّ. عالم لا يكون فيه حرمان و إخفاقات مطلقة للضعفاء، و لا تسوده قوانين الحروب. و هذا هو ما يسمّى في المصطلحات القرآنية و الحديثية و الدينية «القسط و العدل». و هذا هو أكبر آمال البشر. أكبر آمال البشر منذ فجر التاريخ الإنساني (أي منذ أن أكتسب الإنسان شيئاً من التعقل و التفكير و راح ينظم أمور حياته و يرتبها) و إلى يوم البشر هذا هو طموح تحقيق العدالة. إذا كان البعض يرفعون شعار السلام، و السلام بالطبع شيء حسن جداً، فإن السلام حسن حين يكون سلاماً عادلاً. و الكثيرون يختارون الحرب من أجل تحقيق العدالة، فيقاتلون في سبيل العدالة. لذا يتبين أن العدالة أهم و أرقى من السلام. و هذه هي الحقيقة.

---

١. سورة البقرة، الآية ٣ .

٢ – تحقيق مجتمع سليم و عادل

حياة البشر من دون عدالة هي الشيء الذي تلاحظونه في أقبح وجوه التاريخ البشري. و هو شيء يلاحظ اليوم أيضاً هنا و هناك من العالم. كل التعاسات التي تشاهدونها في شتى المجتمعات راهناً ناجمة عن الظلم و انعدام العدالة. قد لا تفصح ظواهر الأمور عن هذا الشيء، لكن باطن القضية هو هذا. إذا كنتم تشاهدون الأطفال يموتون من فقدان الغذاء في رقعة من العالم فظاهر القضية هو أن هذا حصل بسبب عدم هطول الأمطار و الجفاف، لكن باطن القضية شيء آخر. باطن القضية هو انعدام العدالة. لو كان العدل سائداً في ذلك المجتمع منذ الأجيال السابقة و إذا كانت العدالة سائدة على بيئة الحياة البشرية لاستطاع الإنسان في ظل هذه العدالة أن يشيد حياته بطريقة مقبولة بحيث لا يعاني أبناؤه من البؤس و التعاسة و لا تكون الحياة على هذا القدر من القبح و الآلام. الناس يصابون بهذه الأمراض و الآلام نتيجة انعدام العدالة.

تأمين العدالة هو أول أهداف الأنبياء كلهم إلى جانب قضية «الذكر» التي أشرنا لها. هذان هما الهدفان الرئيسيان. طبعاً أحدهما أهم من الثاني، ألا و هو قضية الذكر. فالذكر هو أساس القضية و جذرها. إذا كانت الغفلة فلن يحصل شيء و لن تتحقق العدالة. لذلك لاحظتم الأنظمة و الأشخاص الذين نادوا بالعدالة الاجتماعية أخفقوا في إهداء مجتمعاتهم شيئاً من سنخ العدالة. بلى، منحوهم أشياء أخرى، من قبيل فتح الفضاء و الصواريخ العابرة للقارات، لكنهم لم ينجحوا في تكريس العدالة الاجتماعية في مجتمعاتهم! فالعدالة الاجتماعية تحصل في ظل إصلاح الإنسان و إصلاح النفوس و البواطن و في ظل التوجّه لله و ذكره. هذان كانا هدفي الرسول الأكرم (ص) و قد استطاع تحقيقهما، و إنْ في دائرة محدودة.

لقد أوجد مجتمعاً ذاكراً لله و واعياً و يتمتع بالحد الأعلى من العدالة الاجتماعية. قد يحصل في زاوية من زوايا ذلك المجتمع أن يظلم إنسان إنساناً، بيد أن هذا ليس ملاكاً لانعدام العدالة. ملاك وجود العدالة أو انعدامها هو استقرار العدالة الاجتماعية

و سيادتها و تكريسها. في المجتمع الذي يكون فيه القانون و السلطة عادلين و الحاكم عادلاً و النوايا نوايا عادلة تتجّه المسيرة العامة صوب العدالة الاجتماعية. قد يجري طيّ هذا الطريق و الفراغ منه عاجلاً أو آجلاً، و قد يستغرق ذلك مدة من الزمن، لكنه سينتهي أخيراً إلى العدالة الاجتماعية. لقد أوجد الرسول الأكرم (ص) مثل هذا الوضع و الواقع. لم يطق و لم يوافق صلوات الله و سلامه عليه و آله أدنى انعدام في العدالة. عرض النموذج الصالح و قد شهدنا إلى فترات طويلة بعد رحيله (ص) آثار تلك التربية في المجتمعات الإسلامية، و شهدنا خلال فترة خلافة الإمام علي بن أبي طالب (عليه الصلاة و السلام) نفس تلك العدالة المطلقة متجسدة في شخص الحاكم المطهّر العظيم في العالم الإسلامي آنذاك.

هاتان الخصوصيتان من سمات البعثة. إننا إذ نحتفل بالمبعث فلإحياء هذه الخصوصيات. نحتفل لإحياء الشخصيات و الدروب و الطرق و الأحداث و استلهام الدروس و العبر منها.[1]

ولادة رسول الإسلام (ص) رحمة إلهية دائمة على البشر

كان هذه الولادة الكبرى ولادة أرقى نموذج للرحمة الإلهية على البشر. لأن وجود هذا الإنسان العظيم و إرسال هذا الرسول الكبير كان رحمة الحق تعالى على عباده. كانت ولادة الرحمة. «**و يضع عنهم إصرهم و الأغلال التي كانت عليهم**».[2] يا لها من أعباء ثقيلة كانت على عاتق كل أبناء البشر في ذلك الحين! يا لها من أغلال مجهدة ضُربت في تلك الأزمنة على أعناق الإنسانية! و كذا الحال اليوم أيضاً. لو قال قائل إن الأعباء التي تثقل على عاتق البشرية راهناً ليست بأقل من الأعباء الجسيمة التي كانت تثقل على عاتق الناس الجاهليين في جزيرة العرب يومذاك، لما قال شططاً. الظلم الذي يمارس ضد أبناء البشر، و الحقوق التي تُغمط في المجتمعات البشرية، و تغليب الماديات

---

١. من كلمته في لقائه مدراء الجمهورية الإسلامية الإيرانية بمناسبة يوم المبعث النبوي الشريف بتاريخ ١٩٩٥/١٢/٢٠ م.

٢. سورة الأعراف، الآية ١٥٧ .

في حياة الإنسانية و إقصاء المعنويات عن بيئة الحياة البشرية، و هي أمور تفرض في الوقت الحاضر على أبناء الإنسانية بالقوة و بأساليب مختلفة، هذه كلها أعباء على عاتق البشرية. ما تشعر به البشرية اليوم في حقبة الحضارة الصناعية و تحت إشعاعات المادية البرّاقة الخادعة أثقل و أصعب – و في بعض الأحيان – أمرّ مما كان الناس يشعرون به و يثقل على كواهلهم في ظلمات الجاهلية عند ظهور الإسلام!

حاجة المجتمع البشري لتعاليم الإسلام

إذا تنبّهت الإنسانية في هذا العصر لهذه الرحمة – رحمة وجود الإسلام و رحمة التعاليم النبوية و ينبوع الوحدة الفيّاض – و وجدتها و روّت ظمأها منها، فسوف تزول المشكلة الأكبر للبشر. مع أن الحضارات الموجودة في العالم اليوم قد استفادت بلا شك من تعاليم الإسلام، و لا مراء أن ما يوجد من صفات و أساليب جيدة و مفاهيم سامقة بين البشر مستمدة من الأديان الإلهية و تعاليم الأنبياء و الوحي السماوي، و جزء كبير منها يعود للإسلام، لكن البشرية اليوم بحاجة للمعنوية الإسلامية، و النقاء و الخلوص الإسلاميين، و المعارف الجلية الواضحة و الحقة و الجذابة في الإسلام، و التي يتقبلها و يفهمها كل قلب منصف. و لهذا اكتسبت الدعوة الإسلامية في العالم أنصارها، و تقبّل الكثير من غير المسلمين الدعوة للإسلام. و تقبّل دعوة الإسلام لا يعني بالضرورة تقبّل الدين الإسلامي و الدخول فيه رسمياً. إنما هذه مرحلة من تلك المسيرة. و مرحلة أخرى هي أن يتقبّل الناس في العالم رسالة الإسلام و معارفه و حقائقه و اقتراحاته بخصوص هذه المسألة أو تلك. اليوم حينما تقف الشعوب أمام رسالة الإسلام تشعر بأشياء مفيدة لها و تملأ فراغات حياتها. ما يطرحه الإسلام حول قيمة الإنسان و أهميته و أهدافه، و ما يقوله الإسلام حول العائلة و المرأة و أهداف العلم و العلاقات بين المجتمعات و العلاقات الاجتماعية بين الأقوياء و الضعفاء، أشياء عندما ينظر لها الذين يعيشون تحت مظلة الحضارات المتنوعة يشعرون أن عقد حياتهم تنحلّ بهذه الأشياء و تزول. لذا فإن رسالة الإسلام لها جاذبيتها. و لهذا السبب فإن تعامل الاستكبار العالمي و الأجهزة الإعلامية العالمية – المرتبطة بمراكز التعسف و الظلم و

محاربة الإنسان – مع رسالة الإسلام تعامل عنيف شديد الخصومة.

منذ أن تأسس نظام الجمهورية الإسلامية – الدالّ على تحقق الإسلام على مستوى الحياة في بلد من البلدان و الذي يثبت تحقيق الاقتراح السياسي للإسلام – في بقعة من بقاع العالم، و ظهرت الجمهورية الإسلامية في إيران، تضاعفت الخصومات ضد الإسلام و القيم الإسلامية من قبل القوى الظالمة المستكبرة على مستوى العالم. طالما كان الإسلام في المساجد و في زوايا القلوب، و ما لم ينزل الإسلام إلى ساحة السياسة و الكفاح و الحكم و الميادين الدولية الكبيرة، لم تكن أقطاب الظلم و الطغيان العالمية تشعر بالخطر منه حتى تشتبك معه و تصطدم به. و منذ أن رفع النظام الإسلامي راية الحكم في هذا البلد، و استجاب المسلمون من أقطار العالم لنداء الإمام الخميني الراحل العظيم (رضوان الله عليه) و أبدوا ميولهم و حبّهم نحوه، و سارت جماعات كثيرة في هذا الاتجاه، و غدت شعارات إحياء الإسلام ثانية شعار الساعة لدى المسلمين، من حينها ازدات الخصومات ضدهم و تضاعفت.[١]

البعثة.. نقطة انطلاق البشرية في مسيرتها التكاملية

في إطار تقييم واقعي يجب القول حقاً إن ما حدث في مثل هذا اليوم – في لحظة بعثة نبي الإسلام المكرّم – هو أكبر حدث في تاريخ البشرية، و قد ترك آثاره على حياة الإنسانية. قضية البعثة قضية جد عجيبة و مهمة و زاخرة بالأحداث و المعاني و ممكنة الدراسة و التأمل و التدقيق.

و بالطبع فإن جميع البعثات على هذه الشاكلة. كل الأنبياء الإلهيين مرّوا بمرحلة مهمة في امتحاناتهم بخصوص البعثة. عند بعثة النبي موسي و عند بعثة النبي عيسي و عند بعثة النبي إبراهيم و غيرهم من الأنبياء العظام حصل شيء هائل جبّار، لكن بعثة خاتم الرسل و الأنبياء (ص) لها خصوصيات لا يمكن أن نقع لها على نظير.

في الوقت الراهن و بمناسبة المسؤولية الكبرى التي ألقاها الإسلام على عواتقنا – نحن الشعب الإيراني – تجاه البشرية، بودّي أن أذكر نقطة حول البعثة. عسى أن تحضّنا

---

١. من كلمته في لقائه رؤساء السلطات الثلاث و مدراء النظام الإسلامي و الضيوف الأجانب المشاركين في المؤتمر العالمي للوحدة الإسلامية بتاريخ ١٩٩٦/٠٨/٠٣ م.

إن شاء الله على تحرك و جهود مناسبة في هذا المجال و تدفعنا لمواصلة المسيرة.

ينبوع البعثة.. هذا الذي تفجّر في مثل هذا اليوم في القلب المقدس للنبي الأكرم (صلى الله عليه و آله و سلم) و جرى منه، له مسار مهم. أي إن القضية لم تختتم في حدود أن الله تعالى فجّر حقيقة و نوراً في قلب إنسان ممتاز مختار. فهذه هي الخطوة الأولى و بداية الأمر. و بالطبع فإنه أهم أجزاء القضية. تألق هذا النور في القلب المقدس المبارك للرسول الأكرم (ص) و تحمّل مسؤولية الوحي من قبل الخالق العظيم، هو الجزء الذي يربط بصراحة عالم الخلقة و الوجود الإنساني و العالم المادي بمعدن الغيب. هنا حلقة الوصل. مع أن البركات و الخيرات الإلهية كانت دائمة على طول هذا السياق و المسيرة التي سنتحدث عنها، تفيض على البشرية بالنور و الخير في طريقها، لكن حلقة الوصل إنما كانت في لحظة البعثة حيث تنزلت الحقائق الإلهية من معين الغيب في البعثة – و هذه الكلمة لوحدها تكفي – على الروح المقدسة للرسول الأعظم (ص) و جرت و تفجّرت في قلبه المقدس. إذن، الخطوة الأولى هي حصول هذه البعثة.

تنفتح باب من الحقائق على هذا الإنسان الملكوتي، فينطلق و هو المستعدّ للامتحان و لتحمّل الأعباء و المشاق و المصائب، في مسيرته الكبرى منذ تلك اللحظة الأولى. لذا فإن قضية البعثة تختلف عن قضية التعليم، أي إنها سابقة على التعليم. طبعاً مائدة التعليم و التربية الإلهيين ممدودة دوماً للأنبياء و للأولياء.. «**و علّم آدم الأسماء**»،[1] و قد كانت ممدودة إلى آخر المطاف.

تعليم و تأديب الرسل باعتبارهم تلامذة الباري عزّ و جلّ الخواص حالة موجودة، لكن البعثة هي شيء يأتي بالإضافة إلى ذلك التعليم. ثمة في البعثة تعليم و تهذيب و تزكية. و فيها إتيان بالكتاب و الحكمة. لكنها لا تقتصر على هذه الأمور، إذ ثمة شيء بالإضافة إلى ذلك هو البعثة و الإرسال للناس.

يبعث هذا الإنسان ليستثمر الرصيد الذي منح له و يأخذ بواسطته البشرية إلى الهدف الذي يجب أن تصل إليه. أي إنه يبدأ المسيرة و الحركة. هذا هو معنى البعثة. و

---

١. سورة البقرة، الآية ٣١ .

بعد أن تبدأ الخطوة الأولى و المسيرة بتدفق الوحي الإلهي على القلب المقدس للرسول الأعظم (ص) و تحمّله هذا الوحي، يبدأ مضمون البعثة – و هو مضمون جديد و معنى صناعة عالم جديد و إسقاط المؤسسات الباطلة و الظالمة و العدوانية – أي تحقيق البعثة في الواقع الخارجي، و هو ما يحتاج إلى الكفاح.

كفاح الرسول (ص) ثلاثة و عشرين عاماً لإبلاغ الرسالة الإلهية

و بالتالي فإن الخطوة الأولى من بعد البعثة هي النهضة و الكفاح و الحركة. ما من نبي استطاع من دون كفاح قطع هذا الطريق و إيصال هذه الأمانة إلى مقصدها و إبلاغ هذه الرسالة للناس. الناس التي تحصل البعثة بينهم و في أوساطهم و بيئتهم لا يتقبلون ذلك العالم الجديد الذي تقترحه البعثة عليهم بسهولة. لذلك تنطلق حالات المعارضة للرسول، و الأنبياء هم أكثر الناس أعداءً ممن يحملون أعباء أمانات حقة، و قد واجهت البعثة منذ يومها الأول هذه الخصومات و العداوات، و كفاح النبي الأكرم (ص) انطلق منذ اليوم الأول، و استمر هذا الكفاح إلى لحظة وفاة النبي الأكرم (ص) على مدى ثلاثة و عشرين عاماً.

لاحظوا أية سنوات مباركة كانت هذه الأعوام الثلاثة و العشرين. ثلاثة و عشرون عاماً ليست بالعمر الطويل أو الزمن الكثير. قد تعرفون الكثير من الأشخاص لا يستطيعون طوال عشرين عاماً أو على مدى ثلاثة و عشرين عاماً أو خمس و عشرين سنة أن يقوموا حتى بعمل واحد جدير بالذكر. عادة ما تمرّ الأعمار و يقضيها أصحابها بالشؤون الفردية الشخصية. لو نظرتم في حيوات الشخصيات الكبرى – العلماء أو الفلاسفة أو السياسيين – فسترون حدود إنجازاتهم و أعمالهم طوال ثلاثة و عشرين عاماً – طبعاً على اختلاف قدرات الأشخاص و إمكانياتهم – و ستجدون أنهم لم يقوموا بالضرورة بأعمال كبيرة جداً. و لكن لاحظوا بركات هذه الأعوام القصيرة و ثلاث و عشرين سنة قضاها الرسوم الأكرم (ص) بعد البعثة، كم هي كبيرة و مباركة! استطاع في قلب الجاهلية و في قلب القرون الجاهلية العالمية – لا في المنطقة الجاهلية و حسب بل في القرون الجاهلية للبشرية و تراكم ظلمات الجهل – أن يشيد صرحاً و

يضيئ مشعلاً سيزداد نوره طوال التاريخ يوماً بعد يوم، و يهدي مزيداً من البشر و يأخذ بأيديهم إلى الصراط المستقيم.

دور تأسيس الحكومة الإسلامية في توفير المناخ العادل السليم

بدأت هذه المسيرة و استمرت ثلاثة عشر عاماً كمرحلة أولى من حياة النبي خلال فترة البعثة، إلى أن انتهت بتأسيس نظام حكم. إذن، الخطوة التالية هي تأسيس نظام حكم قائم على أساس أفكار البعثة و محتواها. و بهذا تدركون بشكل واضح أن أقوال الذين يحاولون إظهار الدين و خصوصاً الدين الإسلامي منفصلاً عن الحكم، إنما هي أقوال خاطئة. و طبعاً كل الأديان من هذه الناحية على سياق واحد، بيد أن هذه الدعوى بشأن الإسلام عجيبة جداً أن يريد البعض فصل الدين الإسلامي عن الحياة و السياسة و إدارة البلاد و نظام الحكم، و يستبعده و يفصل بين هذا وذاك. منذ اليوم الأول الذي ظهر فيه الإسلام سار في كفاح عسير نحو تأسيس نظام حكم و مجتمع معين. و بعد ثلاثة عشر عاماً استطاع النبي الأكرم (ص) تأسيس هذا النظام، طبعاً لا في مدينته الأصلية و مسقط رأس البعثة، و لكن في منطقة أخرى من العالم يومذاك.

هذه هي الخطوة الثانية بعد ذلك الكفاح الطويل. توفير بيئة و مناخ و نظام على أساس هذه الأفكار. ما لم تكن لهذا النظام و هذه السلطة أرصدتها من الأفكار الإلهية و الإسلامية لا يمكن نشر الأفكار و الأحكام و المفاهيم الإلهية في حياة البشر. و هذا تحديداً على الضد من الرأي الخاطئ للذين يزعمون أن السلطة إذا امتزجت بالدين فسد الدين.

لا، القضية على العكس من ذلك.. إذا كان الدين مصحوباً بالاقتدار و السلطة فسيستطيع أن ينتشر و يتسع نطاقه، و تتحقق أهدافه و طموحاته، و تتوفر في المجتمع المبادئ و المثل التي يرفع الدين شعارها. و هذا غير متاح من دون الاقتدار و السلطة. إنما هو ممكن بالسلطة. مثلاً، هل تتصوّرون أن من الممكن توفير العدالة الاجتماعية في المجتمع بالنصيحة و التوصيات و التوسلات و الرجاء؟! و هل يمكن تحقيق و توفير العدالة الاجتماعية و القضاء على التمييز و المساعدة على تكريس المساواة أمام القانون

من دون سلطة على مستوى المجتمع بشكل ما، و على مستوى العالم بشكل آخر؟!

ما أن تقال كلمة حق في العالم حتى توجّه لها القوى العالمية ضرباتها إذا شخّصت أنها من القوة و الأهمية بحيث يجب توجيه ضربة لها. إلّا إذا اعتبروها ليست من الأهمية و الخطر بحيث تستحق أن يوجّهوا لها ضرباتهم! و قد كان الوضع على هذه الشاكلة دوماً، و الأمر لا يختصّ بالوقت الحاضر، حيث ترون أنه أين ما ارتفع صوت الإسلام و الفكر الإسلامي حتى راح المستكبرون و أصحاب الرساميل و الشركات في العالم يدققون ليروا ماذا يقول حذراً من أن تهدّدهم بعض الأخطار!

لقد كان الأمر دوماً أنه متى ما خرجت كلمة حق من لسان، أو قرّر قلب أو روح أو إنسان كبير أن يوصل كلمة الحق هذه للأسماع، و إذا بالجدران و الأسوار و القبضات الحديدية تنهال فجأة من قبل الأعداء و المعارضين و تصطف أمامه و تنشئ جبهة معادية مقابله. و طبعاً يُهزمون و يُندحرون، فالباطل يُهزم مقابل الحق، و هذا مما لا شك فيه. إذا صمد الحق فلا شك أن الباطل سوف يندحر و يهزم، على أن المراد هو أنه من دون كفاح و جهود و السلطة لا يمكن تحقيق الأفكار و المبادئ و الطموحات الدينية، بل و أية مبادئ و طموحات. و بالطبع يمكن تحقيق بعض الأشياء و الأمور بالنصيحة و الكلم الطيب و الموعظة الحسنة.

و عليه سعى الأنبياء أيضاً لتأسيس حكومات. و أوضح النماذج على ذلك هو رسولنا الكريم (ص) الذي كافح و عمل منذ اليوم الأول، و ركّز همّته على تأسيس نظام إسلامي، إلى أن تمكّن من ذلك في يثرب. ثم راح يدافع عنه، و وسّع النطاق و استمرت هذه الحركة إلى سنوات متمادية.

السير نحو تحقيق المبادئ معيار سلامة الحكومة الإسلامية و اعتبارها

إذن، الخطوة اللاحقة هي تأسيس نظام الحكم. على أن تأسيس نظام الحكم ليس هدفاً. هنا تكمن النقطة الأساسية. تأسيس نظام الحكم إنما هو من أجل تحقيق الأهداف و المبادئ. إذا تأسست الحكومة و لم تسر باتجاه تحقيق المبادئ فهي حكومة منحرفة. هذه قاعدة كلية، و هي المعيار. قد يطول تحقيق المبادئ و الأهداف سنوات، و قد تعتور المسيرة عقبات و مشكلات، إلا أن اتجاه نظام الحكم – اتجاه و مسار هذه السلطة التي تأسست – يجب أن يكون بالتأكيد صوب تلك الأهداف و المبادئ و المطامح التي رفعت شعاراتها و ترفع، و الواردة في نصوص القرآن الكريم والأحكام الإسلامية. إذا لم تكن مسيرة السلطة بهذا الاتجاه فهي بلا ريب حكومة منحرفة. المعيار هو توفير العدالة الاجتماعية و النظام المستند إلى القانون، و تكريس الأحكام الإلهية في كل مكان.

إذا تكرّست المقررات و الأحكام الإلهية، و توفر النظام المعتمد على الإسلام، و تحققت العدالة الاجتماعية، يكون قد تحقق هدف متوسط أو في الواقع تكون إحدى مراحل الدرب قد قطعت. و المرحلة التالية هي أن يجد الناس الذين يعيشون في هذا النظام بطمأنينة و بلا هموم و في ظل العدل، الفرصة و الشوق للتخلّق بالأخلاق الحسنة. هذا هو ما أردت اليوم التشديد عليه، و أريد أن أقول إنه هو الهدف بعد تأسيس نظام الحكم. بل هو الهدف بعد تأسيس النظام العادل و تكريس العدالة الاجتماعية و الحكومة الإسلامية الحقيقية. هذا هو الهدف اللاحق.

تخلّق الإنسان بالأخلاق الحسنة؛ الهدف الغائي من تأسيس الحكومة الإسلامية

يجب أن يتخلق الناس بالأخلاق الحسنة، و طبعاً التخلق بالأخلاق الحسنة يؤدّي إلى السمو والتكامل المعنوي و الروحي و المعرفة الأرقى، و هي من أطوار الإنسان الكامل. و نحن لا نستطيع حتى أن نفكر فيها بصورة صحيحة، إنما سمع المرءُ من أهله و كبرائه بعض الأشياء. الطور الذي يتعلق بنا هو طور الأخلاق.. الأخلاق.. الأخلاق. لاحظوا أن الرسول الأكرم (ص) قال: «**إنما بعثت لأتمّم مكارم الأخلاق**»[1] و هذا حديث مرويّ بطرق الفريقين من شيعة و سنة.

هذه الـ «إنما» لها الكثير من المعنى. أي إن البعثة هي أساساً لهذا الغرض، و هذا هو الهدف من البعثة، و باقي الأمور مقدمة. «**لأتمّم مكارم الأخلاق**».. من أجل استكمال مكارم الأخلاق بين البشر و أفراد المجتمع و الناس و هذه الأمّة، و إنمائها و ترشيدها و نشرها بين الجميع ليكون الكل بشراً بالمعنى الحقيقي للكلمة.

يجب أن نكون بشراً آدميين. يتعيّن أن نعزز و نستكمل في أنفسنا الأخلاق الإنسانية. هذه هي الخطوة التالية المهمة جداً. في المجتمع الإسلامي، و في النظام الذي تكون أركانه أركاناً إسلامية، إذا كنا مبتعدين عن الأخلاق الإلهية، و نلهث وراء أهوائنا و نزواتنا و أنانيّاتنا و عبادتنا لذواتنا، و يحاول كل واحد أن يغتصب و سلب من هذا و ذاك من أجل أن يحصل على أكثر و يأكل و يعيش أفضل، و ينال إذا اقتضت الضرورة أكثر من حقه، و لا يكون هناك صفح و لا تجاوز و لا إيثار، فأيّة حكومة ستكون هذه؟! أيّ إسلام و أيّ مجتمع إسلامي سيكون هذا؟!

هذا هو إذن أساس القضية: «**بعثت لأتمّم مكارم الأخلاق**».

أعزائي، اعلموا أن العالم اليوم بحاجة لهذا. العالم المادي للأسف محروم من هذه الخصوصيات تماماً!

أما الأخلاق الإلهية و مكارم الأخلاق فقد جرى إيضاحها و تفصيلها في الشرع الإسلامي المقدس. سواء الأمور التي تتعلق بالإنسان نفسه –كالصبر و الشكر و الإخلاص و القناعة – أو ما يرتبط بعلاقة الناس في ما بينهم – مثل الصفح و التجاوز

---

١. بحار الأنوار، ج ٦٨ ، ص ٣٨٢ .

و التواضع و الإيثار و تكريم الآخرين – أو الأمور ذات الصلة بكل المجتمع الإسلامي. للأخلاق الإسلامية مديات واسعة جداً. هذه هي الأمور و الخصال التي بذل الأنبياء و الأولياء و عظماء الأديان الإلهية – و نبيّ الإسلام الكريم (ص) و الأئمة العظام في الدين الإسلامي – جلّ جهودهم لأجلها و لأجل تحقيقها.

طبعاً في حكومة الجور قد يكون وجود هذه الأشياء نادراً جداً و من الصعب حصولها. فكما قلنا في النظام الذي يتأسس على الظلم و الباطل و الماديات – و مثال ذلك الحكومات الطاغوتية في العالم – من الطبيعي لا تتوفر مثل هذه الأحوال بسهولة. و لكن في النظام الإسلامي يمكن حصولها و توفرها بسهولة أكبر، و العالم اليوم بحاجة لهذه السجايا و الخصال.

على مجتمعنا أن يقوم بتحرّك أساسي كمتمّم أصلي للثورة الإسلامية الكبرى، و لهذا التحرّك الكبير مرحلتان: الأولى استقرار النظام و نشر الأخلاق الإسلامية بيننا، و تحويل أخلاق الناس إلى أخلاق قيمية، فتكون هذه الأخلاق قيماً عند الناس. فقد سقطت هذه الأمور عن كونها قيماً طوال فترة حكم الطاغوت في هذا البلد. الإنسان الصادق يُنظر له على أنه ساذج في أعين ذوي النظرات الناقصة القاصرة. إنه صادق أي يقول كل ما يعلم. لكن الإنسان الصالح و المنضبط و الدقيق هو الذي لا يصدق في الكلام، و يغيّر الحقائق و يستطيع أن يحتال و يغش! هذا هو تغيّر القيم. هذا ما حصل طوال فترة حكم الطواغيت و الملوك الظلمة الجائرين الفاسدين المعادين للأخلاق، و للأسف تضعضعت الأسس و المؤسسات الأخلاقية في بلادنا بدرجات كبيرة.

طبعاً ساعدت الحركة الثورية على استعادة المؤسسات الأخلاقية و الأسس و المعنويات الأخلاقية في المجتمع لعافيتها، و بثت فيها روحاً جديداً، و لكن لا بدّ من السعي أكثر. هذه هي المرحلة الأولى.

أما المرحلة الثانية فهي أن تعلموا هذه الأمور للعالم. فالعالم اليوم بحاجة لهذه الأخلاق و القيم. البشرية على مستوى العالم تعاني من غياب الأخلاق. و الإسلام و المسلمين بوسعهما تقديم أفضل هدية أخلاقية للشعوب و البشرية.

دور الاستكبار العالمي في الوضع المؤسف للمجتمع البشري راهناً

للأسف، أعظم جرائم الاستكبار العالمي اليوم هي أنها تنشر و تشيع الكذب و الخداع و الغش و الباطل في العالم بسلوكها. لاحظوا حالياً في الحكومات المستكبرة في العالم، و الحكومة الأمريكية على رأس كل الحكومات المستكبرة، و سترون فيها أفراداً مارسوا أكبر قدر من الاغتيالات في أنحاء العالم. روي في الآونة الأخيرة أن أحد الساسة الأمريكان ادّعي أن القتلى و المفقودين الذين لفتوا أنظار العالم إليهم في غواتيمالا، قتلوا على يد السي آي أي. منظمة التجسّس الأمريكية السي آي أي تصطاد المعارضين السياسيين واحداً واحداً و تقضي عليهم فيفقدون، و يتكشف الأمر الآن!

في كل مكان من العالم و خصوصاً في أمريكا اللاتينية و الكثير من أرجاء العالم يمارس هؤلاء الاغتيالات و الإرهاب و قتل البشر، و يدبّرون الإنقلابات و يرتكبون الجرائم. و في إيران شهدنا بأنفسنا هذه الحالات و رأيناها. و كذا الحال في مناطق أخرى من العالم. إنهم يدعمون أقبح و أسوء الإرهابيين في العالم، و يمنحونهم الملجأ و يتعاملون و يتعاطون معهم كأصدقاء، و يحترمونهم و يكرّمونهم و يساعدونهم مالياً، و لا زالوا يفعلون ذلك. قدموا أكثر الدعم و المساعدة للحكومة الإسرائيلية القائمة على الإرهاب و الاغتصاب و الظلم و العدوان. قدّموا الدعم لها علانية. لم يقدموا المساعدات بهذا القدر الذي قدّموه لإسرائيل حتى لأصدقائهم العرب! أمريكا الآن لا تقدّم المساعدات للحكومات التي تربطها بها علاقات صداقة تقليدية بالقدر الذي تقدّمه لإسرائيل، و الواقع أن صديقتها الحقيقية هي إسرائيل التي ترجّحها على كل تلك الحكومات. و الحال أن إسرائيل حكومة قائمة على الإرهاب. منذ بداية نشوء هذه الدولة قامت على الإرهاب و الاغتيالات و اصطياد المعارضين و الكذب و الظلم و سحق الآخرين و تقتيل البشر جماعياً! هذا هو دعمهم و احتضانهم للإرهاب و الإرهابيين. و في الوقت نفسه ترفع أمريكا حالياً راية محاربة الإرهاب!

هذا هو الكذب و الخداع! و هذا هو الابتعاد عن الأخلاق و حرمان البشر من

الأخلاق! هذا أفظع و أحزن من أية جريمة في العالم أن يرى الإنسان أشخاصاً في العالم يزعمون حمل القيم و الفضائل و هم أول أعداء تلك الفضائل!

العالم بحاجة لرسالتكم و دربكم و للحقيقة التي تحملونها، و بحاجة لقرآنكم الكريم و بعثة رسولكم العظيم (ص). لكنكم ستستطيعون تعليم العالم يوم تكونوا قد تعلمتم أنتم. نستطيع ذلك يوم نكون قد تعلمنا و عملنا مسبقاً.[١]

تعالي حقيقة النبي الأعظم (ص) على فهم البشر و إدراكهم

حول الوجود المقدس للنبي الأكرم (ص) يجب القول أولاً إن معرفة هذا الإنسان العظيم بالنورانية غير ميسورة لأمثالنا. إن حقيقة هذا الكيان العظيم الكريم و هذا الإنسان الأعلى و الأرقى في كل أطوار التاريخ، و الموجود الأعز في كل عالم الوجود، تتعالى على الأبعاد المادية. إن الوجود العزيز لهذا الإنسان أعلى من ما يركه البشر بعقولهم و تجاربهم و حواسهم حين يفحصون نبوغ النوابغ و عقولهم و علومهم و تجاربهم فيضعون شخصية ما في مرتبة عليا و مكانة رفيعة، و يرتّبون آخرين دونه، و آخرين دونهم و هكذا.

حتى لو لم تكن هناك أية رواية و أية آية و أية آثار شرعية، لاستطاع الإنسان أن يدرك ذلك بالدلائل و الأمارات. هذا المعنى معنى رفيع جداً. أصحاب المعنويات و الأرواح السامية يستطيعون إدراك بصيص من ذلك النور. و نحن إنما نرى و نعرف و نشعر بذلك الوجود العزيز العظيم بحواسنا الظاهرية و بما لنا من قيود و حدود.

في حدود هذه الأبعاد التي يستطيع كل البشر فهمها و استيعابها، لا يمكن مقارنة هذا الوجود العظيم بأيّ من عظماء البشر. لاحظوا مثلاً أن الوجود المقدس للإمام علي بن أبي طالب (عليه الصلاة و السلام) استرعى اهتمام و انبهار الكثير من الواعين و العلماء في العالم سابقاً و حاضراً، فاعتبروه شخصية كبيرة و كائناً شبه أسطوري. و لكن نفس هذه الشخصية بما لها من أبعاد و عظمة ما هو إلّا تلميذ و ابن صغير مقابل

---

١. من كلمته في لقائه المدراء و المسؤولين في الجمهورية الإسلامية الإيرانية بمناسبة عيد المبعث السعيد بتاريخ ١٩٩٦/١٢/٠٩ م.

الوجود المقدس للرسول الأكرم (ص)، و لا يرى لنفسه شأناً حيال عظمة الرسول. لاحظوا أن شخصية الإمام أمير المؤمنين (ع) تضيع في البحر اللامتناهي للكيان العظيم الذي تمثل في الرسول الأكرم (ص).

محبّة الرسول الأعظم (ص) النقطة الوحيدة التي لا خلاف عليها بين المسلمين

ما يتعلق بعالمنا في الوقت الراهن نقطة أصرّ عليها دائماً و هي وجود نقطة و محور مشترك بين الفرق الإسلامية – و للمسلمين اليوم الكثير من المشاكل و المعضلات التي يعانون منها و ينبغي لهم استخدام كل الوسائل لإنقاذ أنفسهم منها – لا يوجد أي اختلاف عليه بينهم. حتى بالنسبة لعقيدة التوحيد المتفق عليها قد يكون للبعض تفاسيرهم و كلامهم الذي لا يوافقه البعض الآخر، أما بخصوص هذه النقطة فلا يوجد أي اختلاف بينهم، ألا و هي محبّة نبي الإسلام الكريم سيدنا محمد بن عبد الله (صلى الله عليه و آله و سلم). هذا محور اجتماع و اتحاد بين المسلمين ينبغي العمل و بذل الجهود حوله. و سبق أن ذكرنا هذه النقطة، و قد بذل بعض ذوي الهمم العالية جهودهم على هذا الأساس و من أجل اجتماع المسلمين و إيجاد اتحاد بينهم. و اليوم أيضاً يوجد أناس ذوو همم عالية يجب أن يجتمعوا على هذا الأساس و يدعوا المسلمين إلى الوحدة و يصلوا بهم إلى أطوار من الاتحاد.

نذكر نقطة حول قضايا العالم الإسلامي بمناسبة بركات هذا المولود و خيراته. و هي أن يفهم المسلمون وضعهم الراهن و يعرفوه و يشعروا بأن أعداء الإسلام يتربّصون بهم الدوائر و يرسمون مخططات رهيبة لمستقبل المسلمين! فضلاً عمّا فعلوه لحد الآن، مجرد المعرفة بهذا الوضع يجب أن ينبّه ذوي الضمائر اليقظة إلى تحرّي العلاج. و العلاج ليس بالأمر السهل البسيط، لكن فيه نقطتان أو ثلاث نقاط أساسية:

نقاط أساسية في معالجة أمراض راهنة يعاني منها العالم الإسلامي

هناك بالدرجة الأولى قضية الوحدة و الاتحاد بين المسلمين.. على جميع الفرق الإسلامية – من شيعة و سنة و مذاهب مختلفة داخل التسنن و مذاهب شيعية متنوعة – أن تأخذها مأخذ الجد. على المسلمين أن ينظروا لقضية الوحدة الإسلامية في الوقت الحاضر بعين الجدّ. و معنى الوحدة الإسلامية معلوم. ليس المراد بها أن تذوب المذاهب كلها في مذهب واحد. بعض الناس يرفضون المذاهب الأخرى و ينفونها من أجل حصول الاتحاد بين المسلمين. و رفض المذاهب الأخرى لا يعالج مشكلة، إنما إثبات المذاهب هو الذي يحلّ المشكلة. هذه المذاهب الموجودة حالياً تمارس شؤونها العادية كلّ في منطقة عمله و وجوده، و لكن ليحسّنوا من علاقاتهم مع بعضهم.

إنني أرى بعيني أيدٍ متآمرة تعمل بشكل خطير جداً خصوصاً في السنوات الأخيرة – بعد الهجمات التي بدأوها إثر انتصار الثورة، لكنها أحبطت بتحركات حاسمة من قبل الثورة الإسلامية و قائدها الإمام الخميني العظيم – للتفرقة بين المذاهب الإسلامية. الأعداء كانوا دوماً يعارضون اتحاد المسلمين. و التاريخ شاهد على هذا المعنى. أما اليوم حيث ارتفعت راية الإسلامية المظفرة في هذه البقعة من العالم و بكل عظمة و عزة، فصاروا يخشون الوحدة الإسلامية أكثر من أي وقت مضى.

أعزائي، وجود الجمهورية الإسلامية في هذا العالم الكبير.. وجود هذه الدولة القوية و هذا النظام المقتدر و المستقل و هذا الشعب الشجاع و الشامخ و الفعال و الكفوء و المتدين و هذا البلد الكبير و هذه الثورة التي أثبتت نجاحها لحد الآن في معظم الساحات – سواء في انتصار الثورة أو في الانتصار على هجوم العدو الأجنبي في الحرب المفروضة، أو في مجال البناء و العمران – و استطاعت صيانة الوحدة الوطنية بشكل كامل، دعا أعداء الإسلام للتفكير بعمق. إنهم يخافون لأنهم يجدون أن لهذه الثورة جاذبياتها. أين ما كان ثمة مسلم في العالم، حين يرفع بصره و يرى هذه الراية الشامخة المرفرفة ينتابه الحماس و تنبعث في نفسه المشاعر الإسلامية. لاحظوا كم ازدادت بعد انتصار الثورة الإسلامية حالات الهياج و المشاعر و التحركات الإسلامية و نجاحات الجماعات الإسلامية في المنطقة الإسلامية! من شمال أفريقيا و الجزائر و إلى

هنا و حتى الشرق. و هذا بفضل و بركة هذه الراية الرفيعة العالية. لقد انبعث في المجتمعات الإسلامية الشعور بالاستقلال و الشعور بالهوية الإسلامية و الشعور بالشخصية، و انتاب أعداء الإسلام و المسلمين الخوف. الذين عملوا و جهدوا عشرات الأعوام ليخرّجوا المسلمين ضعفاء و يائسين و بدون شخصية و لا هوية، رأوا فجأة أن كل جهودهم ذهبت أدراج الرياح و كل متاعبهم باءت بالفشل. لقد بعث قيام هذه الدولة الإسلامية الشعور بالعزة لدى المسلمين. و راح الأعداء يحاولون بمختلف الطرق قطع الأواصر بين الدولة الإسلامية في إيران و بين المجتمعات و التجمّعات المسلمة في أقطار العالم. إنهم يفعلون هذا. و من أساليبهم و طرائقهم التفرقة الطائفية، و إشعال الحروب و المعارك بين السنة و الشيعة، و تضخيم الفوارق المذهبية و القول إن أولئك شيعة و لا صلة لهم بكم، و الحال أننا هنا رفعنا راية الحكومة الإسلامية و القرآن الكريم و الاسم المبارك لرسول الإسلام محمد المصطفى (ص). و هذا ما يعشقه و يشتاق له جميع المسلمين. هذا أحد السبل و الطرق. و من طرائقهم أيضاً أن يوجّهوا تهم الإرهاب و ما شاكل ليسقطوا الجمهورية الإسلامية و هذا الشعب الكبير و هذه الدولة المعنوية و الأخلاقية و القيمية من الأنظار في العالم.

حين ترونهم يتشدقون لهذه الدرجة باتهامات حقوق الإنسان و انتهاك حقوق الإنسان و الأعمال الإرهابية و ما إلى ذلك، فمن إجل إثبات ذلك في العالم، و هم يعلمون أن هذا كذب. السبب هو إنهم يريدون فصل الرأي العام العالمي عن نظام الجمهورية الإسلامية. الغاية هي خلق البون و الفواصل. و من أجل أن لا يكون هناك انجذاب و صلات بين هذه القلعة الشامخة للإسلام و القرآن و بين المجتمعات الإسلامية في كل أنحاء العالم. و بالطبع فإن الله تعالى يبطل كيدهم: «**إنهم يكيدون كيداً و أكيد كيداً**»،[1] «**و مكروا و مكر الله**».[2] طوال هذه الأعوام كلما فعلوا شيئاً أحبطه الله تعالى و أبطله. لكن العدو على كل حال يخلق العقبات و الموانع و المشكلات. و

---

١. سورة الطارق، الآية ١٥ .

٢. سورة آل عمران، الآية ٥٤ .

ينفضح في بعض المواطن، لكنه لا يقلع عن عدوانه! هنا تكتسب قضية الاتحاد و الوحدة الإسلامية و التفاهم الإسلامي معناها. لاحظوا كم هذه القضية مهمة.

لاحظوا كم هذه القضية مهمة لمستقبل العالم الإسلامي. إنها ليست بالقضية التي يمكن المرور بها مرور الكرام. الكل يجب أن يعتبروا أنفسهم مخاطبين بهذا الكلام. إنني أقولها للجميع، لأهل السنة و للشيعة، و أقولها لمؤلفي الكتب و الشعراء و أصحاب المطابع و لمن لديهم مواقعهم و مكانتهم بين الناس و يتحدثون و ثمة من يستمع لهم.. الكل يجب أن يفهموا هذه الحقيقة و يعرفوا العدو.. احذروا من أن يتموضع العدو في خنادقكم. و احذروا من أن تهاجموا الأصدقاء و أنتم تقصدون مهاجمة الأعداء. كونوا عالمين بالزمان، أي اعرفوا العدو و الصديق و ساحة الصراع. هذه أمور على جانب كبير من الأهمية.

الكل مخاطبون بهذا الكلام. و لا فرق بين الشيعة و السنة. و لا بين الإيراني و غير الإيراني. نحن في إيران لا مشكلة لنا مع أهل السنة و الحمد لله. طوال سبعة عشر أو ثمانية عشر عاماً بعد الثورة عشنا دوماً في وئام و محبّة و صميمية، و نشكر الله على ذلك. إخوتنا في المناطق التي يشكل فيها أهل السنة الأكثرية يقدمون أكثر المساعدات للحكومة و النظام الإسلامي. القضية قضية العالم الإسلامي. و الهمّ همّ مستقبل الإسلام.

ضرورة استخدام المسلمين لمختلف طاقاتهم من أجل تحقيق النجاح

أعزائي.. الحكومات و البلدان و المجاميع و المنظومات الدولية من أجل أن تكسب النجاح في ساحات الكفاح الحياتي تستخدم كل إمكانياتها و قدراتها – بما في ذلك الإمكانيات الجغرافية و التاريخية و القومية. فلماذا لا يستخدم المسلمون هذه الإمكانيات الهائلة التي وهبها الله تعالى لهم؟ المنطقة الجغرافية التي يقطنها المسلمون هي أهم مناطق العالم. و بلدانهم من أثرى بلاد العالم من الناحية الطبيعية. في الوقت الراهن يسيطر المسلمون على بوابة آسيا باتجاه أوربا، و بوابة أوربا باتجاه آسيا و أفريقا، و بوابة أفريقيا نحو أوربا و آسيا. هذه المنطقة المهمة عسكرياً و الأراضي الزاخرة بالخيرات التي

يمتلكها المسلمون تحتوي اليوم طاقات و إمكانيات مثل النفط و الغاز و ما شابه من المواد التي يحتاجها البشر لحضارتهم بصورة يومية. المسلمون مليار و عدة مئات من الملايين، أي إنهم أكثر من خمس سكان العالم. هذا الكمّ الهائل من السكان في مثل هذه المنطقة و بارتفاع راية الإسلام في قلب هذه المنطقة – أي في إيران الإسلامية التي هي اليوم قلب العالم الإسلامي و مركزه الرئيسي – لماذا يجب عدم الاستفادة من كل هذا؟ هذه إمكانية هائلة في أيدي المسلمين. وساوس فصل الدين عن السياسة التي همس بها البريطانيون يوماً و أشاعها الأمريكان يوماً و راح عملاؤهم يبوّقون لها يوماً كلها من أجل أن يغفل المسلمون عن هذه الإمكانيات و المواقع. و تقع على الخواص الواجبات الأكبر في هذا السياق. الخواص هم العلماء و المستنيرون و الشعراء و الخطباء و الصحافيون و أصحاب النفوذ بين الجماعات و الناس. هؤلاء هم الذين يتحمّلون الحجم الأكبر من الواجبات. لقد حان الآوان لأن يصحو العالم الإسلامي على نفسه و يختار الصراط الإلهي المستقيم كسبيل نجاة له، و يسير فيه بقوة و خطوات راسخة. لقد حان الوقت لأن يحافظ العالم الإسلامي على اتحاده و يقف متحداً مقابل العدو المشترك الذي نالت كل الطوائف و الجماعات الإسلامية ما نالت من ضرباته – أي الاستكبار و الصهيونية – و يرفع شعارات واحدة و يكون له إعلام واحد و طريق واحد. و سيحظى إن شاء الله بتأييد الله و سننه و قوانينه، و يتقدم إلى الأمام.

نتمنّى أن يوقظ الله تعالى المجتمعات المسلمة، و يعرّف الحكومات الإسلامية بواجباتها، و يثبّت أقدامنا جميعاً على هذا الصراط الإلهي المستقيم، و يجعل القلب المقدس لإمامنا المهدي المنتظر (أرواحنا فداه) ميّالاً للمجتمعات المسلمة، و يشمل كل الجماعات المسلمة بأدعيته.[1]

---

١. من كلمته في لقائه ضيوف مؤتمر الوحدة الإسلامية في ذكرى الولادة السعيدة للرسول الأكرم (ص) و الإمام جعفر الصادق (ع)، بتاريخ ١٩٩٧/٠٧/٢٣ م.

ضرورة تفكير المسلمين بأهمية بعثة النبيّ الخاتم (ص)

من بين كل أحداث التاريخ البشري – الأحداث التي تقع للبشر – لو اعتبرنا بعثة الأنبياء أهمها و أكثرها تأثيراً في مصير الإنسانية – و هي أهمها فعلاً – لكانت بعثة النبي الخاتم (صلى الله عليه و آله و سلم) من حيث الأهمية على رأس كل الأحداث الكبرى و الصغرى في تاريخ الإنسانية.

ما من حادثة من قبيل الثورات الكبرى و موت الشعوب و حياتها و ظهور الشخصيات العملاقة و زوال الشخصيات الكبرى و انبثاق المدارس المتنوعة، توازي في أهميتها أهمية بعثة الأنبياء. و تلاحظون اليوم أن أبقى و أخلد أشكال الفكر البشري هي الأشكال التي تأتي بها الأديان، و سيبقى الحال كذلك إلى الأبد. مع أنه يوجد اليوم الكثير من الناس لا يعرّضون أنفسهم مباشرة لأنوار بعثة النبي الأكرم (ص) – أي غير المسلمين – لكنهم انتفعوا لحد الآن من خيرات هذه البعثة على نحو غير مباشر.

لا مراء أن العلم و الحضارة البشريين، و الأخلاق الصالحة بين البشر، و العادات الحسنة و الكثير من هذه الأمور، إنْ لم تكن ذات صلة ظاهرية واضحة بالأديان فهي في جذورها الأصلية نابعة من الأديان و المعارف الإلهية، و على رأسها بعثة رسول الإسلام الكريم (ص)، لكن في الوقت نفسه، ستنتفع البشرية كلها من هذه الخيرات و البركات، و بنحو أكبر في المستقبل. إذن، البعثة هي أهم و أبرز و أعظم حدث في تاريخ البشرية.

من المناسب أن يفكر المسلمون في هذا الحدث أكثر. لا يمكننا إنكار مشكلات العالم الإسلامي و متاعبه و تجاهلها. و لا يمكننا استصغار نقاط الضعف التي تعاني منها المجتمعات المسلمة.

ذات يوم جرّب العالم حدثاً تمثل في سيادة الإسلام بنحو كامل على حياة الناس خلال أيام الحياة المقدسة للنبي الأكرم (ص) و فترة محدودة من صدر الإسلام. و نفس تلك الخيرات و البركات بلغت بالأمر حداً استطاعت معه الأمة الإسلامية إيجاد أعظم الشعوب في حقبة من الحقب، و إيقاد مشعل من العلم و الحضارة و الثقافة و الأخلاق

و التقدم و الدروس التي لا تنسى لا تزال البشرية إلى اليوم تقتبس منه. و قد حدث ذلك في فترة جهل مطبق ساد العالم آنذاك.

هذه بالتالي تجربة.. كلما ابتعدنا عن الإسلام و قلّ اهتمامنا برسالة البعثة، كلما ازدادت الحياة صعوبة علينا نحن المسلمين في الفترات و الأحقاب المختلفة.

رسائل المبعث في القرآن الكريم

يمكن البحث عن رسالة المبعث في القرآن الكريم على شكل فصول و أقسام متميزة. أشير هنا إلى قسمين من هذه الرسالة العظيمة لتلاحظوا كم هي مهمة بالنسبة لنا نحن المسلمين، و كيف ترسم لنا الطريق و البرامج:

أحدهما الرسالة التي نقرؤها في آيات من القرآن الكريم منها : «**بسم الله الرحمن الرحيم.. كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور**».[1] إنها رسالة الخروج من الظلمات إلى النور.

النور و الظلام ليسا من الأمور التي يمكن أن يخطئ فيها الأنسان حين تعترض سبيله القضايا المتنوعة. الإسلام و رسالة البعثة تخرج البشر من ظلمات الجهل و العادات القبيحة و الأخلاق السيئة و الفتن بين الناس و الخرافات التي تتحكم في أذهان الناس و تستنزفهم و تنحرف بهم عن الطريق المستقيم، و ظلمات الظلم و الطغيان — و هذه كلها ظلمات — و تدلهم على النور الذي ينتصب أمامهم و يهديهم إليه.

تكرّر هذا المضمونُ في العديد من الآيات القرآنية، و هو يعبّر عن تحوّل في حياة الإنسان من النواحي الاجتماعية و من حيث الأهداف و من الناحية الفردية و من كل الجهات و النواحي.

و النقطة المهمة الأخرى هي قضية الأخلاق و الأخلاقيات و تزكية النفوس، و هي أيضاً جرى التأكيد عليها في آيات من القرآن الكريم، و قد ورد في الحديث النبوي

---

١. سورة إبراهيم، الآية ١ .

المعروف بين كل الفرق الإسلامية: «**بعثت لأتمّم مكارم الأخلاق**».[١] لاحظوا أنه في المجتمع الذي تشيع فيه الأخلاق الحسنة و مكارم الأخلاق و يتمتع فيه الأفراد بالأخلاق الطيبة و الحسنة مثل الصفح و الأخوّة و الإحسان و العدل و العلم و طلب الحق، و يشيع بينهم الإنصاف و لا تسود بينهم الرذائل و الصفات الذميمة، لاحظوا في أية جنان سيعيشون!

الإنسانية اليوم تعاني من هذه المعضلات. مشكلات العالم الإنساني في الوقت الراهن ناجمة عن الطغيان السياسي في العالم، و المشكلة لها جذور أخلاقية. و معضلات عموم الناس ترجع غالباً إلى جهلهم. و الإسلام يرفع هذه المشاكل و المحن. على المسلمين أن يقدّروا هذه الرسائل حق قدرها و يعرفوا أهميتها.[٢]

البشرية اليوم أحوج من أي وقت لإحياء اسم الرسول (ص) و تعاليمه

تكريم النبيّ الأعظم (ص) و إحياء ذكراه ليس مجرد فعل تشريفاتي، هذا مع أن وجود مثل هذه التشريفات بين الشعوب المسلمة هو الآخر حالة مغتنمة، بل و لازمة، على أن القضية الأكبر و الأهم ليست هذه. العالم الإسلامي في الوقت الراهن أحوج لإحياء ذكرى رسول الإسلام الجليل أكثر من أي وقت آخر، و البشرية أيضاً بحاجة إلى هذا الاسم المبارك و الذكرى و التعاليم المباركة، و لكن قبل أن نريد التطرّق لكل البشرية على العالم الإسلامي أن يعيد معرفة هذا الرصيد المعنوي العظيم. و الأمر هنا على غرار الشعوب التي نامت جائعة فوق مصادرها المادية المجهولة قروناً من الزمان، إلى أن جاء الآخرون و نهبوا مصادرهم و خيراتهم، كذلك يعاني العالم الإسلامي اليوم إلى جانب أرصدته المعنوية الهائلة من كثير من المشكلات، و الحال أن هذه الأرصدة و الكنوز العظيمة الكبرى بوسعها إنقاذه و مساعدته.

---

١. بحار الأنوار، ج ٦٨ ، ص ٣٨٢ .

٢. من كلمته في لقائه مدراء البلاد بمناسبة المبعث النبوي الشريف، بتاريخ ١٩٩٧/١١/٢٨ م.

ركيزتان أساسيّتان في الإسلام: كلمة التوحيد و توحيد الكلمة

قال أحد الأجلّاء قبل عشرات السنين: **بُني الإسلام على كلمة التوحيد و توحيد الكلمة**. هاتان هما الركيزتان الأساسيتان في الإسلام: الأولى كلمة التوحيد، و من بعدها وحدة الكلمة، و هذه الثانية تعود للأولى، بمعنى وحدة الكلمة على أساس و حول محور التوحيد. إننا اليوم أحوج من أي وقت آخر لهذا الشعار. العودة إلى كلمة التوحيد و توحيد الكلمة.

كل ما ينزل اليوم بالمسلمين و الشعوب المسلمة من البلايا و الصعاب ناجم عن إضاعة الحياة في ظل الإسلام. ليس التوحيد مجرد أمر ذهني، بل هو أمر واقعي و نظام و برنامج حياة. يقول لنا التوحيد كيف نتعامل مع أصدقائنا، و كيف نتعامل مع أعدائنا، و كيف نكون في نظامنا الاجتماعي، و كيف نعيش. يتصوّر البعض أن عقيدة التوحيد قضية تتعلق بما بعد الموت، و الحال أن الاعتقاد بالتوحيد يبني هذا العالم و يشيّد الحياة. هذا ما نحتاج إليه اليوم. هذا ما تحتاج له الشعوب الإسلامية.

كلما سرنا و اقتربنا أكثر من التوحيد و من العبودية لله كلما قلّت عنا شرور الطواغيت و أنداد الله. بمقدار ما سار الشعب الإيراني المسلم على خط التوحيد، استراح اليوم من تطاول أمريكا و غير أمريكا من مستكبري العالم و ألسنتهم. استراح من أوامرهم و نواهيهم و تحكّمهم. هذه هي خصوصية التوحيد و العبودية لله. إذا كنتم عبيداً لله فإن العبودية لله لا تجتمع و عبودية الآخرين و خدمتهم و الرضوخ لهم. هذا هو الركن الأول.

و الركن الثاني هو توحيد الكلمة. الشعوب المسلمة يجب أن تتحد مع بعضها. من أكبر مصائب العالم الإسلامي اليوم هو أن أعداء الإسلام فعلوا ما من شأنه تحويل ما يجب أن يكون سبباً في اتحاد المسلمين – أي وجود الأعداء و الصهاينة الغاصبين – إلى وسيلة لاختلافهم! فعلوا ما جعل بعض الحكومات المسلمة تتخذ هذا الأمر وسيلة للوقوف بوجه إخوتها، و تخلق اختلافات حقيقية. و الحال أن وجود مثل هذا العدوّ في قلب البلدان الإسلامية يجب أن يقرّب المسلمين من بعضهم، و يشكلوا جبهة واحدة و يكونوا يداً واحدة. هذه الخطيئة تعود إلى تدخل الاستكبار و تطاولهم. لو لا دعم

الاستكبار و على رأسه أمريكا لمحتلّي فلسطين و الإرهابيين الدوليين المتواجدين في قلب البلاد الإسلامية – و هم الرؤساء الحاليون لحكومة إسرائيل الزائفة – لما أمكنهم البقاء. و كذا الحال اليوم.

لا يمكن للأمريكان أن يكونوا وسطاء في قضية فلسطين. فهم طرف في القضية، و على الضد من الحكومات و البلدان الإسلامية. و قد أثبتوا ذلك في الأحداث و الأمور التي جرت خلال الأعوام الأخيرة. و الآن أيضاً لا ريب أن دعم أمريكا هي التي جرّأت الصهاينة على ارتكاب هذه الفاجعة العظيمة التي يرتكبونها، أي اغتصاب بيت المقدس قبلة المسلمين ثانية، و إلا لم يكن الصهاينة ليتجرّأوا على ذلك. لو لا دعم أمريكا و مساعداتها لاستطاعت الحكومات الإسلامية أن تتغلب على هذه الزمرة الطاغية. و الآن أيضاً لو اتحدت البلدان المسلمة و الحكومات الإسلامية لاستطاعوا أن يكفّوا شرور الصهاينة.[1]

وجود نبيّ الإسلام الكريم (ص) هو الإسم الإلهي الأعظم

يوم المبعث هو بلا شك أعظم يوم في تاريخ البشرية، لأن الشخص الذي خاطبه الله تعالى و كلفه بالمأمورية و ألقاها على عاتقه – أي الكيان المقدس لنبي الإسلام الكريم (صلى الله عليه و آله و سلم) – هو أعظم إنسان في التاريخ و أعظم ظاهرة في عالم الوجود و مظهر الإسم الأعظم للذات الإلهية المقدسة، أو بعبارة أخرى هو نفسه الاسم الإلهي الأعظم. هذا من ناحية و من ناحية ثانية لأن المأمورية التي ألقيت على عاتق هذا الإنسان العظيم – و هي هداية الناس إلى النور و رفع الأغلال عن كواهلهم و التمهيد لعالم يناسب وجود الإنسان، و باقي الواجبات اللامتناهية للأنبياء بعد بعثتهم – ثقيلة و جسيمة و عظيمة جداً. فالمخاطب في البعثة هو أعظم الناس، و الواجب الملقى على عاتقه هو أعظم الواجبات. إذن فهذا اليوم هو أعظم و أعزّ يوم في التاريخ.

---

١. من كلمته في لقائه المدراء و المسؤولين في الجمهورية الإسلامية الإيرانية بتاريخ ١٩٩٨/٠٧/١٢ م.

البعثة استجابة لاحتياجات الإنسان الشاملة اللامتناهية

لو أراد شخص حصر مضمون البعثة في نطاق ما تفهمه و تتصوّره عقولنا الناقصة، فلا ريب أن المبعث و حقيقته و حقيقة هذه الرسالة ستتعرّض للظلم. لا يمكن تقييد مضمون بعثة الرسول في حدود فهمنا و نظراتنا الناقصة. و لكن إذا أردنا تعريف البعثة – رغم لا نهائيتها – في جملة واحدة مجملة يجب القول إن البعثة هي للإنسان. الإنسان أيضاً لا نهائي و له أبعاد عظيمة و لا يتحدد في الجسم و المادة و الأيام القلائل التي يعيشها في الدنيا، كما لا يتحدّد بالمعنويات، و لا يتحدّد في مقطع قصير من التاريخ. الإنسان دوماً و في كل الأحوال إنسان، و أبعاد وجوده لا نهاية لها و غير معروفة. لا يزال الإنسان لحد الآن كائناً غير معروف. و البعثة هي لهذا الإنسان و لأجل مصيره و هدايته.

طبعاً ينتفع كل فرد من الأفراد و كل جماعة من الجماعات البشرية في كل حقبة و زمان من هذه الموهبة بقدر استعدادهم و استيعابهم، مثلما انتفع المسلمون في صدر الإسلام من مفهوم البعثة و حقيقتها و نشروا هذا النور الساطع في كل أرجاء العالم، و هدوا الكثير من البشر إلى الطريق القويم و أخذوا بأيديهم إلى حقيقة العبودية. و بعد ذلك بمدة من الزمن و خلال فترة من فترات التاريخ استطاعوا بناء حضارة و عظمة و علوم في العالم لا يزال بريقها مشهوداً إلى الآن من وراء جدران التاريخ العالية و الفواصل الزمنية الطويلة، و لا يزال العالم يتنعّم بنعم ذلك التقدم العلمي و الصناعي و الفكري و المعرفي و المدني. و طوال هذه العصور من الزمن متى ما استطاع المسلمون الانتفاع بشكل مناسب من الإسلام حققوا السعادة لأنفسهم. أي إنسان استطاع الانتفاع بقدر استيعابه أصاب السعادة بنفس المقدار.

ما حدث في إيران الإسلامية – أي هذه الثورة العظيمة و تأسيس هذا النظام الإسلامي – هو مخطط و قبس مما جاء به الإسلام للبشرية. كان الشعب الإيراني يعيش حياة سيئة تعيسة. كان يعيش زمناً مظلماً. كان قد ابتعد عن شأنه الإنساني مسافات شاسعة. كان قد تعرّض للظلم من النواحي العلمية و الإنسانية و السياسية و الاقتصادية بسبب البُعد عن الإسلام. و بفضل معرفته بالإسلام تمكّن هذا الشعب و

بحركة عظيمة من إيصال نفسه إلى معين الإسلام، و تطبيق أحكام الإسلام عملياً لنفسه، و توفير إمكانيات العمل بهذه الأحكام لنفسه، و استطاع أن يفكر بالإسلام و ينتفع منه، و أن يغور في أعماق الإسلام و يتعرّف على القرآن الكريم.[١]

في المقاييس البشرية تقاس بركة المولود و الولادة بالآثار التي تترتّب على هذه الولادة، سواء منها الآثار المباشرة أو الآثار غير المباشرة. إذا صحّ هذا المقياس – و هو صحيح – يجب القول أن أكثر مولود مبارك على طول التاريخ هو الوجود المقدس لنبيّ الإسلام الكريم (صلى الله عليه و آله و سلم). تبدأ هذه البركات منذ لحظة البداية، و ليس هذا بعجيب. قال النبي عيسى (عليه الصلاة و السلام) في بداية ولادته: «**و جلعني مباركاً أين ما كنتُ**».[٢] فأعلن عن بركته منذ الساعات الأولى أو الأيام الأولى لولادته. و كذا الحال بالنسبة لرسولنا الأكرم (ص).

ما سجّلته التواريخ من انهيار قمّة قصر كسرى أو انطفاء النار في معبد النار القديم – و ما إلى ذلك من العلامات و المؤشرات التي وردت – كلها بشائر بركات هذا الموجود العظيم. كل ما في العالم من أحوال قامت على أساس سيادة الشرك و الكفر و الاستبداد و الظلم و التفرقة بين أبناء البشر، يجب أن تزول تدريجياً ببركة وجود هذا الإنسان الراقي و الممتاز و المنقطع النظير. ما تحمّله هذا الإنسان العظيم على عاتقه من أعمال و أعباء و جهاد هو الجزء الأثقل و الأعظم من هذه العملية. بداية هذا الطريق و انطلاق هذه الدعوة يعدّ أهم جزء في هذه العملية.

إشكال العالم في ذلك الحين هو أن الناس و طبقات المجتمع في كل مكان من العالم كانوا قد تعوّدوا على سيادة غير الله و على حكم الطواغيت، و هيمنة الظلم و الاختلافات الطبقية. من الذي يجب أن يقف بوجه هذه المظاهر؟ المظلومون بطبيعة الحال. و حين يكون المظلومون أنفسهم قد صدّقوا بوجوب سيادة الظلم، فلن يبقى أي

---

١. من كلمته في لقائه مدراء الجمهورية الإسلامية الإيرانية بمناسبة عيد المبعث النبوي الشريف، بتاريخ ١٩٩٨/١٠/١٨ م.

٢. سورة مريم، الآية ٣١ .

أمل للإصلاح. و قد كانت المهمّة العظمى للرسول الأكرم (ص) و لدعوته النبوية هو إيقاظ الناس و العالم و البشرية.. «**إن هو إلا ذكر للعالمين**».[1] هذا ذكر و تذكير و تذكّر و إنذار و إيقاظ لكل البشر. من أصعب مراحل الأمر هو تحمّل هذا الإنسان العظيم و تصدّيه لمهمّة الإيقاظ. التعصّبات و التحيّزات القبلية و الشؤون الشخصية و الأنانيات المختلفة صعّبت و عقدت من مهمة هذا الإنسان الكبير. لقد تحمّل النبي (ص) جهاداً عسيراً حتى استطاع فتح هذا الطريق البشري المغلق، و شقّ هذه الصخرة الهائلة. و كل من قام بشيء من بعد ذلك إنما كان تابعاً لهذا العظيم و مواصلاً لدربه و مشفوعاً بمساعدته.

انتفاع العلوم و الحضارة البشرية من الإسلام و تعاليمه

ليس المسلمين وحدهم من انتفع من التعاليم النبوية. العلوم في العالم اليوم و الحضارة في العالم راهناً و المعارف المتوفرة في العالم حالياً و تقدم القافلة الإنسانية مرهون لوجوده (ص). و هذا ليس ما ندّعيه نحن المسلمين. كل المؤرخين و المنصفين يوافقون الفكرة القائلة إن انبثاق الصحوة العلمية في العالم الإسلامي أدّى إلى انتقال هذه الصحوة إلى سائر بقاع الأرض عن طريق الأسفار و التلاقح بين الشعوب و حتى عن طريق فتوح البلدان و الحروب التي خاضوها. المعارف و الأفكار البشرية و الأمور التي يهتمّ لها الإنسان في العصر الحاضر – نظير حقوق الإنسان، و حرية الإنسان، و المساواة بين أفراد البشر، و الأخوّة بين الناس –كلها هدايا قدّمها هذا الإنسان السامق. و في الإسلام، ما ترتّب على هذه الحركة العظيمة هو تأسيس النظام الإسلامي. لم تكن هذه التعاليم لمجرد أن تعظ الناس، بل من أجل أن ترتّب شكل النظام الإنساني و قالبه بنحو يسهّل التحرّك نحو تلك الأهداف و يرفع الموانع و العقبات التي تعترض السبيل، و هذا هو النظام الإسلامي.

الحمد لله على أن المجتمعات الإسلامية وقفت اليوم على أهمية النظام الإسلامي. على مدى سنوات طويلة توجّه الكثير من الكتّاب و الخطباء الكبار و الكثير من

---

١. سورة ص، الآية ٨٧ .

القلوب. لقد انطلقت الصحوة الإسلامية، و وقفت المجتمعات الإسلامية على أهمية هذا الرصيد الذي تمتلكه، و طبعاً ازدادت عداوات أعداء الإسلام بنفس النسبة. إنهم يعملون دوماً على بث التفرقة و الخلافات بين الشعوب المسلمة ليأخذوا كل جماعة و فئة نحو جانب عن طريق التحريضات القومية و الطائفية و العرقية و العصبية. و في هذا إشارة إلى أن العدو أدرك أن الوعي الإسلامي و الصحوة الإسلامية في المناطق الإسلامية راحت تؤتي ثمارها و تفعل فعلها. و هذه هي الحقيقة. لا مراء أن هذا الشعور سوف يأخذ الشعوب الإسلامية صوب النظام الإسلامي و نحو تأسيس أمة إسلامية واحدة. هذا مستقبل حتميّ. و لن يكون لهذه العداوات و الخصومات من أثر. قوة الإسلام فوق هذه الأشياء. ففي إيران الإسلامية، المكان الذي لم يكن يخطر ببال أحد، كانت قوة الإسلام العظيمة هي التي وحّدت الناس و قرّبت القلوب من بعضها، و جعلت الإيمان الإسلامي رصيداً و سنداً لهذا التحرّك، و أوجدت نظاماً إسلامياً في هذا البلد. هذا شيء قد حدث و حصل.[1]

وضع العالم و ظروفه في زمن بعثة نبي الإسلام (ص)

في الأعوام الماضية كانت مسألة البعثة و ذكرى البعثة الكبرى حين تطرح، كان شعبنا يرى حركته و انبعاثه العام و نهضته الوطنية التاريخية في الثورة الإسلامية استمراراً لتلك البعثة النبوية العظيمة، و إلى جانب ذلك كان هذا السؤال يعنّ لأذهان بعض الأفراد على الأقل – من بين الخواص و أهل النظر – و هو: ما سرّ نجاح الإسلام في ذلك الزمن حيث غربة المعرفة و انتشار الجهل العام الذي ملأ كل العالم. لم تكن الجاهلية سائدة في المنطقة العربية فقط، إنما كانت الجاهلية حتى في الامبراطوريتين العظميين يومذاك، و هما الامبراطورية الإيرانية الساسانية و الامبراطورية الرومانية. لم يكن حتى في تلك الأنحاء و المناطق أثر للعدالة، و كان التمييز سائداً. في إيران هذه كان التعليم و المعرفة مختصين بطبقات معينة، و عموم الناس محرومين من حق العلم و

---

١. من كلمته في لقائه مدراء الجمهورية الإسلامية الإيرانية بمناسبة ذكرى ولادة الرسول الأكرم (ص) و الإمام جعفر الصادق (ع)، بتاريخ ١٩٩٩/٠٧/٠١ م.

الدراسة. و الرقّ كان على أسوء أشكاله، و سوء معاملة الضعفاء على أسوء صوره، و قضية المرأة و مشاركة المرأة في المجتمع و التعامل مع النساء كانت هي الأخرى أقبح ما يكون، و في أسوء درجات الامتهان و الإذلال. كانت الجاهلية في كل مكان، و المعرفة كانت غريبة في كل مكان.

العوامل و العناصر المهمة في نجاح الإسلام

جاء الإسلام و أشرقت شمس المعرفة الإسلامية على القلوب و الأذهان، و نمت و تقدمت هذه القافلة على الرغم من وجود الجهل و الظروف غير المواتية في العالم، و سار الركبّ الإنساني بوتائر سريعة. لم يمض سوى نصف قرن على زمن البعثة حتى انضوت أكثر من نصف المعمورات في العالم تحت لواء الإسلام. و هذا ليس بالشيء القليل. أين ما ذهب الإسلام رحّبت به جموع الناس و حشودهم، و أزيحت القوى الورقية التي زاحمته و تصدّت له بسهولة. أيّ عامل استطاع التقدّم بالإسلام نحو الاقتدار على هذا النحو، و من ثمّ إرساء دعائم الحضارة الإسلامية، و قد بقيت هذه الحضارة الإسلامية في ذروة الإشراق و التألق حتى خلال أحقاب انحطاط الاقتدار السياسي للمسلمين، و تركت بصماتها على الثقافة في العالم، و نشرت العلم و أشاعت الثقافة الإسلامية؟ هذه تجارب عجيبة جداً في التاريخ. فما هو العامل في كل هذا النجاح؟ تشكل هذه القضية بحثاً و نقاشاً طويلاً جداً. و قد ناقش الباحثون و الكتّاب هذه القضية، و يجب أن يواصلوا البحث و النقاش. و ما أروم اليوم ذكره في نقطتين أو ثلاث نقاط هو جانب من هذه الحقيقة.

من المتيقّن منه أن أحد العناصر التي عملت على نجاح الإسلام هو الثقة بالله و الأحكام الإلهية: «**آمن الرسول بما أنزل إليه من ربّه و المؤمنون كلّ آمن بالله و ملائكته و كتبه و رسله**».[1] الرسول الأعظم (ص) نفسه و المؤمنون في صدر الإسلام كانوا يعتقدون من أعماق قلوبهم برسالة الإسلام و الشعارات و الحقائق الإسلامية، و يرونها بكل كيانهم كافية لإنقاذ البشرية. هذا الإيمان عامل على جانب كبير من الأهمية.

---

١. سورة البقرة، الآية ٢٨٥ .

و العامل الآخر الذي توفر في رأس هذه الحركة على الأقل هو أنهم كانوا لا يأبهون لأنفسهم و لمنافعهم و مصالحهم المادية الشخصية. هذا عامل على جانب كبير من الأهمية. كل هذه الروايات و الأحاديث و كلمات نهج البلاغة و أحاديث النبي الأكرم (ص) و الأئمة (ع) و الشخصيات الكبيرة حول نبذ الدنيا و عدم الاكتراث لزخارفها و مادياتها في ما يخصّ الذات، إنما هو لأجل التأثير البالغ لهذا العامل. و بالطبع فإن أعداء الإسلام و ذوي الفهم الخاطئ من المسلمين توهّموا أو تظاهروا بأنه حين يدعو الإسلام للزهد فالمراد هو عدم طلب الدنيا بمعنى مظاهر عالم الوجود و المظاهر الحياتية. و الحال أن القضية لم تكن هكذا، إنما المراد بالزهد هو الدنيا السيئة و الدنيا الذميمة و أن نجعل أنا و أنتم أنفسنا و مصالحنا المادية هدفاً نلهث وراءه. هذا هو الشيء المدمّر الذي يجلب البؤس و التعاسة، و هو أساس المسكنة.

أولياء الله – الذين استطاعوا الإمساك بهذه الراية بقوة و السير قدماً في هذا الدرب الصعب من دون ملل أو تعب أو نكوص – كانوا أشخاصاً اجتازوا هذا المنعطف. لذلك نقرأ في دعاء الندبة، و هو دعاء حسن المضمون جداً – و الذي يحمد الداعي في بدايته الله تعالى على ما قدّر لأوليائه، و هذه البداية من أجمل و أعمق المفاهيم في هذا الدعاء – نقرأ القول: «**بعد أن شرطت عليهم الزهدَ في درجات هذه الدنيا الدّنيّة و زخرفها و زبرجها**». رفعتهم إلى أرقى مراتب التكامل و السموّ المعنوي و للنعم التي «**لا زوال لها و لا اضمحلال**».[1] أعطيتهم هذه النعم و اخترتهم، و لكن بهذا الشرط. الرسول الأعظم (ص) في أرقى مراتب السموّ البشري. و هذا غير ممكن من دون معونة الله و تمهيده. بيد أن الله منحه هذه الميزة مقابل شرط: «**الزهد في درجات هذه الدنيا الدّنيّة و زخرفها و زبرجها، فشرطوا لك ذلك**».. قبلوا هذا الشرط و عملوا به، و هكذا تظهر شخصية مثل الرسول الأكرم (ص) و الإمام علي بن أبي طالب (ع)، شخصية فولاذية لا تتعب و لا تنتهي، و تتحمّل على كاهلها أعباء لا تختصّ بزمانها، و يطلقون تحرّكاً و مسيرة لا تنتهي بانتهاء أعمارهم.

---

١. إقبال الأعمال، ج ١ ، ص ٢٩٥ .

استمرار تألق الإسلام و تأثيره على مرّ التاريخ و الحقبة المعاصرة

هذه المسيرة مستمرة. لاحظوا الآن و بعد انقضاء أربعة عشر قرناً أن الإسلام لا زال متألقاً. و كل هذا دائر حول محور ذلك الوجود العظيم و ذلك الجهاد الدؤوب. هذه هي الأمور التي تديم المسيرة بهذا الشكل. و بالطبع فإن ما قام به المسلمون و المؤمنون و العظماء على امتداد الطريق ساعد في هذه الديمومة. ما نتوقعه هو أن لا يضع كبراء العالم الإسلامي – سواء السياسيون منهم أو الشخصيات الدينية – مصالحهم في الدرجة الأولى من الأهمية. ما نتوقعه من الناس و الشخصيات الكبيرة في زماننا ليس توقعاً انبثق لدينا في ضوء سلوك الرسول، لا، فالرسول أرقى من هذا بكثير.

إننا نتوقع هذا من أنفسنا أيضاً. و نتوقعه من الآخرين في العالم الإسلامي بأن لا نجعل مصالحنا و الأنا على رأس الأولويات و الأهداف، و لا نغلّبها على كل الأشياء الأخرى، إنما نقدّم الإسلام و تحقيق قوة الإسلام و اقتداره و رفعته و الكمال الإسلامي على مصالحنا. إذا كان هذا فسيعود للأمة الإسلامية اليوم جانب كبير من قدراتها و طاقاتها الذاتية. العنصر الذي استطاع هنا أن يحمل على عاتقه هذه الأعباء الثقيلة من الاهتمام و الإيمان و العقيدة و المحبة و تحرّك الجماهير و يصل بالأمور إلى هذا الحدّ – و أعني به إمامنا الخميني الجليل –كانت أهم نقطة فيه أنه ألغى نفسه و تجاهلها، و جعل الواجب و التكليف محور عمله و تحرّكه، لذلك نجح. هذا طبعاً بالإضافة إلى الكثير من الامتيازات الأخرى التي توفرت في ذلك الإنسان الجليل. هذا هو أساس الأمر. إننا في الجمهورية الإسلامية و خلال هذه الأعوام العشرين، أين ما استطعنا تقديم الواجب و الأهداف، و تهميش أنانياتنا و الأشخاص و الذات و الأهواء، تقدّمنا إلى الأمام. و لكن متى ما حصل العكس تلقينا الضربات و الخسائر. طوال فترة حرب الأعوام الثمانية، و الذين كانوا عارفين بالتفاصيل يعلمون جيداً، أين ما سادت روح الواجب و قلّت الأنانيات لدى العاملين تقدّمنا إلى الأمام، و لكن أين ما سادت الأنانيات خسرنا و أصابتنا الأضرار. و كذا الحال اليوم أيضاً.[1]

---

١. من كلمته في لقائه مسؤولي الجمهورية الإسلامية الإيرانية بمناسبة يوم المبعث النبوي الشريف، بتاريخ ١٩٩٩/١٠/٠٧ م.

المقام السامي لوجود الرسول الأكرم (ص) و شخصيته و رسالته

النبي الأكرم (ص) من حيث الشخصية في ذروة عالم الخلقة، و من حيث الأبعاد الممكنة الفهم لدى البشر، من قبيل المعايير الإنسانية السامية كالعقل و التدبير و الفطنة و الذكاء و الكرم و الرحمة و العفو و الحسم، و من حيث الأبعاد المتسامية على ذهن البشر و طاقته – الأبعاد الدالة على تجلي الأسم الأعظم لله في وجود الرسول الأكرم (ص) و مقام قربه من الباري عزّ و جلّ – و هي أبعاد لا نعرف عنها سوى اسمها و صورتها، و لا يعلم حقيقتها إلا الله العظيم و أولياؤه الكبار. كما أن رسالة هذا الإنسان العظيم (ص) هي أرقى و أفضل رسالة لسعادة الإنسان. إنها رسالة التوحيد، و ارتقاء مرتبة الإنسان، و تكامل وجود البشر.

صحيح أن البشرية لم توفق لحد الآن لتطبيق هذه الرسالة بنحو كامل في كل جوانب حياتها، لكن لا ريبة في أن مسيرة السموّ و الرقيّ الإنساني ستصل يوماً من الأيام إلى هذه المرتبة. إنها نقطة ذروة و أوج و سموّ للإنسان. على افتراض أن فكر الإنسانية و فهمها و إدراكاتها السامية و علومها تتقدّم إلى الأمام، و رسالة الإسلام حيّة متفاعلة، فلا شك في أن هذه الرسالة ستجد يوماً مكانتها في حياة المجتمع البشري. أحقية الرسالة النبوية، و أحقية التوحيد في الإسلام، و درس الإسلام للحياة و طريق الإسلام لسعادة الإنسان و تقدمه، سوف يأخذ الإنسانية إلى حيث تجد هذا الدرب اللاحب المشرق، و تسير فيه و تتقدّم، و تحقق رفعتها و تكاملها.

المهم بالنسبة لنا نحن المسلمين هو أن نضاعف من معرفتنا للإسلام و رسول الإسلام الكريم. من الآلآم و الأمراض الخطيرة في العالم الإسلامي اليوم مرض التفرقة و الخلافات. محور وحدة العالم الإسلامي يمكن أن يكون الوجود المقدس لرسول الإسلام – و هو القطب الذي يؤمن به الجميع و تلتف حوله عواطف كل البشر – . ليس لنا نحن المسلمين أيّ قطب – مثل الوجود المقدس للرسول الأكرم – بهذا الوضوح و بهذه الشمولية، فالمسلمون كلهم يؤمنون به، و بالإضافة إلى ذلك تربط قلوبهم عواطف و أواصر معنوية قوية بذلك الكيان المقدس. هذا هو خير قطب و محور للوحدة.

جذور و أسباب الإهانات التي يوجّهها الأعداء لساحة النبي الأكرم (ص) المقدسة

ليس من الصدفة أن نشاهد في الأعوام الأخيرة، و على غرار ما حصل في القرون الوسطى و أحقاب التحليلات المغرضة للمستشرقين، أنهم يوجّهون الإهانات لساحة النبي الأكرم (ص) المقدسة. خلال فترات القرون الوسطى كان القساوسة المسيحيون يكيلون الإهانات و الشتائم لشخصية الرسول الأكرم (ص) في كتاباتهم و خطاباتهم و أعمالهم الفنية، و ذلك في الفترات التي شاعت فيها كتابة التاريخ من قبل المستشرقين. و في القرن الماضي شاهدنا أيضاً أن المستشرقين الغربيين غير المسلمين اختاروا الشخصية المقدسة المباركة للرسول الأكرم (ص) لتكون إحدى النقاط التي تطالها سهام تشكيكاتهم و إهاناتهم!

و قد مضت على ذلك الزمن فترة طويلة، لكنهم بدأوا ممارساتهم هذه مرة أخرى في الآونة الأخيرة. خلال الأعوام القليلة الماضية يلاحظ المرء هجمات صحافية و ثقافية قذرة و مشؤومة في مناطق مختلفة من العالم ضد شخصية الرسول الأكرم (صلى الله عليه و آله و سلم). يمكن لهذه العملية أن تكون مقصودة و مدروسة لأنها موجّهة ضد القطب الذي يمكن للمسلمين أن يجتمعوا حوله، فهم جميعاً يؤمنون بالذات المقدسة للنبيّ الأكرم (ص) و يحبّونه و يعشقونه و يلتفون حوله. لذلك يوجّه الأعداء حرابهم و تشكيكاتهم ضده.

من واجب علماء الإسلام و المستنيرين المسلمين و الكتّاب و الشعراء و الفنانين في العالم الإسلامي و بمقدار استطاعتهم رسم الصورة الصحيحة لشخصية النبيّ الأكرم و أبعاد عظمة هذه الذات الكبرى للمسلمين و غير المسلمين. و هذه العملية ستساعد على اتحاد الأمة الإسلامية و القفزة التي تلاحظ اليوم لدى الأجيال الشابة في الأمة الإسلامية نحو الإسلام.

مؤشرات الصحوة و الانبعاث الإسلامي في العصر الحاضر

أيها الإخوة و الأخوات الأعزاء.. العالم الإسلامي اليوم بحاجة أكثر من أي وقت آخر للاقتراب و الاندكاك بالمباني و الحقائق الإسلامية. إن الأرضية اليوم مهيّأة في كل أرجاء العالم الإسلامي للتحرّك و العمل الإسلاميين. لم يعد فهم حقيقة التوحيد بصعب على الشعوب المسلمة في الواقت الراهن مقابل الفساد الذي يتقلب فيه العالم الغربي المادي. اليوم هو اليوم الذي يحتّم على علماء الإسلام و مفكّريه أن يتحرّكوا و يجدّوا ليعرّفوا القلوب على حقيقة الإسلام، و يقرّبوا الأمة الإسلامية من أرضية انبعاث الحياة الإسلامية و تجديدها، و قد توفّرت و الحمد لله مقدمات ذلك، و ظهرت نماذج لذلك في أطراف العالم و أنحائه، و كان النموذج البارز لذلك قد تحقق في هذا البلد و بين أبناء الشعب الإيراني الكبير بتأسيس نظام الجمهورية الإسلامية.

أين ما تعاملنا بصدق مع الإسلام و حقائق الإسلام و الواجبات التي رسمها لنا الإسلام، كانت النصرة الإلهية و الفوز و الموفقية من نصيبنا. لقد جرّبنا ذلك في قضايا البلاد الداخلية، و لاحظناه في قضايا العالم الإسلامي. إذا كنتم تشاهدون الشباب المؤمن في لبنان قد استطاعوا تحقيق انتصار كبير لأنفسهم و للأمة الإسلامية و للشعب العربي، فذلك في ظل الإسلام و التعرّف على الإسلام و العمل بالحكم الإسلامي في هذا الخصوص.

و كذا الحال دوماً. هذا هو علاج آلام الأمة الإسلامية، و علاج الوجع الكبير لأمة الإسلام و الجرح العميق في العالم الإسلامي، أي قضية فلسطين. لا يظنّ البعض أن قضية فلسطين قد انتهت و أن الشعب الفلسطيني قد قضي عليه و القضية الفلسطينية دفنت تحت ركام الضجيج و الصخب! هذا خطأ و وهم باطل. مرور الزمن لا يمكنه دفن حق مثل القضية الفلسطينية تحت أتربة العالم. فلسطين و الشعب الفلسطيني حيّ و مستقبل فلسطين مشرق.

سقوط المعسكر الشرقي نموذج لإمكانية دحر المستكبرين

لاحظوا أن عدداً من البلدان – سواء في آسيا الوسطى أو في منطقة البلقان – كان بعضها لخمسين عاماً و بعضها لسبعين عاماً ضمن منظومة الاتحاد السوفيتي، و لم يكن يخطر ببال أحد أن يعودوا يوماً لهويّتهم. لكنهم عادوا! ذات يوم كان الاتحاد السوفيتي يبدو عصيّاً على الهزيمة و الزوال، و كان السطحيون و الظاهريون يخالون أن البلدان التي ذابت في المنظومة السوفيتية قد انتهت إلى الأبد. لكن الأمر لم يكن كذلك. و كذا الحال بالنسبة لفلسطين. فلسطين لا تنتهي. فلسطين لا تنمحي عن صفحة العالم، كما أن جنوب لبنان لم يكن ليضيع و ينمحي. لم يكن الصهاينة قد دخلوا للبنان ليغادروها ذات يوم. جاءوا ليبقوا هناك إلى الأبد! لاحظتم أن جهاد الشعب و الشباب المسلم في لبنان و صبرهم و استقامتهم طوال عشرين عاماً ضيّق الخناق على العدو و اضطره للتراجع. و نفس هذه الحالة تصدق على فلسطين نفسها. مقاومة الشعب المسلم و الاعتصام بالإسلام يمكنه إفشال هذه الخارطة الزائفة الكاذبة الحالية و إعادة الخارطة الحقيقية – خارطة فلسطين – و الشعب الفلسطيني ثانية على هذه الأرض. هذا شيء ممكن و سيحصل بفضل الله تعالى.

في ظل معرفة الإسلام و العمل به يمكن حصول و تحقق الكثير من الأمور التي قد تبدو لبعض العيون و الأنظار مستحيلة و صعبة. و حينما تتحقق على الصعيد العملي سيُلاحظ أنها لم تكن صعبة و مستحيلة إلى الدرجة التي كانوا يصفونها.

نسأل الله تعالى أن يمنّ على الأمة الإسلامية بالصحوة، و يجعلنا ممن يعرف قدر الإسلام و القرآن الكريم و قدر الذات المقدسة لرسول الإسلام الكريم (ص). و ستتبدّل الاختلافات و النزاعات بين المسلمين إلى وحدة و ألفة إن شاء الله. و سنستطيع في ظل العناية الإلهية و الأدعية الزاكية لسيدنا بقية الله الإمام المهدي المنتظر (أرواحنا فداه) نحن و كل الأمة الإسلامية أن نصل إلى حيث أراد الإسلام لنا و لكل المجتمع الإنساني.[1]

---

١. من كلمته في لقائه مدراء الجمهورية الإسلامية الإيرانية بمناسبة السابع عشر من ربيع الأول ذكرى ولادة الرسول

البعثة.. فتح الطريق لخروج البشرية من كل الظلمات الفردية و الاجتماعية

المبعث هو عيد بحقّ.. و احتفال كبير.. احتفال للمسلمين في كل العصور و الأزمان، و لكل الناس لو تمعّنوا جيداً في رسالة الإسلام.

لقد فتحت البعثة النبوية طريقاً جديداً مقابل الإنسانية.. «**هو الذي يصلي عليكم و ملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور**».[1] البعثة هي من أجل أن تُخرِج الناسَ من الظلمات و تهديهم إلى النور. و هذه الظلمات تشمل كل أنواع الظلمات الموجودة في العالم و في أجواء الحياة البشرية و في كل التاريخ.. إنها ظلمات الشرك و الكفر، و ظلمات الجهل و الحيرة، و ظلمات الظلم و الجور و انعدام العدالة و التمييز، و ظلمات البعد عن الأخلاق الإسلامية و التلوّث بأدران الفساد الأخلاقي، ظلمات اقتتال الإخوة، و ظلمات سوء الفهم و اعوجاج الفهم و شتى صنوف الظلمات. يهدي الإسلام البشر للخروج من هذه الظلمات، و سوف تجد الإنسانية تدريجياً هذا السبيل عن طريق التعلم و السعي و الحركة و التصميم و التفكير السليم و معرفة العقبات و الموانع.

إمكانيات البشرية و قدرتها على فهم الرسالة النبوية أكبر حالياً بكثير مما كانت عليه في الماضي. كلما كان علم البشر أكثر كلما ارتفع احتمال توفيق رسالة الإسلام و نجاحها. كلما استخدم عتاة العالم – في أيّ مكان من العالم كانوا – أدواتهم الحيوانية و التعسفية أكثر لقمع المشاعر الإنسانية من أجل تسخير البشر و التحكّم بهم – و بهذا يظهر ظلم القوى المتعسفة ضد الإنسانية أكثر – كلما تفتّح المجال أكثر للتعرّف على نور الإسلام أكثر، و كلما تعطش الناس للإسلام أكثر. إننا في الوقت الحاضر نشعر بآثار تعطش البشرية لرسالة الإسلام، و هي رسالة التوحيد و المعنوية و العدالة و الكرامة الإنسانية.. الناس متشوّقون لهذه الرسالة.

طبعاً من واجبنا نحن المسلمين أن نعرض هذه الرسالة على أنظار العالم بسلوكنا و أقوالنا و عزيمتنا و إرادتنا. أين ما صدر عن المؤمنين بالإسلام داخل الأمة الإسلامية

الأكرم (ص)، بتاريخ ٢٠٠٠/٠٦/٢٠ م.

١. سورة الأحزاب، الآية ٤٣ .

تحرّك فيه فضيلة ازداد الإسلام في أعين الناس في العالم نوراً و جاذبية. و أين ما يظهر عن أنباء الأمة الإسلامية حالات ضعف و خور و ذلة و انحطاط و تخلف، فسيكون هذا سبباً في الحط من شأن الإسلام. إذا صدر اليوم عن الأمة الإسلامية و أقويائها — الذين بوسعهم فعل شيء — كلام و عمل يدلّ على الانحطاط فسيكون ذلك إهانة للإسلام في أعين الناس في العالم. لذا فإن واجب الساسة المسلمين اليوم جسيمة جداً، و واجبات علماء الإسلام ثقيلة للغاية، و وظائف المستنيرين و الفنانين و الكتّاب و الأدباء المسلمين هائلة بشكل كبير، و واجبات كل واحد من أبناء الإسلام في البلدان الإسلامية يمكنه التأثير في البيئة التي تحيطه، ثقيلة بجدّ. اليوم يوم يمكن فيه رفع رسالة الإسلام أمام العالم و أمام الإنسانية المظلومة و الإنسان الحائر، و القول: هذا هو سبيل نجاتكم.. هذه حقائق.[١]

خلاصة سيرة النبي الأكرم (ص) في الأعوام العشرة لحكومته في المدينة المنوّرة

خصّصتُ الخطبة الأولى لشرح مختصر لسيرة النبي الأكرم (ص) في فترة حكومته الإسلامية في المدينة المنورة التي استمرت عشرة أعوام، و هي من أعظم — و لا نغالي إذا قلنا إنها أعظم — فترات الحكم على مرّ التاريخ الإنساني. يجب معرفة هذه الفترة القصيرة و الزاخرة و الثرة و المؤثرة تأثيراً خارقاً في التاريخ البشري. طبعاً، أوصي كل الإخوة و الأخوات — و خصوصاً الشباب — أن يراجعوا تاريخ حياة النبي الكريم (ص) و يقرؤه و يتعلموه.

فترة المدينة المنوّرة هي الفصل الثاني من فترة الأعوام الثلاثة و العشرين لرسالة النبي الأكرم (ص). الفصل الأول هو ثلاثة عشر عاماً في مكة — و الذي يعدّ مقدمة الفصل الثاني — و هناك عشرة أعوام فترة المدينة المنوّرة و هي مدة إرساء دعائم النظام الإسلامي و بناء نموذج لسيادة الإسلام لكل العصور و الأزمنة و الأماكن في التاريخ الإنساني. هذا النموذج هو بالطبع نموذج كامل، و لا يمكن أن نجد له مثيلاً في أي من

---

١. من كلمته في لقائه المدراء و المسؤولين في الجمهورية الإسلامية الإيرانية و سفراء البلدان الإسلامية في ذكرى المبعث النبوي الشريف، بتاريخ ٢٠٠٠/١٠/٢٥ م.

العصور الأخرى، و لكن بالنظر لهذا النموذج الكامل يمكن معرفة المعايير و الملاكات. و تمثل هذه المعايير بالنسبة لأبناء البشر و المسلمين علامات و مؤشرات يستطيعون الاستعانة بها لتقييم أنظمة الحكم و الناس. كان هدف النبي الأعظم (ص) من الهجرة إلى المدينة هو الكفاح ضد البيئة السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية الظالمة الطاغوتية الفاسدة التي سادت في كل أنحاء العالم، و لم يكن الهدف يقتصر على كفاح الكفار في المكة، إنما كانت القضية قضية عالمية. و قد تابع رسول الله (ص) هذا الهدف، و أين ما كانت الظروف مواتية نثر بذور الأفكار و العقائد الإسلامية، على أمل أن يحين الوقت المناسب لانبثاق هذه البذور و ظهورها. كان الهدف إيصال رسالة حرية الإنسان و صحوته و سعادته لكل القلوب. و هذا لم يكن ممكناً إلا بتأسيس نظام نموذجي. لذلك وفد الرسول الأكرم (ص) إلى المدينة ليؤسّس هذا النظام. أما كم سيستطيع التالون له مواصلته و الاقتراب منه فهذا أمر يعود لعلوّ هممهم. الرسول الأكرم (ص) يقدّم النموذج و يعرضه على كل البشرية و التاريخ.

سبع مميزات رئيسية للنظام الإسلامي الذي أسّسه الرسول الأكرم (ص)

النظام الذي أسّسه الرسول الأكرم (ص) له الكثير من الخصائص و المميزات، تلوح من بينها سبع مميزات مهمة:

الميزة الأولى هي الإيمان و الروح المعنوية. المحفز و الداينمو المحرّك الحقيقي للنظام النبوي هو الإيمان الذي ينبثق من معين قلوب الناس و أفكارهم، و يأخذ بأيديهم و سواعدهم و وجودهم نحو الاتجاه الصحيح. إذن الخصيصة الأولى هي بث و تعزيز روح الإيمان و المعنوية و نشر الاعتقاد و الأفكار الصحيح بين الناس، و هذا ما بدأه الرسول الأكرم (ص) من مكة، و رفع رايته باقتدار في المدينة المنوّرة.

و الميزة الثانية هي القسط و العدل. أساس الأمر قائم على العدالة و القسط، و إيصال كل حق لصاحبه دون أية ملاحظات و اعتبارات.

الميزة الثالثة هي العلم و المعرفة. كل شيء في النظام النبوي قائم على العلم و المعرفة و الوعي و الصحوة. لا يأخذون أحداً إلى اتجاه و هو مغمض العينين. إنما يبدلون

الأفـراد إلى طاقـات فعالـة – و ليسـت منفعلـة – بـالوعي و المعرفـة و القـدرة علـى التشخيص.

الميـزة الرابعـة هـي الصـفاء و الأخـوّة. النزاعـات الناجمـة عـن الـدوافع الخرافيـة و الشخصـية و النفعيـة و الانتهازيـة مبغوضـة كريهـة في النظـام النبـوي، و النظـام النبـوي يحاربها و يرفضها. إنما الأجواء هناك أجواء صميمية و أخوّة و تعاطف و وئام.

و الميـزة الخامسـة هـي الصـلاح الأخلاقـي و السـلوكي. إنـه نظـام يزكّـي النـاس و يطهّرهم من المفاسد و الرذائل الأخلاقية. يصنع إناساً خلوقين ذوي تزكية و طهر.. «**و يـزكّيهم و يعلمهـم الكتـاب و الحكمـة**».[1] التزكيـة مـن الأركـان الأساسـية، بمعـنى أن الرسول الأكرم (ص) كان يمارس العمل التربوي على كل الأفراد و الشخوص.

الميـزة السادسـة هـي الاقتـدار و العـزة. لـيس المجتمـع و النظـام النبـوي نظامـاً خانعـاً عميلاً تابعاً يمدّ يد الحاجة لهذا و ذاك، بل هو نظام عزيز مقتدر يتخذ قراراته بنفسه، و حين يعرف صلاحه يعمل لتأمينه و يقوم بما يجب عليه من أجل تحقيقه.

و الميزة السابعة هي العمل و التحرّك و التقدم الدائمي. لا توقف في النظام النبوي. ثمة دائماً تحرّك و عمل و تقدم و نشاط. لا يحدث في وقت من الأوقات أن يقال في هذا النظام: لقد انتهى الأمر، و يجب أن نستريح بعد الآن! لا يوجد مثل هذا الشيء في هـذا النظام. طبعاً هذا العمل عمل لذيذ و مبهج، و ليس عمـلاً متعباً أو مملاً أو رتيباً. إنه عمل يمارسه الإنسان بنشاط و شوق و اندفاع.

دخل رسول الله (ص) إلى المدينة ليؤسّس هذا النظام و يكمّله و يتركه نموذجاً أبدياً عبر التاريخ، ليقيم كل من استطاع و على مرّ التاريخ – أي من بعد زمانه و إلى يوم القيامة – ما يشبهه و يبث الشوق و التطلع في القلوب حتى يسير الناس صوب مثل هـذا المجتمـع. طبعـاً تأسيس مثـل هـذا النظـام يحتـاج إلى أسـس عقيديـة و إنسـانية. أولاً يجب أن تتوفر عقائد و أفكار صحيحة لينهض هذا النظام عليها. كان الرسول الأكرم (ص) قد بيّن هذه الأفكار و العقائد في إطار التوحيد و العزة الإنسانية و سائر المعارف

---

١. سورة الجمعة، الآية ٢ .

الإسلامية طوال ثلاث عشرة سنة في مكة المكرمة، ثم واصل في المدينة المنورة في كل آنٍ و لحظة و إلى حين وفاته تبيين و عرض هذه الأفكار و المعارف السامية – و هي أسس هذا النظام – للناس و علمهم و أفهمهم إيّاها. ثانياً لا بدّ من أسس و أركان إنسانية لينهض هذا البناء عليها – فالنظام الإسلامي لا يقوم على الفرد – و قد أوجد الرسول الأكرم (ص) و أعدّ الكثير من هذه الأركان في مكة المكرمة. البعض كانوا من أصحاب الرسول الأجّلاء – على اختلاف مراتبهم – و هم ثمرة جهود النبي الكريم و مساعيه و جهاده طوال فترة الأعوام الثلاثة عشر في مكة المكرمة. و البعض كانوا أشخاصاً تعرّفوا على الرسالة الإسلامية في يثرب قبل هجرة الرسول إليها، و هم أشخاص من قبيل سعد بن معاذ و أبي أيوب و غيرهم. و بعد أن وصل الرسول (ص) إلى المدينة بدأ صناعة الإنسان من اللحظة الأولى، و شيئاً فشيئاً دخل المدينة مدراء أكفّاء و أشخاص عظماء شجعان ذوو صفح و إيمان و قوة و معرفة فكانوا أركان هذا الصرح الشامخ الرفيع و أسسه المتينة.

كانت هجرة الرسول الأكرم (ص) للمدينة – التي كانت تسمّى قبل دخول الرسول إليها يثرب، و بعد أن جاءها سمّيت مدينة النبي – كالنسيم الربيعي العليل الذي انتشر في أجواء هذه المدينة، و شعر الجميع بالفرج و الراحة و الانشراح لدخوله لها، لذلك تنبّهت القلوب و صحت. حين سمع الناس أن الرسول دخل قبا – و قبا بالقرب من المدينة، و قد بقي الرسول الأكرم (ص) هناك خمسة عشر يوماً – كانت أشواق أهالي المدينة لرؤيته تتصاعد يوماً بعد يوم. توجّه بعض الناس لقبا و زاروا النبي الأكرم (ص) و عادوا. و البعض انتظر في المدينة إلى أن يدخلها. و حين دخل الرسول المدينة بعد ذلك، تحوّل الشوق و النسيم اللطيف الخفيف إلى طوفان في قلوب الناس فغيّرها. فجأة شعروا أن عقائدهم السابقة و عواطفهم و انتماءاتهم و ارتباطاتهم و عصبياتهم القبلية السابقة زالت أمام وجه هذا الرجل و سلوكه، و قد انفتحت أمامهم بوابة جديدة نحو حقائق عالم الخلقة و المعارف الأخلاقية. و كان هذا الطوفان قد صنع أولاً ثورة في القلوب ثم اتسع و امتد إلى أطراف المدينة، ثم احتلّ القلعة الطبيعية في مكة، ثم امتدّ

لأماكن بعيدة و تقدم إلى أعماق الامبراطوريتين و البلدين الكبيرين في ذلك الحين. و قد هزّ القلوب و أوجد ثورة في النفوس أين ما سار. لقد فتح المسلمون في صدر الإسلام إيران و الروم بقوة الإيمان. و الشعوب التي تعرّضت للهجوم بمجرد أن رأتهم كان هذا الإيمان ينتقل لقلوبهم. و السيف كان من أجل رفع الموانع و حكام العسف و المال عن الطريق، و إلا فإن عموم الناس كانوا قد رحّبوا بهذا المدّ، و غدت الامبراطوريتان العظيمتان آنذاك – أي الروم و إيران – جزءاً من ذلك النظام و البلد الإسلامي من الأعماق. استمرّ كل هذا لمدة أربعين سنة، عشرة أعوام في زمن حياة الرسول الأكرم، و ثلاثون سنة بعد رحيله (ص).

دروس عديدة من سيرة الرسول (ص) خلال فترة حكمه في المدينة

بمجرد أن دخل الرسول الأكرم (ص) إلى المدينة بدأ العمل و الجدّ. و من جملة عجائب حياته (ص) هو أنه لم يهدر حتى لحظة واحدة أو يفرّط بها طوال هذه الأعوام العشرة. لم يلاحظ أبداً أن الرسول انقطع عن بث الأنوار و الروح المعنوية و الهداية و التعليم و التربية. صحوه و نومه و مسجده و بيته و ساحة حربه و زقاقه و سوقه و معاشرته العائلية و وجوده كانت كلها دروساً أين ما حلّ أو ارتحل. يا لها من بركة في هذا العمر! الشخص الذي احتل بفكره التاريخ كله و أثّر عليه – و قد قلتُ مراراً أن الكثير من المفاهيم التي راحت الإنسانية تقدسها لقرون من الزمان نظير مفهوم المساواة و الأخوّة و العدالة و الحرية و حكم الشعب، كلها تأثرت بتعاليمه، و لم يكن مثل ذلك الشيء في تعاليم سائر الأديان، أو إنها لم تظهر إلى النور على الأقل – لم يمارس العمل الحكومي و السياسي و الجماعي سوى عشرة أعوام. يا له من عمر مبارك! لقد اتخذ مواقفه منذ بداية دخوله للمدينة.

الناقة التي كانت تحمل الرسول الأكرم (ص) دخلت مدينة يثرب و أحاط بها الناس. و قد كانت يثرب في ذلك الحين موزّعة إلى محلات و أحياء، و في كل حيّ بيوت و أزقة و أسوار و شخصيات بارزة، و كانت فيها قبائل بعضها من الأوس و بعضها من الخزرج. حين دخلت ناقة النبي مدينة يثرب ما مرّت بقلعة من قلاع القبائل

إلا و خرج أكابر القوم و منعوا الناقة عن المسير قائلين: يا رسول الله.. تعال هنا و أنزل علينا و لك بيوتنا و حياتنا و ثروتنا و راحتنا. فقال النبي: لا تصدّوا طريق الناقة، **فإنها مأمورة**. أي إنها تسير بأمر يوجّه لها، دعوها تواصل طريقها. ففتحوا الطريق أمام الناقة و سارت إلى الحيّ التالي، فهبّ أكابر القوم و أشرافهم و شيوخهم و شخصياتهم و شبابهم أمام الناقة و قالوا: يا رسول الله.. إنزل هنا فهذا بيتك و لك كل ما تشاء و كلنا في خدمتك. فقال لهم أيضاً: دعوا الناقة تواصل مسيرها **فإنها مأمورة**. و هكذا سارت الناقة حياً حياً إلى أن وصلت حيّ بني النجار، و منهم والدة الرسول (ص)، و هم يعدّون بالتالي أخوال الرسول، فتقدموا و قالوا: يا رسول الله نحن أقرباؤك و كل ما لدينا لك فانزل في بيوتنا. فقال: لا، **إنها مأمورة**، فأفسحوا لها الطريق. ففتحوا لها الطريق. و وصلت الناقة السير إلى أفقر أحياء المدينة و جلست في مكان ما. و نظر الجميع ليروا بجانب بيت من بركت الناقة، فوجدوا أنه بيت أبي أيوب الأنصاري، أفقر أو أحد أفقر الناس في المدينة. جاء هو و عائلته الفقيرة فأخذوا متاع النبي و أدخلوه بيتهم. و دخل الرسول بيتهم كضيف، و رفض ضيافة الأعيان و الأشراف و المتنفذين و رؤساء القبائل و أمثالهم، بمعنى أنه حدّد موقفه الاجتماعي، و تبيّن أن هذا الشخص غير مرتهن للمال و المكانة القبلية و شرف الرئاسة في تلك القبيلة أو أولئك القوم و العائلة أو الناس الانتهازيين.

منذ الساعة الأولى حدّد الرسول الأكرم (ص) موقفه و تعامله الاجتماعي و أنه منحاز لأية جماعة و طرف، و لأية فئة سيكون وجوده أنفع و أكثر خيراً و بركة. الكل كانوا ينتفعون من الرسول و تعاليمه، و لكن المحروم أكثر سينتفع بطبيعة الحال أكثر و لا بد من تعويض حرمانه. أمام بيت أبي أيوب الأنصاري كانت هناك أرض. فقال لمن هذه الأرض؟ قال له إنها ليتيمين اثنين. فدفع مالاً من عنده و اشترى هذه الأرض، و قال نبني في هذه الأرض مسجداً، أي مركزاً سياسياً و عبادياً و اجتماعياً و حكومياً، بمعنى مركز لاجتماع الناس. كان لا بدّ من مكان يعدّ مركزاً و قطباً. لذلك بدأوا ببناء المسجد. لم يطلب أرض المسجد من أحد يهبها له، إنما اشتراها بماله. و مع أن ذلكم

الطفلين لم يكن لهما أب يدافع عنهما، لكن الرسول دفع لهما حقهما كاملاً تاماً و كأنه أبوهما و المدافع عنهما. حين تقرر أن يبنوا مسجداً كان الرسول (ص) أول أو من أوائل من هبّوا و أمسك المعول بيده و شرع بحفر أساس المسجد، و لم يكن فعله هذا عملاً تشريفياً إنما بدأ بالعمل حقاً و عمل بعرق جبينه. عمل بطريقة قال معها بعض الذين كانوا جالسين جانباً: أنجلس و رسول الله يعمل هكذا؟! بل نذهب و نعمل نحن أيضاً. لذا جاءوا و شيّدوا المسجد خلال مدة قصيرة. لقد أثبت الرسول – هذا القائد المقتدر الرفيع – أنه لا يرى لنفسه أيّ حق خاص مميز. إذا تقرّر القيام بعمل معين فيجب أن يكون له نصيبه منه و من جهوده.

الفطنة و التدبير الدقيق في الأداء السياسي للرسول الأكرم (ص)

ثم خطط لتدبير هذا النظام و سياساته و إدارته. حين ينظر المرء و يرى أنه (ص) تقدم و عمل خطوة خطوة و بشكل ذكي و مدبّر يدرك أية أفكار و حسابات دقيقة كانت وراء تلك العزيمة و التصميم القاطع الحاسم، و التي لا يمكن حسب الظاهر أن تكون إلا بفضل الوحي الإلهي. و اليوم أيضاً من يريد متابعة تلك الأوضاع التي جرت على مدى عشرة أعوام خطوة بخطوة، لما أدرك شيئاً. لو حسب الإنسان حساب كل واقعة بشكل منفصل لما أدرك شيئاً.. يجب أن ينظر و يرى ما هو ترتيب الأمور، و كيف جرت كل هذه الأمور و الأعمال بتدبير و وعي و حسابات صحيحة.

أولاً كان هناك مشروع إيجاد الوحدة. لم يكن كل أهل المدينة قد دخلوا في الدين الإسلامي. دخل أكثرهم في الإسلام و بقي عدد قليل جداً غير مسلمين. بالإضافة إلى ذلك كانت هناك ثلاث قبائل مهمة من اليهود تسكن المدينة هم قبيلة بني قينقاع، و قبيلة بني النضير، و قبيلة بني قريظة. كانت لهم قلاعهم الخاصة الملتصقة تقريباً بالمدينة. يعود نزوحهم للمدينة المنوّرة إلى ما قبل مائة عام أو مائتي عام من ذلك التاريخ، و سبب مجيئهم ليثرب بحد ذاته له حكاية طويلة مفصلة. يوم دخل الرسول الأكرم (ص) المدينة كان اليهود فيها يمتازون ببعض الخصوصيات: أولاً كانت في أيديهم الثروة الأصلية في المدينة، و أفضل المزارع و أفضل التجارة و أكثر الصناعات ربحاً، من قبيل

صناعة الذهب و الجواهر و ما إلى ذلك. و كان معظم أهالي المدينة يرجعون لهم في حالات العوز و الحاجة، فيقترضون المال و يدفعون الربا. أي إن الكل كانوا مدينين و تابعين لليهود من الناحية المالية. و السمة الثانية هي تفوقهم الثقافي على أهل المدينة. فقد كانوا من أهل الكتاب و بالتالي لهم معارف دينية و فكرية متنوعة بعيدة جداً عن الذهنية نصف الوحشية السائدة في يثرب. لذا فهم كانوا مهيمنين فكرياً.

و الواقع إننا لو أردنا التحدث بلغة العصر لقلنا إن اليهود في المدينة كانوا طبقة مثقفة مستنيرة، لذلك كانوا يحمّقون الناس هناك و يستهينون و يستهزئون بهم. طبعاً حين تداهمهم الأخطار و يضطرون للتواضع و الصغار كانوا يفعلون ذلك، لكنهم كانوا متفوقين بشكل طبيعي. و الخصوصية الثالثة هي إنهم كانوا على ارتباط بالأماكن البعيدة، أي لم يكن فضاؤهم الحيوي في حدود المدينة فقط. كان اليهود واقعاً في المدينة المنورة، لذلك يجب على الرسول الأكرم أن يحسب لهم حساباً. و قد أوجد (ص) ميثاقاً جماعياً عاماً. حين دخل إلى المدينة، تبيّن أن قيادة المجتمع هي لهذا الرجل، من دون وجود عقد على ذلك و من دون أن يطلب ذلك من الناس، و بدون أن يكون الناس قد تفاوضوا في هذا الشأن. بمعنى أن الشخصية و العظمة النبوية أخضعت الجميع أمامه بشكل طبيعي، و تجلّى أنه هو القائد و يجب على الجميع التحرّك حول محور ما يقوله. كتب الرسول الأعظم (ص) ميثاقاً وافقه و رضي به الجميع. إنه ميثاق حول التعامل الاجتماعي و المعاملات و النزاعات و الديات و علاقات الرسول بمعارضيه و باليهود و غير المسلمين. كتب كل هذا و تم تسجيله، و كان شيئاً مفصلاً مستوعباً يستغرق نحو صفحتين أو ثلاث صفحات كبيرة من كتب التاريخ القديمة.

و الخطوة التالية المهمة جداً هي إيجاد الأخوّة. النزعة الأشرافية و التعصبات الخرافية و الغرور القبلي و البون بين الشرائح المتعدّدة من الناس أخطر البلايا التي تصيب المجتمعات المتعصبة الجاهلية العربية يومذاك. فأعلن رسول الإسلام (ص) الأخوّة و سحق كل تلك الأمراض بقدميه. أوجد أخوّة بين رئيس القبيلة الفلانية و بين شخص عادي جداً أو متوسط. و قال إنكما أخوان، و قد قبلوا هذه الأخوّة بكل رغبة. وضع

الأشراف و الأكابر إلى جانب العبيد المسلمين و المعتوقين، و إزال بذلك كل عقبات الوحدة الاجتماعية. حين أرادوا اختيار مؤذن للمسجد كان أصحاب الأصوات الجميلة و الأشكال الجميلة كثاراً، و هناك العديد من المعروفين و الشخصيات المبارزة، لكنه اختار من بينهم جميعاً بلال الحبشي.. لا جمال له و لا صوت و لا شرفاً عائلياً و لا أباً و لا أماً من المعروفين المشاهير. لم يكن لهم إلّا الإسلام و الإيمان و الجهاد في سبيل الله و إبداء التضحية في هذا السبيل. و هذا هو الملاك. لاحظوا كيف أعلن عن القيم بطريقة عملية. أثّر عمله و سيرته و نهجه في القلوب، قبل أن يؤثر كلامه في القلوب.

و من أجل أن يتمّ هذا الأمر و يستقر كان لا بدّ من المرور بثلاث مراحل: المرحلة الأولى إرساء دعائم النظام و التأسيس له، و هو ما تمّ بهذه الأعمال. و المرحلة الثانية حراسة هذا النظام و حمايته. الكائن الحيّ الآخذ بالرشد و النمو الذي لو علم به كل أصحاب القوة و السلطان لشعروا بالخطر منه، له أعداؤه طبعاً. و إذا لم يستطع الرسول الأكرم (ص) حماية هذا الوليد الجديد المبارك بوعي و فطنة مقابل أعدائه، فإنه سوف يزول و تذهب كل جهوده هباءً. لذلك لا بدّ من حمايته. و المرحلة الثالثة هي استكمال البناء و ترميمه. إرساء الدعائم و الأسس ليس كافياً. فهذه هي الخطوة الأولى. هذه الأعمال الثلاثة تحصل و تتم إلى جانب بعضها. أولاً إرساء الدعائم و الأسس، و لكن في أثناء عملية التأسيس نفسها أخذ الأعداء بنظر الاعتبار، و استمرت عمليات الحماية بعد ذلك أيضاً. و في عملية إرساء الدعائم نفسها جرى الاهتمام بالأشخاص و البُنى الاجتماعية، و استمرت هذه الحالة بعد ذلك أيضاً.

خمسة أعداء أصليين هددوا المجتمع الإسلامي في عصر النبي (ص)

نظر النبي فوجد خمسة أعداء أصليين يهددون هذا المجتمع الفتيّ الجديد:

العدو الأول عدوّ صغير قليل الأهمية، و لكن يجب في الوقت ذاته عدم الغفلة عنه، فقد يخلق على حين غرة أخطاراً كبيرة. من هو هذا العدو؟ إنه القبائل نصف المتوحشة المحيطة بالمدينة. كان هناك على بعد عشرة فراسخ أو خمسة عشر فرسخاً أو عشرين فرسخاً من المدينة المنورة قبائل نصف متوحشة كل حياتها حروب و دماء و غارات و نزاعات و نهب في ما بينها. إذا أراد الرسول الأكرم (ص) إقامة نظام اجتماعي سليم و موثوق و هادئ في المدينة، فيجب أن يحسب لهؤلاء حسابهم. فكّر الرسول الأعظم (ص) بهؤلاء، و عقد المعاهدات مع أية قبيلة منهم وجد فيها علامات الصلاح و الهداية، و لم يقل لهم منذ البداية يجب أن تدخلوا في الإسلام. لا.. بل كانوا كفاراً و مشركين. لكنه عقد معاهدات معهم لكي لا يهجموا و يتطاولوا. و كان النبي الأكرم (ص) شديد الإصرار على عهوده و صارم الالتزام بها، و سوف أتطرّق لهذا الجانب لاحقاً. أما الأشرار و غير الموثوقين منهم فقد عالجهم النبي بنفسه و سار إليهم. و السرايا التي سمعتم أن النبي بعث خمسين شخصاً لتلك القبيلة و عشرين رجلاً لتلك القبيلة، حالة تتعلق بهؤلاء الذين كانوا ذوي طباع لا تقبل الهدوء و الهداية و الإصلاح، و لا يمكنهم العيش إلا بسفك الدماء و القوة. لذا سار النبي إليهم و أشتدّ معهم و ألزمهم حدودهم.

٢ – الأشراف المستكبرون الحاكمون في مكة

العدو الثاني هو مكة التي كان لها مركزية و كانت قطباً مهماً. صحيح أنه لم تكن في مكة حكومة بالمعنى الدارج للكلمة، و لكن كان فيها جماعة من الأشراف المستكبرين المقتدرين المتنفذين يحكمون عملياً فيها. و قد كانت لهم خلافاتهم في ما بينهم، لكنهم اتحدوا مقابل هذا الوليد الجديد. و كان الرسول الأكرم (ص) يعلم أن الخطر الأفدح و الأهم يأتي من هؤلاء، و هذا ما حصل عملياً. شعر النبي أنه لو قعد حتى يأتيه هؤلاء فسوف يمنحهم الفرصة، لذلك سار إليهم، لكنه لم يسر نحو مكة. إنما هاجم طريق قافلتهم التي تمرّ بالقرب من مكة، فكانت حرب بدر أهم هجوم في بداية

الأمر. بدأ النبي الأكرم (ص) هجماته، و قابلوه بالحرب بكل عصبية و تشدّد و لجاجة. و استمر الوضع على هذه الحال نحو من أربعة أو خمسة أعوام. أي إن الرسول الأكرم (ص) لم يكن ليتركهم لحالهم، و كانوا هم في المقابل يأملون أن يجتثوا جذور هذا الوليد الجديد أي النظام الإسلامي الذي يشعرون بالخطر منه. معركة أحد و المعارك الأخرى التي وقعت كانت على هذه الخلفية.

المعركة الأخيرة التي ساروا فيها نحو الرسول كانت معركة الخندق و هي من المعارك المهمة جداً. جمعوا كل قواهم و استعانوا بالآخرين و قالوا نسير إليه و نقتل مائتين أو ثلاثمائة أو خمسمائة من أصحابه المقرّبين و ننهب المدينة و نعود سالمين غانمين مطمئنين، و لن تبقي لهم باقية أو آثار. و قبل أن يصلوا للمدينة اطلع النبي على نواياهم و تحرّكهم و حفر الخندق المعروف. أحد أطراف المدينة كان هشاً ممكن النفوذ منه، لذلك حفروا هناك خندقاً بعرض أربعين متراً تقريباً. و كان الشهر شهر رمضان. و حسب بعض الروايات فقد كان الجوّ بارداً جداً. و لم تكن هناك أمطار في ذلك العام و لم يحصل الناس على عائدات و محاصيل جيدة. لذلك كانت المشكلات كثيرة. و قد عمل النبي نفسه أشد و أكثر من الكل. أين ما شاهد شخصاً تعب و عطل و لا يستطيع مواصلة العمل في حفر الخندق كان الرسول يأخذ المعول منه و يعمل. أي إنه لم يكن يشارك بأوامره و دساتيره فقط، بل كان يشارك بجسمه و كدّه وسط جموع الناس. و وصل الكفار مقابل الخندق فشاهدوا أنهم لا يستطيعون اجتيازه، لذلك اضطروا للعودة مهزومين مفضوحين يائسين مخفقين. فقال النبي: انتهى الأمر، هذه ستكون آخر هجمة لقريش مكة علينا. من الآن فصاعداً سيكون الدور لنا، و سوف نهاجمهم نحن و هم في مكة.

في السنة التالية قال الرسول الأكرم (ص) إننا نريد الذهاب للعمرة، فوقعت حادثة الحديبية و هي من الأحداث ذات المعاني العميقة الكبيرة. سار النبي إلى مكة بقصد العمرة. و شاهد المشركون أن النبي قادم إلى مكة في الشهر الحرام الذي لا حرب و لا قتال فيه و هم يحترمون الأشهر الحرم. فما يفعلون؟ هل يفتحون له الطريق ليدخل؟ و

ما سيصنعون مع مثل هذا النصر الذي سيحققه، و كيف يمكنهم الحؤول دونه و التصدّي له؟ هل يسيرون لحربه في الشهر الحرام؟ كيف يقاتلون؟ و أخيراً قرروا أن يسيروا و يحولوا دون دخوله لمكة، و إذا واتتهم الذريعة ارتكبوا مذبحة ضد المسلمين. و دبّر الرسول الأعظم (ص) أفضل و أرقى تدبير اضطرهم للجلوس معه و توقيع معاهدة معه ليعود، على أن يأتي السنة القادمة لأداء العمرة، و انفتحت الأجواء في كل المنطقة للإعلام و التبليغ النبوي. اسمه صلح، لكن الله تعالى يقول في القرآن الكريم: «**إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً**».[1] لو راجع المراجعون المصادر التاريخية الصحيحة المعتبرة للاحظوا كم كانت قضية صلح الحديبية عجيبة. توجّه الرسول الأكرم (ص) العام المقبل إلى العمرة و ازدادت شوكته و قوته على الرغم منهم يوماً بعد يوم. و في السنة التالية – أي في السنة الثامنة للهجرة – حين نقض الكفار عهودهم سار النبي و فتح مكة، و كان فتحاً عظيماً ينمّ عن اقتداره و سيطرة حكومته. و عليه، تصرّف الرسول مع هذا العدو أيضاً بتدبير و اقتدار و صبر و أناة و من دون اضطراب و تسرّع، بل بخطوة إلى الوراء ليسير يوماً بعد يوم و خطوة خطوة إلى الأمام.

٣ – القبائل اليهودية الثلاث

العدو الثالث هو اليهود. أي الأجانب غير الموثوقين الذين رضوا موقتاً بمعايشة الرسول (ص) في المدينة المنورة، لكنهم لم يكونوا يقلعون عن الإيذاء و الإخلال و التخريب. و لو نظرنا لوجدنا أن جزءاً كبيراً من سورة البقرة و بعض الأجزاء من سور قرآنية أخرى تتعلق بالكفاح الثقافي للرسول ضد اليهود، فقد ذكرنا إنهم كانوا أناساً أصحاب ثقافة، و لهم وعيهم و معارفهم، و كانوا يؤثرون تأثيراً كبيراً على أذهان ضعفاء الإيمان، و يتآمرون و يبثون اليأس في نفوس الناس و يشعلون النزاعات بينهم. لقد كانوا عدواً منظماً لرسول الله (ص) و الإسلام. و قد عمل الرسول معهم بالمداراة ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، و لكن حين شاهد بعد ذلك أن المداراة لا تنفع معهم عاقبهم. و لم يسر الرسول نحوهم دون مقدمات أو مسوّغات. كل واحدة من هذه القبائل الثلاث

١. سورة الفتح، الآية ١ .

قامت بشيء فعاقبهم الرسول حسب أعمالهم. في البداية خانه بنو قينقاع فسار إليهم الرسول و قال يجب أن تغادروا هذا المكان فنزحوا و طردهم الرسول و بقيت كل إمكانياتهم للمسلمين. و الفئة الثانية هم بنو النضير خانوه أيضاً — و قصة خيانتهم مهمة في التاريخ — فقال لهم الرسول (ص) خذوا مقداراً من متاعكم و غادروا فاضطروا للجلاء و المغادرة. و الطائفة الثالثة هم بنو قريظة الذين سمح الرسول لهم بالبقاء و أعطاهم الأمان و لم يطردهم، و أبرم معهم عهداً لكي لا يسمحوا للعدو في معركة الخندق بالدخول إلى المدينة من أحيائهم، لكنهم تصرّفوا بدناءة و تآمروا مع العدو ليهاجموا الرسول إلى جانب المشركين! أي إنهم لم ينكثوا عهدهم مع الرسول و حسب، و إنما في حين حفر الرسول خندقاً حول جزء من المدينة كان هشاً يقبل التغلغل منه، و كانت أحياؤهم في جانب آخر و كان لا بدّ أن يمنعوا العدو من الدخول للمدينة عن طريق أحيائهم، ذهبوا و تفاوضوا مع العدو ليدخل العدو و هم معه بالاشتراك من ذلك الجانب و يطعنوا النبي و جماعته من الخلف غدراً! و علم الرسول بمؤامرتهم عندما حصلت.

استمرّ حصار المدينة نحو شهر، و قد خانوا الرسول (ص) في أواسط هذا الشهر. و علم الرسول بالأمر و بقرارهم هذا. و دبّر تدبيراً جد ذكي ليوقع بينهم و بين قريش — و قد كتبوا تفاصيل ذلك في التاريخ — و عمل ما من شأنه أن تزول الثقة بينهم و بين قريش. و كانت من حيل الحرب السياسية الرائعة جداً من قبل الرسول. أي إنه شلهم هناك لكي لا يستطيعوا توجيه ضربة له. و بعد ذلك حين هزمت قريش و حلفاؤها و غادروا الخندق و عادوا إلى مكة، عاد الرسول إلى المدينة. و صلى صلاة الظهر في نفس اليوم الذي عاد فيه، و قال نصلي العصر أمام قلاع بني قريظة، فسيروا إلى هناك. أي إنه لم ينتظر حتى ليلة واحدة. فسار إليهم و حاصرهم. و استمرّ الحصار و النزاع خمسة و عشرين يوماً. بعدها قتل الرسول كل رجالهم المحاربين، لأن خيانتهم كانت أكبر و لم تكن تقبل الإصلاح. هكذا تعامل الرسول معهم. أي إنه دفع عن المسلمين خطر اليهود — في حادثة بني قريظة أساساً و قبلها في حادثة بني النضير و

بعدها في حادثة يهود خيبر – بهذه التدابير و القدرة و المتابعة و بالأخلاق الإنسانية السامية. و لم ينقض الرسول عهوده في أيّ من هذه الحوادث، و هذا ما يوافقه حتى أعداء الإسلام بأن الرسول الأكرم (ص) لم ينقض أي عهد من عهوده في هذه الأحداث، إنما كانوا هم الذين نقضوا العهود.

٤ – المنافقون

العدو الرابع هم المنافقون. المنافقون كانوا مبثوثين بين الناس و المسلمين. إنهم أناس آمنوا بألسنتهم لكنهم غير مؤمنين في بواطنهم و قلوبهم، و كانوا أناساً منحطين معاندين ضيقي النظر و مستعدين للتعاون مع العدو، لكنهم غير منظمين. و هذا هو فرقهم عن اليهود. يتعامل الرسول مع العدو المنظم المستعد للهجوم و الجاهز لتوجيه الضربات كما تعامل مع اليهود، و لا يعطيهم الفرصة و الأمان، أما العدو غير المنظم، حتى لو كانت له لجاجاته و عداواته و خباثاته الفردية، فيتحمّله. كان عبد الله بن أبيّ من أعدى أعداء الرسول (ص). و قد بقي على قيد الحياة إلى حدود العام الأخير من حياة الرسول، لكن النبيّ الأكرم لم يعامله معاملة سيئة. هذا في حين أن الجميع كانوا يعلمون أنه منافق، لكنه تعامل معه بالمماشاة و تصرّف معه كباقي المسلمين، و منحه سهمه من بيت المال، و حفظ له أمنه و حرمته. هذا مع أنه مارس ما مارس من الإساءات و الخبث، و هناك فصل من سورة البقرة يتحدّث عن هؤلاء المنافقين. و حين قام عدد من هؤلاء المنافقين بأعمال منظمة سار إليهم الرسول. في قضية مسجد ضرار أقام المنافقون مركزاً لهم، و شكلوا علاقات مع خارج النظام الإسلامي – أي مع من كان في منطقة الروم، مثل أبي عامر الراهب – و مهّدوا الأمور لتحرّك جيش من الروم ضد الرسول. هنا تحرّك الرسول ضدهم و هدم المسجد الذي بنوه و أحرقه. و قال إن هذا المسجد ليس بمسجد بل هو مركز تآمر على المسجد و على الله و على الناس. أو عندما أظهر بعض المنافقين كفرهم و خرجوا من المدينة و أعدّوا جيشاً في مكان من الأمكنة، حاربهم الرسول و قال إذا اقتربوا منا سرنا إليهم و قاتلناهم، هذا مع أن المنافقين كانوا داخل المدينة أيضاً و لم يكن النبي (ص) يتعرّض لهم. و عليه، كان له

موقف حاسم منظم مع الفئة الثالثة، لكنه تعامل بطريقة مرنة ليّنة مع الفئة الرابعة، لأنهم لم يكونوا منظمين و أخطارهم أخطار فردية. و كثيراً ما كان الرسول (ص) يُخجلهم بسلوكه.

٥ – العدو الداخلي.. الميول النفسية نحو الانحراف و الضلال

أما العدو الخامس فهو عدو يعشعش في داخل كل واحد من المسلمين و المؤمنين. و هو أخطر من كل الأعداء الآخرين. إنه عدوّ موجود في داخلنا نحن أيضاً. إنه الميول النفسية و الأهواء و النزوات و الأنانيات و الميل للانحراف و النزوع للانحراف و المزالق التي يمهّد الإنسان نفسه الأرضية لها. و قد حارب الرسول (ص) هذا العدو أيضاً حرباً لا هوادة فيها. بيد أن محاربة هذا العدو لا تكون بالسيف، بل هي بالتربية و التزكية و التعليم و الإنذار. لذلك حين عاد المسلمون من إحدى الحروب بعد كثير من الجهد و التعب، قال لهم الرسول الأكرم (ص): عدتم من الجهاد الأصغر و بقي عليكم الجهاد الأكبر. عجيب..! يا رسول الله، و ما الجهاد الأكبر؟! لقد خضنا جهاداً بهذه العظمة و المتاعب، أو هناك جهاد أكبر من هذا الجهاد؟! فقال لهم الرسول: نعم، إنه جهاد أنفسكم. حين يقول القرآن الكريم: «**الذين في قلوبهم مرض**»،[1] لا يريد بهم المنافقين. طبعاً بعض المنافقين هم أيضاً ممن في قلوبهم مرض، و لكن ليس كل من في قلبه مرض يمكن أن يقال إنه من المنافقين. قد يكون مؤمناً و لكن في قلبه مرض. ما معنى هذا المرض؟ معناه حالات الضعف الأخلاقية و الشخصية و الأهواء و الميل للأنانيات المختلفة التي إن لم تمنعها و تحاربها فسوف تسلبك الإيمان، و تفرّغك من الداخل.

حين يسلبك هذا المرض إيمانك، يكون قلبك خلواً من الإيمان و ظاهرك الإيمان، و عندئذ سيسمّى مثل هذا الشخص منافقاً. إذا خلت قلوبنا أنا و أنتم لا سمح الله من الإيمان و ظاهرنا ظاهر إيماني، و إذا فقدنا الأواصر و الالتزامات العقيدية و الإيمانية، و ما انفك لساننا يلهج بالكلام الإيماني الذي كنا نقوله سابقاً، فسيكون هذا هو النفاق،

---

١. سورة الأنفال، الآية ٤٩ .

و هو خطر. يقول القرآن الكريم: «**ثم كان عاقبة الذين أساؤا السوء أن كذبوا بآيات الله**»،[١] الذين يفعلون الأفعال السيئة سيكون نصيبهم أسوء الأشياء. فما هو أسوء الأشياء؟ التكذيب بآيات الله. و يقول في موضع آخر: الذين لم يقوموا بالواجب الإلهي الكبير المتمثل بالإنفاق في سبيل الله.. «**فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم إلى يوم القيامة يلقونه بما اخلفوا لله ما وعدوه**»،[٢] لأنهم أخلفوا الله ما وعدوه تفاعل النفاق في قلوبهم. هذا هو الخطر الكبير على المجتمع الإسلامي. و أين ما ترون في التاريخ أن المجتمع الإسلامي قد انحرف فهذا هو السبب. قد يدخل العدو الخارجي فيقمع و يدمّر و يهزم و ينتصر، لكنه لا يستطيع أن يدمّر كل شيء، لأن الإيمان سيبقى و ينمو و يتصاعد و يزدهر في وقت من الأوقات. و لكن حين تهجم جيوش العدو الداخلي و تُخلي داخل الإنسان و تفرّغه، فإن الطريق سيتغيّر و ينحرف. و أين ما حصل انحراف فهذا هو السبب و المصدر. و قد حارب الرسول الأكرم (ص) هذا العدوّ أيضاً.

كان الرسول الأكرم (ص) مدبّراً في تصرّفاته و أعماله و لا يفوّت الوقت. لا يسمح للوقت بالفوات في أية قضية من القضايا. كان يعيش القناعة و الطهارة الشخصية، و لم تكن في ذاته المباركة أية نقطة ضعف. كان معصوماً و مطهّراً، و هذا بحد ذاته أهم عوامل التأثير. علينا أن نتعلم، و جانب كبير من هذا الكلام يجب أن يُقال لي، و يجب أن أتعلمه أنا، و يجب أن يتعلمه المسؤولون. التأثير بالأعمال أعمق و أوسع بكثير من التأثير باللسان. كان حاسماً و صريحاً. لم يكن يتحدث بكلام ذي وجهين أبداً. طبعاً حين كان يواجه العدو كان يمارس العمل السياسي بدقة، و يوقع العدو في الخطأ. في أحيان كثيرة فاجأ الرسولُ الأعداءَ و أخذهم على حين غرة، سواء من الناحية العسكرية أو من الناحية السياسية، لكنه كان مع المؤمنين و مع أصحابه صريحاً واضحاً دوماً يتكلم معهم بشفافية و لم تكن له معهم ممارسات سياسية. في حالات اللزوم كان يعاملهم بلين، مثل قضية عبد الله بن أبيّ التي فيها الكثير من

---

١. سورة الروم، الآية ١٠ .

٢. سورة التوبة، الآية ٧٧ .

الأحداث و التفاصيل. و لم ينكث أبداً عهده و التزاماته مع الناس و الجماعات التي كانت له معهم عهود و عقود حتى مع أعدائه و كفار مكة. لم ينقض الرسول (ص) عهوده معهم، بل نقضوها هم، و ردّ الرسول رداً حاسماً. لم ينكث تعهده و مواثيقه مع أحد أبداً، لذلك كانوا يعلمون أنهم حين يبرمون العهود و المواثيق مع هذا الرجل يمكن الوثوق بعهوده و ما يقوله.

من جهة أخرى لم يكن الرسول الأكرم (ص) يترك تضرّعه، بل كان يعزز ارتباطه بالله تعالى أكثر فأكثر. في وسط ساحة الحرب، عندما كان ينظم قواته و يشجعهم و يحضهم، كان يأخذ السلاح بنفسه و يمارس القياده بحسم و قاطعية، أو يعلمهم ماذا يفعلون، و يقع على ركبتيه و يرفع يديه بالدعاء لله تعالى و يبكي أمام الناس و يتكلم مع الله: ربنا أنت أعنّا.. ربنا أنت انصرنا.. ربنا ادفع أنت أعداءك. لم يكن دعاؤه يصرفه عن استخدام قوّته، و لا استخدامه قوّته كان يغفله عن التوسل و التضرّع و الارتباط بالله. كان لا يغفل عن الجانبين. لم يتملكه الخوف أو التردّد يوماً أمام العدو العنود. الإمام علي بن أبي طالب (ع) و هو مظهر الشجاعة، يقول: متى ما كانت الظروف تسوء و تعسر في الحروب كنا نلوذ برسول الله. متى ما شعر شخص بالضعف في المواطن الصعبة كان يلوذ بالرسول. لقد حكم عشرة أعوام و لكن لو أردنا أن نعطي ما قام به خلال هذه الأعوام العشرة لمجموعة دؤوبة لتقوم به لما استطاعت إنجاز كل هذا الجهد و السعي و الخدمات حتى في مائة سنة. إذا قارنّا أعمالنا اليوم بما قام به الرسول الكريم (ص)، سنعلم عندها ماذا فعل الرسول. إدارة تلك الحكومة و تأسيس ذلك المجتمع و صياغة ذلك النموذج، من معجزات الرسول. عاش الناس معه عشرة أعوام نهاراً و مساءً، و كانوا يأتونه في بيته، و يزورهم لبيوتهم. و كان معهم في المسجد، و معهم في الطرق و الأسفار، و معهم في النوم و معهم في الجوع و معهم في الأفراح. أجواء حياه الرسول الأعظم (ص) كانت أجواء مبهجة مليئة بالسرور، كان يتمازح مع الأشخاص و يجعل لهم المسابقات و يشترك هو في المسابقات. الذين عاشوا مع الرسول تلك الأعوام العشرة تعمقت محبته و الإيمان به في قلوبهم يوماً بعد يوم. في فتح مكة

حين جاء أبو سفيان خفية و بحماية العباس – عمّ الرسول – إلى معسكر المسلمين ليحصل على الأمان، شاهد عند الصباح أن النبي يتوضّأ و الناس من حوله يأخذون قطرات الماء المتساقطة من وجهه و يديه و يتنافسون عليها! فقال: لقد شاهدتُ الأكاسرة و القياصرة – ملوك العالم الأقوياء الكبار – لكنني لم أشاهد فيهم مثل هذه العزة.

نعم.. العزة المعنوية هي العزة الحقيقية.. «**و لله العزة و لرسوله و للمؤمنين**»،[1] المؤمنون أيضاً إذا ساروا في هذا الطريق كانت لهم العزة. في مثل هذه الأيام – يوم الثامن و العشرين من صفر – فارق الناسَ هذا الإنسانُ الرفيع و الأب الحنون، و تركهم في لوعة و حزن. يوم رحيل الرسول الأكرم (ص) و ما قبله من أيام كان فيها مريضاً مرّت على المدينة بصعوبة، خصوصاً بتلك الظروف التي حصلت قبل رحيله بقليل. جاء الرسول إلى المسجد و ارتقى المنبر و قال: كل من كان له في عنقي دين أو حق فليأخذه منّي. فانخرط الناس في البكاء و قالوا: يا رسول الله، أيكون لنا نحن في عنقك حق؟! فقال إن الفضيحة عند الله أشدّ من الفضيحة عندكم، إذا كان لكم حق في عنقي، و يطلبني أحد بشيء فتعالوا و خذوه لكي لا يُؤخذ مني يوم القيامة. لاحظوا أية أخلاق هذه! من الذي يقول هذا الكلام؟ الإنسان العظيم الرفيع الذي يفخر جبرئيل بصحبته. لكنه لم يكن يمزح مع الناس، بل كان يتحدث بجدّ لئلا يكون قد أضاع و هو لا يعلم حقاً لأحد الناس. كرّر الرسول الأعظم (ص) مقولته هذه مرتين أو ثلاثاً.

طبعاً وردت في التواريخ أحداث و أقوال لا أدري بالضبط أيها دقيق، لكن القول الذي روي غالباً هو أن رجلاً نهض و قال: يا رسول الله، أنا لي في عنقك حق.. ذات مرة كنت تجتاز بناقتك من جواري، و كنت أنا أيضاً راكباً و كنت أنت أيضاً راكباً. و اقتربت ناقتي منك فأردت أن تهشّها بعصاك فوقعت عصاك على بطني، و أنا أطلبك هذا! فرفع الرسول الأعظم (ص) قميصه و قال: تعال و اقتصّ مني الآن، و لا تدع

---

١. سورة المنافقون، الآية ٨ .

الأمر يبقى ليوم القيامة. نظر الناس حيارى و هم يتساءلون أيريد هذا الرجل حقاً أن يقتصّ من الرسول؟ و هل سيطاوعه قلبه؟ و شاهدوا أن الرسول (ص) أرسل شخصاً ليأتيه من البيت بعصاه نفسها. ثم قال: خذها و اضرب بطني بنفس العصا. فتقدم الرجل، و الناس مبهوتين ذاهلين متحيّرين خجلين خوفاً من أن يريد هذا الرجل أن يضرب النبي حقاً. لكنهم شاهدوه فجأة يقع على أقدام الرسول و قبّل بطن النبي. و قال: يا رسول الله! إنما أريد أن أنقذ نفسي من نار الجحيم بمسّي لبدنك!

اللهم بحق محمد و آله محمد، و بعزتك و جلالك، صلّ أفضل صلاتك و سلم خير سلامك من اليوم إلى الأبد على الروح الطاهرة لرسولنا العزيز، و بلغه أفضل ألطافك و فضلك. ربّنا اجزه عن الإسلام و المسلمين و عن البشرية خير الجزاء. اجلعنا أمّته و من السائرين على طريقه و صراطه المستقيم. اجعل مجتمعنا شبيهاً بمجتمعه. و منّ علينا جميعاً بهمّة اتباعه و احتذاء خطاه.[١]

أهميـــــة ولادة الرسـول الأكـرم (ص) و آثارها

لا مراء أن اليوم الذي تنوّرت فيه الدنيا المظلمة بالأنوار الإلهية لهذا الكيان المقدس عند ولادته، يجب أن يعدّ بداية تاريخ جديد للبشرية. كما قال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه الصلاة و السلام) في كلماته، كان نور السعادة قد فارق المجتمعات البشرية في ذلك العصر نتيجة سيادة القوانين و السلطات الجائرة.. «**و الدنيا كاسفة النور، ظاهرة الغرور**».[٢] أظهر نور الرسول (ص) منذ بداية ظهوره علامات سيادة الحق و دلائل حضور البرهان الإلهي بين الناس. العجائب التي وقعت عند ولادة الرسول الأكرم (ص) كانت في الحقيقة إنذاراً للبشرية و التاريخ. أن يتصدّع قصر كسرى عند ولادته (ص) أو تنطفئ نيران في معابد النار، فهذا له معنى رمزي. المعنى الرمزي لهذه الحقائق و الأحداث هو أن ظهور هذا الوليد المبارك فتح أمام البشر طريقاً يخرجهم من ظلمات الأوهام و الأنظمة الظالمة. أما من هم الذين يختارون هذا الطريق و يسيرون فيه

---

١. من خطبتي صلاة الجمعة بطهران في تاريخ ٢٠٠١/٠٥/١٨ م.

٢. نهج البلاغة، الخطبة رقم ٨٩ .

باقتدار و من الذين يعرضون عنه و لا ينالون شيئاً من خيراته، فهذا يعود إلى إرادة الأفراد و مشيئتهم. هم الذين يختارون بأنفسهم مصيرهم و مستقبلهم، لكن هذا الدرب انفتح أمام الناس. أضف إلى ذلك أن السنة الإلهية جرت على أن تتجه المسيرة العامة للبشر نحو نفس هذه الأهداف السامية. هذا شيء تتجه صوبه المجتمعات البشرية بشكل قهري طبيعي. و هو ما تدلّ عليه كل أحداث التاريخ. الرقيّ العلمي و التقدم المعرفي للبشر يصبّ كله باتجاه تعاليم نبي الإسلام المكرم (ص) و نحو نهايته و غايته.

و اليوم أيضاً يشعر البشر أكثر من أي وقت آخر بالحاجة لتعالم رسول الإسلام النيّرة.[١]

المبعث في الحقيقة يوم ارتفاع راية رسالة لها مميزات منقطعة النظير للإنسانية. الواقع أن المبعث رفع راية العلم و المعرفة. بدأت البعثة بكلمة «إقرأ».. «**إقرأ باسم ربك الذي خلق**»[٢] و بـ «**ادع إلى سبيل ربك بالحكمة و الموضعة الحسنة**»[٣] أي الدعوة المصحوبة بالحكمة. الواقع أن الدعوة الإسلامية نشر للحكمة في كل أنحاء العالم على مرّ التاريخ. كما أن البعثة رفع لراية العدل، و تكريس للعدالة بين المؤمنين و عباد الله و كل أبناء البشر، كما أن الرسالة هي رفع راية الأخلاق الإنسانية السامية.. «**بعثت لأتمّم مكارم الأخلاق**»[٤] يقول الله تعالى مخاطباً رسوله الكريم: «**و ما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**».[٥] أي إن كل الأشياء و الأمور التي يحتاجها البشر في كل الأزمنة و الظروف و في كل ناحية من العالم، مدرجة في هذه البعثة، أي العلم و المعرفة و الحكمة و الرحمة و العدل و الأخوّة و المساواة، و كل الأمور الأساسية التي يناط بها

---

١. من كلمته في لقائه مدراء الجمهورية الإسلامية الإيرانية في ذكرى ولادة الرسول الأعظم (ص) و الإمام جعفر الصادق (ع)، بتاريخ ٢٠٠١/٠٦/١٠ م.

٢. سورة العلق، الآية ١ .

٣. سورة النحل، الآية ١٢٥ .

٤. بحار الأنوار، ج ٦٧ ، ص ٣٧٢ .

٥. سورة الأنبياء، الآية ١٠٧ .

سياق الحياة الإنسانية السليمة. و مع أن في الإسلام جهاد، و معنى الجهاد مكافحة التعسف و الاعتداء – طبعاً اعتبر البعض عن سوء نيّة الدين الإسلامي دين السيف لوجود حكم الجهاد فيه – لكن هذا الإسلام نفسه يقول: «**و إن جنحوا للسلم فاجنح لها و توكّل على الله**»[1] أي إنه يفضّل السلام على الحرب حين تقتضي الظروف.

الإنسانية في الوقت الحاضر بحاجة لهذه المعارف. نحن المسلمين مقصّرون و يجب أن نعترف بتقصيرنا. نحن المسلمين مقصّرون. أولاً نحن مقصّرون في عرض المعارف الحقيقية للإسلام على مستوى العالم. ثانياً مقصّرون في عرض النماذج الصحيحة للإسلام على مستوى العالم. لو أقام المسلمون أعمالهم و سلوكياتهم الاجتماعية و الفردية و نماذجهم الحكومية و السياسية على أساس هذه المعارف و بما يتطابق معها، لكان ذلك أعظم و أفضل دعوة للإسلام. طبعاً لا مراء أن هناك اليوم أمواج دعائية و إعلامية معقدة و متشابكة في العالم تركّز كلها ضد الإسلام.[2]

العلامات الرمزية لولادة الرسول الأكرم (ص)

في مثل هذا اليوم أظهر الله تعالى أعظم ذخر و كنز إلهي هو الذات المقدسة لرسول الإسلام الكريم (ص). و كان هذا بداية حقبة حاسمة في مصير البشرية. قالوا في علامات ولادة الرسول الأكرم (ص) إنه حين ولد انهارت قمّة قصر كسرى، و انطفأت النار في معبد آذرگشسب التي بقيت متقدة قروناً من الزمان، و جفت بحيرة ساوة التي كان بعض الناس آنذاك يعتقدون أنها بحيرة مقدسة، و انهارت و تكسرت أصنام كانت معلقة حول الكعبة. هذه العلامات و هي رمزية تماماً تشير إلى اتجاه الإرادة و السنة الإلهية بولادة هذا الإنسان العظيم و الشخصية السامية المنقطعة النظير. معنى هذه الأحداث الرمزية أن هذه الولادة المباركة من شأنها إنهاء حالات إذلال الإنسان، سواء عن طريق سيادة الحكام الجبابرة المستبدين – من قبيل ما كان يومذاك في بلاد إيران و الروم – أو عن طريق عبادة غير الله. يجب أن يتحرّر البشر على يد هذا الوليد المبارك،

---

١. سورة الأنفال، الآية ٦١ .

٢. من كلمته في لقائه المدراء و المسؤولين في الجمهورية الإسلامية الإيرانية بمناسبة عيد المبعث النبوي الشريف، بتاريخ ٢٠٠١/١٠/١٥ م.

من أغلال الجور التي ضربها الحكام الظالمون على الناس على مرّ التاريخ، و أيضاً من أصفاد الخرافات و المعتقدات غير الصحيحة و المذلة التي تجعل الإنسان ذليلاً خاضعاً مدّاحاً أمام كائنات أدنى منه و أحط أو حيال غيره من البشر. لذلك تقول الآية القرآنية حول بعثة الرسول الأكرم (ص): «**هو الذي أرسل رسوله بالهدى و دين الحق ليظهره على الدين كله و كفى بالله شهيداً**».[١] ليظهره على الدين كله حالة لم يوضع لها جدول زمني معين، إنما هي تشير إلى الاتجاه في هذه المسيرة. يجب أن تسير البشرية بفضل هذا الحدث نحو الحرية المعنوية و الاجتماعية و الحقيقية و العقلانية. لقد انطلق هذا الأمر، و استمراره بيد الناس. هذه بدورها سُنّة أخرى في عالم الخلقة.

لو وظّف الناس جهودهم و مساعيهم و هممهم أكثر لحققوا الأهداف الإلهية — المرسومة في التعاليم و البرامج الإلهية — أسرع. أما إذا لم يستخدموها و أبدوا الضعف و التقاعس فسوف يتأخرون في هذا الطريق سنين طويلة تشبه تيه بني إسرائيل: «**أربعين سنة يتيهون في الأرض**»،[٢] لقد تاه بنو إسرائيل في الصحراء بما كسبت أيديهم. كان بوسعهم أن يمنعوا ما حلّ بهم من عسر و مرارات. كان بوسعهم أن يقصّروا مدة هذه الأزمة، و كان بمقدورهم في الوقت نفسه أن يزيدوا من مدتها. و كذا الحال بالنسبة لمصيرنا. لقد تمّ شرح أسباب خلقة البشر و فلسفة البعثة و إرسال الرسل و إنزال الكتب السماوية من قبل الله.. شُرحت هذه الأمور و تمّ تعيينها للمسلمين. و البشر أنفسهم بمستطاعهم تقصير هذا الطريق الطويل، و الوصول إلى الأهداف سريعاً أو متأخرين.[٣]

---

١. سورة الفتح، الآية ٢٨ .

٢. سورة المائدة، الآية ٢٦ .

٣. من كلمته في مدراء الدولة بمناسبة ذكرى ولادة الرسول الأكرم (ص) و الإمام جعفر الصادق (ع)، بتاريخ ٢٠٠٢/٠٥/٣٠ م.

مقارنة بين جاهلية ما قبل الإسلام و الجاهلية المعاصرة

بعثة النبي الأكرم (ص) للإنسانية كانت بداية طريق جديد. العالم الذي أحاط بتلك الرسالة و مكان ظهورها كان عالماً بالغ السوء و لا يمكن أن يطاق. كان عالم الميول الجامحة للماديات و عالم الخصال الحيوانية و عالم الأقوياء و العتاة و الجبابرة المنفلتين، و عالم التمييز و الفساد و الظلم و الشهوات و التحلل. و لم يكن هذا الوضع خاصاً بمنطقة الحجاز، إنما الدولتان الكبريان اللتان أحاطتا بشبه الجزيرة العربية أيضاً – أي إيران الساسانية و الامبراطورية الرومانية – عانتا من نفس المشكلات.

الجاهلية التي كانت تفرض البؤس و المرارة على حياة الناس في زمن ظهور الإسلام كانت جاهلية شاملة. في ذلك العصر كانت هناك فتن لا تطاق يعيشها الإنسان في كل المناطق المحيطة بشبه الجزيرة العربية. و قد كانت هناك علوم و كانت حضارة – بمستوى ذلك العصر – و كان هناك نظام و حكومات ملكية و تشريفات و حالات انضباط ناجمة عن القوة المطلقة في تلك البلدان، لكن ما كان غائباً هو نور الإنسانية و الفضيلة. و ما كان غائباً هو بالضبط ما تحتاج إليه الإنسانية أمسّ الحاجة، أي بيئة الفضائل الإنسانية و مناخ الرحمة و الإنصاف و العدالة. ما كان يعوز الناس يومذاك هو العدالة. ما كان الناس يفتقدونه هو أن لا يسحق الضعيف تحت أقدام القوي، و أن لا تُحتكر خيرات الأرض بيد عدد قليل من الأفراد الأقوياء و يحرم الآخرون منها. هذه كانت الأوجاع و الآلآم الكبيرة للإنسانية.

و قد كان الوضع على نفس النحو في ظل الدولة الساسانية، و كذلك في ظل الدولة الرومانية، و لكن في كل واحدة بخصائص معينة. و قد كانت الحياة البدوية سائدة يومئذ في الحجاز و بمواصفات و خصائص مختلفة. و قد ظهرت البعثة الإسلامية و سطعت مقابل كل هذا. لم تكن البعثة مختصة بتلك المنطقة التي ظهرت فيها، بل هي لكل البشرية: «**إن هو إلا ذكر للعالمين**».[1] استطاع النبي الأكرم (ص) أن يقف بوجه ذلك الواقع المرّ و يغيّره. استطاع الرسول إيجاد صدوع كبيرة في جدران الفساد و

---

١. سورة التكوير، الآية ٢٧ .

اللاعدالة في حياة البشر، و تدمير بعضها و إسقاطه، و إعداد بعضها للانهيار و السقوط. كان يواجه الرسول الأكرم (ص) أمامه أعتى صنوف الواقع و أصعبها. حين يكون القبح و الفساد و الخلل مجهزاً بالقوة و السيوف و الإرادة و السياسة فسيمثل خطراً هائلاً يهدد البشرية.

البشرية اليوم في القرن الحادي و العشرين، و على الرغم من كل دعاواها، تسير نتيجة بعض حالات الضعف و الخلل نحو هيمنة قوة أو مجموعة من القوى منفلتة الزمام تعتمد على قوّتها و قبضتها الفولاذية و أسلحتها الفتاكة لتقرّر لنفسها الحق، و هو حق غير موجود. و هذا هو الوضع الذي كان سائداً يومذاك في بداية البعثة. و قد وقف الرسول الأعظم (ص)، و لم يقل إن هذا واقع قائم و ما عسى يمكن الفعل مقابل الواقع. بعض الناس يبررون ضعفهم و خور هممهم بالقول إن هذا واقع و ما عسانا فاعلين أمام الواقع؟ ليس هذا هو الواقع الذي يجب أن نستسلم أمامه. الواقع الطبيعي و الواقع الذي لا يقبل العلاج و الواقع المفروض على الإنسان، هذا هو الواقع الذي يجب على المرء التكيّف و التأقلم معه. أما الواقع الذي يخلقه البعض بالقوة و العسف ضد جماعة أخرى فيجب قلبه و تغييره.

ليس من المنطقي أن نقول إن قوة الاستكبار اليوم واقع، فما نفعل أمامه. هذا واقع مفروض. الناس الكبار و الأديان الإلهية و أصحاب الأفكار الكبرى يقفون بوجه هذا الواقع و يكافحونه ليغيّروه و سوف يتغيّر. هذه كانت حقيقة البعثة. يوم شاعت هذه الرسالة في أجواء مكة، قال: «**قولوا لا إله إلا الله تفلحوا**».[1] حتى المنصفون و الخيّرون ما كانوا ليتجرّأوا على التفكير باحتمال انتصار هذه الكلمة في يوم من الأيام، لأن الأرضية لم تكن معدّة. كل هذه الأصنام كانت معلقة على جدران الكعبة، و تدعمها العصبيات الجاهلية العميقة، و أشراف مكة و العوائل القوية المتنفذة التي تقلب كلمة **لا إله إلا الله** مصالحهم و وضعهم، و من ورائهم الدولتان الساسانية و الرومانية المقتدرتان. هل كان أحد ليتجرّأ و الحال هذه على التفكير للوهلة الأولى بأن هذه

---

١. بحار الأنوار، ج ١٨ ، ص ٢٠٢ .

الفكرة ممكنة الطرح و المتابعة؟! الأشخاص الضعفاء ينسحبون من هذه المرحلة. لكن الواجب و الرسالة و البعثة دفعت بالرسول الأعظم (ص) إلى الأمام. البعثة معناها الإرسال، و قد حدثت هذه البعثة لتغيّر الأجواء في الحجاز بداية، و من بعد ذلك في كل العالم المتحضر آنذاك، و خلال نيّف و عشرين عاماً.

لم يكن قد انقضى أكثر من نصف قرن على ظهور الإسلام و أصل البعثة حتى تأثر أكثر من نصف العالم المتحضر بالإسلام. لا تظنوا أن دولاً و حكومات مثل الامبراطوريات المقتدرة لم يكن لها شيء من العلم و العقل و التنظيمات و القوات المسلحة و الدعاوى و الغرور و التكبر، بلى، كان لها، لكن الإيمان الصريح و الواضح و المعتمد على المنطق القوي حين يملأ قلوب الناس ذوي الهمم و الإخلاص و التضحية، فإن كل هذه الموانع و العقبات سترتفع. و كذا الحال اليوم أيضاً. الإيمان الإسلامي إيمان يعتمد على المنطق و البرهان و يشتمل على خير البشر و سعادتهم.[١]

الصحوة الإسلامية عودة المسلمين من حقبة الجهل و الانحراف إلى تعاليم الرسول الحقيقية

كانت هذه الولادة طليعة الرحمة الإلهية في تاريخ البشرية. لقد عبّر القرآن الكريم عن وجود الرسول الأكرم (ص) بأنه «**رحمة للعالمين**».[٢] و هذه الرحمة غير محدودة فهي تشمل التربية و التزكية و التعليم و هداية البشر نحو الصراط المستقيم و تقدم الإنسان في مجالات الحياة المادية و المعنوية. و هي لا تختص بالناس في ذلك الزمان، بل تشمل البشرية على امتداد التاريخ: «**و آخرين منهم لمّا يلحقوا بهم**».[٣] و سبيل الوصول إلى ذلك الهدف هو العمل بمعارف الإسلام و قوانينه المرسومة للبشرية.

شهدت الأمة الإسلامية الكبرى طوال قرون متمادية الكثير من التحديات و الانحرافات. لقد أبعدنا أنفسنا عن الإسلام و انشغلنا بأشياء حذرنا الإسلام منها. انشغلنا على مدى هذا التاريخ الطويل بحروب داخلية، و انشغلنا بالقوى الطاغوتية.

---

١. من كلمته في لقائه مدراء الجمهورية الإسلامية الإيرانية بمناسبة المبعث النبوي الشريف، بتاريخ ٢٠٠٢/١٠/٠٥ م.

٢. سورة الأنبياء، الآية ١٠٧ .

٣. سورة الجمعة، الآية ٣ .

فكانت النتيجة أن لم تستطع الأمة الإسلامية الكبرى على امتداد قرون طويلة من بعد القرون الإسلامية الأولى الوصول إلى الهدف و الغاية التي أرادها لها رسول الإسلام الكريم (ص) و الدين الإسلامي الحنيف. مع أن الله تعالى أودع في البلدان الإسلامية الكثير من الثروات المادية التي كان يمكنها أن تكون وسيلة لإحرازنا التقدم و الرفعة، لكننا كنا على صعيد العلم و الصناعة و الكثير من مؤشرات التقدم في المراتب المتأخرة من العالم. لم يكن هذا هو الشيء الذي أراده لنا الإسلام، كان هذا هو ما جلبته علينا أعمالنا السيئة و سلوكنا و غفلتنا نحن المسلمين: «**ما أصابك من سيئة فمن نفسك**».[1] نحن الذين أوقعنا أنفسنا في هذه الأوضاع نتيجة غفلتنا على مرّ الزمان.

لقد اختلفت الأوضاع في العالم الإسلامي اليوم، و الصحوة الإسلامية محسوسة و مشهودة في كل أرجاء العالم الإسلامي. تلاحظ حركة و نهضة عظيمة في أطوار مختلفة في كل العالم الإسلامي، و هناك ميول للعودة إلى الأصول و المباني الإسلامية التي تورث المسلمين العزة و التقدم و الرقيّ. على المثقفين و علماء الدين و السياسيين في العالم الإسلامي تعزيز هذه الحركة. من الخطأ أن يتصور البعض في العالم الإسلامي أن حركة الصحوة الإسلامية بين الشباب تعود بالضرر على الحكومات الإسلامية، لا، بوسع الحكومات الإسلامية بفضل الصحوة الإسلامية أن تستعيد العزة التي سلبتها منها القوى المستكبرة. و من النماذج على ذلك بلادنا و ثورتنا و إمامنا الخميني الراحل. بعد أن عشنا قروناً طويلة تحت وطأة الاستبداد و قرنين من الزمان تحت نير هيمنة الأجانب، صحونا على أنفسنا و استطاع إمامنا الخميني الجليل إعادة العزة للشعب. لقد ساد الإنجليز و الروس و الأمريكان في هذا البلد على الترتيب و كانوا هم الحكام الحقيقيين فيه، حتى لو لم يكونوا هم على رأس السلطة الظاهرية فيه. فقد كانت الأمور في أيديهم و كل شيء في البلاد تحت تصرفهم. و كان شعبنا محروماً من حقوقه و مصادره الطبيعية و عزته و الطعم الحقيقي لدينه.

استطاع إمامنا الخميني الجليل بفضل العودة إلى الإسلام و التمسك به إزاحة الهيمنة

---

١. سورة النساء، الآية ٧٩ .

الطويلة للاستبداد و الاستعمار على بلادنا، و منحنا العزة. استطاع منح شعبنا الشعور بالهوية الإسلامية ليشعروا أن بمستطاعهم الوقوف على أرجلهم و الاعتماد على أنفسهم و اتخاذ القرارات و الانتخاب بأنفسهم، و قول «لا» و «نعم» في القضايا المصيرية الحاسمة بأنفسهم. لم يتذوق شعبنا مثل هذا الطعم طوال قرون من الزمان، و قد منحهم الإسلام هذا الشيء. في أية نقطة من نقاط العالم تتعزز فيه حركة الصحوة الإسلامية و تتصاعد و يشعر الناس و الشباب في ذلك البلد أنهم يقتربون من الإسلام، ستحصل نفس هذه الحالة من تجديد الهوية و العزة.[١]

إحياء ذكرى البعثة إعادة قراءة دروسها الكبرى

إحياء ذكرى البعثة، قبل أن يكون مجرد مراسم لإحياء ذكرى معينة، هو استذكار لدروس البعثة الكبرى، و التي تحتاجها في الوقت الحاضر البشرية كلها، و خصوصاً المجتمع المسلم. البشرية اليوم ممتحنة بهيمنة القوى الطاغوتية و بما تتعرّض له من ظلم و تمييز و فساد و تسلط أهواء جماعات خاصة على حياة الناس. تتلوّى الحياة الإنسانية في الوقت الراهن تحت وطأة نزوات أشخاص لم يشمّوا ريح المعنوية، و تسيطر عليهم أهواؤهم و شهواتهم. الإنسانية اليوم أحوج من أي وقت آخر لرسالة البعثة.

---

١. من كلمته في مدراء الدولة بمناسبة السابع عشر من ربيع الأول ذكرى ولادة الرسول الأكرم (ص) و الإمام جعفر الصادق (ع)، بتاريخ ٢٠٠٣/٠٥/١٩ م.

بعثة النبي الأكرم (ص) دعـــــوة للتوحيـد كمـنهج حياة للبشر

بعثة النبي الأكرم (ص) هي بالدرجة الأولى دعوة للتوحيد. ليس التوحيد مجرد نظرية فلسفية و فكرية، إنما هو منهج حياة للبشر. إنه تسويد الإنسان لله على حياته، و تقصير لأيدي القوى المختلفة عن حياة البشرية. **لا إله إلا الله** و هي رسالة نبينا الأعظم (ص) و باقي الأنبياء و الرسل معناها عدم تدخل القوى الطاغوتية و الشياطين في حيوات الناس و في مسيرة الإنسان و في انتخاب أنماط الحياة، و عدم تلاعب أهواء هذه القوى و نزواتها بحيوات المجتمعات البشرية. إذا تحقق التوحيد بمعناه الواقع الذي أراده الإسلام و حمله كل الأنبياء و الرسل في حياه المجتمعات المسلمة و الإنسانية، فستبلغ الإنسانية السعادة الحقيقية و الفلاح الدنيوي و الأخروي، و سوف تعمّر حياة البشر الدنيوية و تكون لصالح تكامل الإنسان و رفعته الحقيقية. الدنيا من وجهة نظر الإسلام مقدمة و معبر للآخرة. الإسلام لا يرفض الحياة الدنيا و لا يذمّها و لا يُقصيها، و لا يستهجن المتع و الملذات الدنيوية، بل يريد للإنسان أن يكون نشيطاً في ساحة الحياة بكل مواهبه و غرائزه، لكن كل هذا يجب أن يكون لخدمة رفعة روح الإنسان و بهجته المعنوية لتكون الحياة حلوة طيبة في هذه الدنيا. في مثل هذا العالم لا يوجد ظلم و جهل و وحشية، و هذه عملية صعبة و تحتاج إلى تعب و كد و جهد، و قد بدأ الرسول الأعظم هذا الجهاد منذ اليوم الأول لبعثته.

البعثة دعوة لكل الكمـالات التـي يحتاجها البشر

ما دعا إليه الرسول الأكرم (ص) هو ما كان البشر يحتاجون إليه في كل العصور و الأحقاب التاريخية. دعا رسول الإسلام الكريم (ص) الإنسان إلى العلم. و أول الآيات القرآنية هي تكريم للعلم و المعرفة: «**إقرأ باسم ربّك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، إقرأ و ربّك الأكرم، الذي علم بالقلم**».[1] يطرح التعليم أولاً. فالعلم وسيلة لنجاة الإنسان و فلاحه، و هو أمر لا يختصّ بزمان و مكان دون غيرهما، بل يشمل كل فترات الحياة البشرية. دعا رسول الله الناس إلى العمل و التحرّك و القيام. قال الله

---

١. سورة العلق، الآيات ١ – ٤ .

تعالى في أوائل الآيات التي نزلت على الرسول الأكرم: « **قم فأنذر**».[١] إنها دعوة للقيام و الحركة و الخروج عن حالة السكون و الركون و الجمود و الشعور بالمسؤولية.. «**قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله**».[٢] القيام لله مجدٍ و نافع في كل ظروف الحياة الإنسانية، و من دون القيام و الحركة لا يمكن الوصول لأيّ من الأهداف السامية.

دعا رسول الله (ص) البشر إلى تزكية النفس و تنقيتها و تربيتها: «**هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته و يزكيهم و يعلمهم الكتاب والحكمة**».[٣] التزكية هي الشرط الأول. من دون التزكية سيكون حتى العلم وسيلة للفساد و انحطاط البشر و ضلالهم و سقوطهم. و ترون اليوم أن العلم أضحى وسيلة لسقوط البشر و انحطاطهم، حيث يستخدمون العلم لأسر الشعوب و قلب الحقائق و تجويع الناس. كم من البشر اليوم في أطراف العالم و أكنافه محرومون من مصادرهم الحياتية بسبب السلطات الاستعمارية التي هاجمتهم بوسائلها العلمية و تسلطت عليهم و فرضت عليهم حياة الفقر و البؤس و المسكنة و الحرمان و التعاسة! و في يومنا الحاضر أيضاً لا يزال الوضع على نفس الشاكلة. يستخدم الاستكبار العالمي – الاستعمار بشكله الحديث في العالم – في الوقت الراهن أدوات العلم و منتجاته ليفرض التعاسة و البؤس على البشر، و ليضرب عليهم الأغلال، و يحكم عليهم بالموت و الإبادة. هذه هي حصائل العلم من دون التزكية.

يدعو الإسلام الأفراد إلى الأخوّة و إلى المساواة بين الناس و عدم التمييز بينهم، و إلى عدم جعل الأعراق سبباً للتمييز بين أناس و أناس، و إلى عدم النظر لشعب على أنه متفوق طبيعياً و ذاتياً على شعب آخر. يدعو الإسلام إلى أن أكرم الناس هم أتقاهم. فملاك التفوق و الرفعة هو التقوى. التقوى معناها مراقبة الإنسان لسلوكه و التدقيق فيه و النظر لمحط أقدامه و مسيره، و التنبّه للحدود الإلهية، و التخطيط للحياة.

---

١. سورة المدثر، الآية ٢ .

٢. سورة سبأ، الآية ٤٦ .

٣. سورة الجمعة، الآية ٢ .

و هذا الأمر لا يتعلق بزمن خاص، فالبشر اليوم أيضاً بحاجة لهذه الأمور. مهما تطوّرت علوم الإنسان و مدنيّته تبقى هذه الأمور هي أسباب سعادته. على الأمة الإسلامية الاهتمام بهذه الأمور و أن تطلبها و تسعى لها. و هي بحاجة لإرادة و عزم راسخ بين الشعوب المسلمة و مسؤولي البلدان و رؤسائها و من بأيديهم زمام الأمور.

في الدعاء المأثور: «**و قد علمت أن أفضل زاد الراحل إليك عزم إرادة يختارك بها**»،[1] إذن أفضل زاد إنساني هو أن تكون للإنسان عزيمة و إرادة يختار بها سبيل الله و يسير فيه. طبعاً هذا الطريق صعب، لكنه يسهل بالعزيمة الإنسانية الراسخة. هذه أشياء يعلمنا الإسلام إيّاها. أين ما جرّبنا هذه الأمور في حياتنا وجدناها عملية. أي إن التجارب تعاضدها و تؤيّدها كذلك.

مسؤولية العلماء و المثقفين و الرؤساء و النخب في إصلاح المجتمعات الإسلامية

في صدر الإسلام استطاعت جماعة صغيرة بعيدة عن المدنية و العلوم و محرومة من كل خيرات الحياة، استطاعت بفضل هذه الأصول و التمسك بهذه الأركان إطلاق أعظم مدنية في العالم على مدى عدة قرون، فانتفع العالم من مدنيتهم و علومهم. هذه هي تجربتنا السابقة. و اليوم أيضاً و نحن في الجمهورية الإسلامية متى ما اعتمدنا على إرادتنا و توكلنا على الله و استخدمنا طاقاتنا و قدراتنا و تخلينا عن أهوائنا و ركّزنا على الأهداف كنا موفقين في أعمالنا و خطواتنا.

من الواضح و البديهي أن صناعة المجتمع و صناعة المدنية و الحضارة، و هي من أكبر أهداف الإسلام، لن تبقى من دون أعداء. و في صدر الإسلام أيضاً ناصب البعض العداء لتأسيس النظام و المجتمع الإسلاميين. و كذا الحال اليوم أيضاً. الشعوب المسلمة في الوقت الراهن و في مختلف أصقاع العالم الإسلامي تجد في نفسها روح الاعتزاز بالإسلام، و تشعر بالعزة و الفخر لانتمائها للإسلام. الصحوة الإسلامية حقيقة ظهرت و بانت، سواء شاء أعداء الأمة الإسلامية أم رفضوا. و السير في هذا الدرب يحتاج إلى عزيمة راسخة من قبل مسؤولي البلدان و ساستها.

---

١. إقبال الأعمال، ج ٢ ، ص ٦٧٨ .

نحن أول المخاطبين بهذا البيان و الكلام، و تقع على عواتقنا مسؤوليات جسيمة. قال الرسول الأكرم (ص): «**لا تصلح عوام هذه الأمة إلّا بخواصّها**».[١] إصلاح حشود الشعب و كتله غير ممكن إلا بإصلاح نخبه و خواصه و علمائه في كل بلد و كل مجتمع من المجتمعات. فسألوا الرسول الأكرم: «**يا رسول الله و ما خواص أمّتك؟**» فقال: «**خواصّ أمتي العلماء و الأمراء**».. إنهم العلماء و المثقفون و الواعون و الأمراء و الساسة.[٢]

شخصية الرسول الفذّة.. نموذج دائمي لكل العصور

حياة الرسول الأكرم (ص) حياة لله و في سبيل الله و وقفٌ لنشر التعاليم الإلهية، و شخصيته الفذة المنقطعة النظير نموذج و درس دائمي لكل عصور التاريخ الإسلامي. «**لكم في رسول الله أسوة حسنة**».[٣] بهذا الجدّ و الاجتهاد و الكدّ انتشرت تعاليم الإسلام في كل التاريخ. و ليست هذه التعاليم للمسلمين فقط، إنما تنتفع البشرية كلها من انتشار تعاليم الإسلام. نحن المسلمين لو عرفنا قدر التعاليم الإسلامية و أدركنا عمقها فسنستطيع إيجاد عالم جديد يتطابق و الإرادة الحقيقية و الفطرية للإنسان. تستطيع الأمة الإسلامية عبر تمسكها بالإسلام إنقاذ العالم الغارق في الشهوات و الغضب و الجاهلية و الأنانية و عبادة الذات. روح كل المعارف و التعاليم الإسلامية هو أن لا يُعطى زمام سلوك البشر و أعماله في الحياة بيد الشهوات و الغضب، و أن لا توجّه الأنانياتُ الإنسانَ و المجتمع الإنساني، بل يوجّهه العقل و التقوى. انظروا لآلام البشر و محنهم من فقر و حرمان و تمييز و فساد و جهل و عصبيات عبثية.. ما هو سبب كل هذا؟ و المذابح و الحروب و الظلم و الجور و القساوة في المجتمع البشري من أين تنبع؟ جذور كل هذا هو أن الذين لا يمسكون بزمام أنفسهم و الواقعين أسرى لشهواتهم و غضبهم و أنانيتهم و حبّهم الجاه و المال، متى ما تحكموا في مصير البشر و

---

١. المواعظ العددية، ص ١٢٤ .

٢. من كلمته في لقائه مدراء الجمهورية الإسلامية الإيرانية في عيد المبعث الشريف، بتاريخ ٢٠٠٣/٠٩/٢٤م.

٣. سورة الأحزاب، الآية ٢١ .

في أي مكان من العالم، ساقوا البشرية إلى الفقر و الحروب و الجهل و التمييز و الفساد و الفتن. و الإسلام يروم معالجة هذه المحن. يقول الإسلام يجب عدم إعطاء أزمّة الإرادة و القرار و اختيار البشر و حريّتهم — و هي من أعظم مواهب الله للبشر — لأيدي الجهل و الشقاء و عبادة الدنيا و الأنانيات و عبادة الذات، بل تعطى لأيدي العقل و التقوى.[١]

نبي الإسلام.. معلم كل الفضائل من عدالة و إنسانية و معرفة و أخوّة و رشد و تكامل

أولاً أبارك هذه المناسبة البهيجة للأمة الإسلامية الكبرى و لشعبنا الإيراني العزيز و للحضور المحترمين في هذه الجلسة و خصوصاً الضيوف و الإخوة غير الإيرانيين. و ثانياً لدينا نحن المسلمين و بما يتناسب مع تكريم و إحياء شخصية نبي الإسلام الكريم (ص)، الكثير مما نقوله لبعضنا و نطرحه بيننا للبحث و الدراسة. فرسول الإسلام معلم كل الفضائل و الخصال الحميدة و أستاذ العدالة و الإنسانية و المعرفة و الأخوة و الرشد و التكامل و التقدم الدائمي للبشر حتى نهاية التاريخ. متى يمكن للبشر تصوّر زمن يُستغنى فيه عن هذه الدروس الثمينة؟ البشرية اليوم أيضاً و كما هي دوماً بحاجة لدروس رسول الإسلام الكريم (ص) و تعليمه.

شرح الواقع الراهن للمسلمين و الدعوة إلى وحدة الأمة الإسلامية

ما أروم قوله اليوم في هذا الجمع من النخبة و الخواص من الأمة الإسلامية هو قضية الوحدة و الاتحاد بين المسلمين. يواجه العالم الإسلامي و الأمة الإسلامية راهناً مصائب و معضلات كبرى. صحيح أن كثيراً من هذه المصائب نابعة من داخلنا نحن المسلمين، فقد أبدينا التقصير و الكسل و الأنانيات و التكالب على الدنيا، و لم نسر بذلك في طريق الأمة الإسلامية نحو قمم التكامل الإنساني، و علينا العودة و التعويض و التحرك و التوبة. و لكن ما من شك أيضاً في أن جانباً كبيراً و مهماً من حالات التأخر و المصائب و المشكلات عندنا خلال الفترات التاريخية الأخيرة نجمت في الحقيقة عن النظام العالمي الباطل الذي ساد بالأمس و اليوم. النظام العالمي نظام هيمنة

---

١. من كلمته في لقائه شرائح الشعب المختلفة بتاريخ ٢٠٠٤/٠٤/١٤ م.

و اقتدار يعتمد على التعسف و القوة، و ليس نظاماً يرنو إلى حياة كريمة للبشر، بل هو نظام حياة الغابات.

انظروا لوضع العالم الإسلامي.. كنا لسنوات طوال نتذكّر قضية فلسطين باعتبارها جرحاً عميقاً في الجسد الإسلامي، و قد أضيف لها العراق اليوم! انظروا ما الذي يفعله العتاة اعتماداً على القوة. يطرحون كل كلام خاطئ و غير منطقي في العالم على أنه كلام صحيح و منطقي، و يعملون به اعتماداً على القوة و منطق السلاح و القوة السياسية و المالية. الجرائم التي تعدّ في أعراف كل الشعوب في العالم جرائم، يمارسونها علانية، و يطلقون عليها أحياناً بعض المسمّيات للتغطية على حقيقتها، و هم يعلمون أن أحداً في العالم لا ينخدع بهذه المسمّيات، لكنهم في بعض الأحيان لا يضعون لها حتى هذه الأسماء و الأقنعة. الحكومة الصهيونية الغاصبة تعلن صراحة إنني أغتال النخبة من الفلسطينيين، و الحكومة الأمريكية تدعمها رسمياً و علناً! هذا هو الوضع في النظام العالمي اليوم.

يتحقق الإرهابُ — و محاربته ذريعة بيد الحكومة الأمريكية المستكبرة لممارسة عسفها و جورها — صراحة باعتباره عملاً مشروعاً على ألسنتهم و في ممارسات الحكام الصهاينة، و كل ذلك اعتماداً على القوة و السلاح. احتلال العراق عسكرياً و إهانة شعب كبير ذي ثقافة و إذلاله جريمة دولية، لكنهم يمارسون هذا العمل صراحة و تحت عناوين حقوق الإنسان و الدفاع عن الديمقراطية و الحرية، و هو ما لا يصدّقه منهم أحد في العالم، لأن تصرفات المحتلين داخل العراق على الضد تماماً من هذا الشيء، و واضح أنهم لا يأبهون لحقوق الإنسان و لحق الشعب في تعيين حكومته، و لا يقيمون لذلك أدنى قيمة. هم ينصبون و هم يعينون الحاكم و هم يسنون القانون و هم يعاقبون المخالف للقانون دون أية محاكمة، و العقوبة هي القتل الجماعي. لاحظوا ما الذي يجري في العراق! هذا هو واقع الأمة الإسلامية في الوقت الراهن.

تتعرّض الأمة الإسلامية راهناً لأطماع القوى العاتية و تطاولها بسبب جريرة واحدة فقط هي وقوعها في منطقة من العالم ثرية، و لأن عجلة الحضارة الحالية في العالم لا

تدور إلا بالخيرات الموجودة بوفرة في هذه المنطقة من العالم. و العتاة في تطاولهم هذا لا يتورّعون عن ارتكاب أية جريمة بل يعتبرونها مشروعة لهم. هذا هو وضع الأمة الإسلامية! ألا تستطيع هذه الأمة الإسلامية الدفاع عن نفسها مقابل هذا التطاول و النهب الذي تمارسه القوى المتجبّرة؟ الجواب: بلى، نحن نستطيع الدفاع، فلدينا الكثير من أدوات الدفاع عن حقوقنا و وجودنا. عددنا و عدد السكان عندنا كبير، و لدينا ثروات عظيمة، و فينا أشخاص مميزون، و لدينا أرصدة معنوية تمنح لشعوبنا القدرة على الصمود مقابل العتاة، و لدينا ثقافة و حضارة ذات سوابق طويلة و نادرة النظير في العالم.. لدينا الكثير من الإمكانيات.. إذن، يمكننا أساساً الدفاع، و لكن لماذا لا ندافع؟! لماذا لا نستطيع فعل شيء عملياً على الصعيد الميداني؟ لأننا غير متحدين. لأنهم فصلونا عن بعضنا بذرائع شتى. جيش منظم عظيم و مجهّز اسمه الأمة الإسلامية قسّموه إلى جماعات لا همّ لها و لا غمّ سوى مواجهة و محاربة بعضها و الخوف من بعضها و مهاجمة بعضها و النيل من بعضها. في مثل هذه الظروف واضح أن هذا الجيش سيفقد كفاءته و لن يستطيع فعل شيء.

مسؤولية الحكومات و النخبة المسلمين الثقافيين و الدينيين حيال وحدة العالم الإسلامي

لقد آن الأوان اليوم لأن يعيد العالم الإسلامي النظر و يفكر في قضية الوحدة جيداً. تهديدات أمريكا في المنطقة حالياً ليست موجّهة لبلد أو بلدين، بل موجّهة للجميع. تهديدات الرأسماليين الصهاينة الواقفين وراء الهيئة الحاكمة في أمريكا لا تكتفي اليوم بابتلاع جزء من هذه المنطقة، إنما يريدون ابتلاع كل المنطقة، و هم يعلنون هذا الكلام اليوم بصراحة. مشروع «الشرق الأوسط الكبير» ليس له من معنى سوى هذا. منذ خمسين و نيّف من السنين حين تم تأسيس الحكومة الصهيونية الغاصبة، و منذ نحو مائة عام حين انبثقت هذه الفكرة في المحافل الغربية و الأوربية، كانت النيّة منعقدة على ابتلاع هذه المنطقة و الاستيلاء عليها لأنهم في حاجة لها. ليس سكان المنطقة مهمّين بالنسبة لهم، و كلهم معرضون لتهديداتهم. و حين يكون الكل عرضة للتهديد فإن أعقل السبل هو أن يفكر الجميع و يضعون أيديهم في أيدي بعضهم. توصيتنا و

مطالبتنا الجادة من الحكومات و الشعوب الإسلامية هو أن يفكروا بهذا الأمر و يعملوا في إطاره، و هو قضية تتطلب جهوداً و مقدمات. و يجب إعداد مقدماته.

و العدوّ بطبيعة الحال لا يقعد عاطلاً عن العمل، و سوف يستخدم أدواته القديمة في التفرقة بين القوميات و المذاهب و الطوائف، و يضخّم الموضوعات التي أكد الإسلام على عدم تضخيمها. شدّد الإسلام على أن القوميات ليست معياراً للهوية و تشخيص الأمور.. «**إن أكرمكم عند الله أتقاكم**».[1] لقد أكد الإسلام أن الإخوة المسلمين يجب أن يتعاملوا في ما بينهم تعاملاً أخوياً، و لم يقل الإخوة السنة أو الشيعة أو أتباع المذهب الفلاني، بل قال المسلمين: «**إنما المؤمنون إخوة**».[2] كل من يعتقد و يؤمن بهذا القرآن و بهذا الدين و بهذه القبلة فهم كلهم إخوة.. هذا ما قاله لنا الإسلام. لكننا نخفي الخناجر خلف أظهرنا لنطعن بها صدور إخواننا! و ثمة مقصّرون و مخطئون بين كل الفئات. يجب منع هؤلاء و مواجهتهم. الأمة الإسلامية اليوم بحاجة للوحدة من أجل حياتها و شموخها و نجاتها و رفعها راية الإسلام. أي منطق يمكنه المقاومة أمام هذه الأمور ليبث الخلافات و التفرقة؟ الوحدة مرجّحة على كل الضرورات و الأولويات، و هي مقدمة عليها جميعاً. لماذا لا نفهم ضرورة الاتحاد بين المسلمين؟! ثمة على عواتقنا أعباء ثقيلة و الفترة فترة حساسة. إذا استطاع الأعداء احتلال هذه المنطقة بالقوة فسوف يعود العالم الإسلامي لعصر الاستعمار و يتأخّر مائة عام أخرى و يزداد البون بين الأمة الإسلامية و العالم الحديث الصناعي مائة سنة إضافية. يجب أن نتحمّل المسؤولية فنحن اليوم مسؤولون. الحكومات و النخبة و الخواص و رجال الثقافة و الدين اليوم مسؤولون. كلنا مسؤولون حيال وحدة العالم الإسلامي. من أهم الكلمات التي كانت على لسان إمامنا الخميني الجليل (رضوان الله تعالى عليه) منذ ما قبل الثورة الإسلامية إلى آخر فترة من حياته و كان يؤكد عليها دائماً هي وحدة الأمة الإسلامية و الاتحاد بين المسلمين و عدم تضخيم القضايا الصغيرة. و نرى اليوم أنها كانت توصية

---

١. سورة الحجرات، الآية ١٣ .

٢. سورة الحجرات، الآية ١٠ .

جد حكيمة و صحيحة.[١]

مميزات الأمة الإسلامية من بركات بعثة رسول الإسلام (ص)

تأسيس الأمة الإسلامية بهذه الخصوصيات و المميزات الفريدة الفذة إحدى بركات هذه البعثة العظيمة. ليست الأمة الإسلامية مجرد عدد كبير من الناس يجتمعون حول محور عقيدي واحد، بل الأمة الإسلامية – كما أراد لها نبي الإسلام العظيم و تعاليم القرآن الكريم – هي مجموعة من الناس يتحلون بالعلم و الأخلاق و الحكمة و العلاقات السليمة فيما بينهم، و يشكلون مجتمعاً تسوده العدالة، و نتيجة كل هذا وصول الإنسان إلى ذروة التكامل الذي أودع الله تعالى في الإنسان قابلية الوصول إليه. الأمة الإسلامية مظهر التربية الإسلامية، و هذا ما بدأه نبي الإسلام الكريم (ص) من الصفر في أصعب الظروف.

يوم خرجت صرخة التوحيد من حنجرة رسول الإسلام الأكرم (ص) بعد لحظة البعثة العظيمة، كان العالم – في كل أقطاره و أرجائه – عالم كفر و ظلم و بُعد عن الأخلاق، و عالماً يغرق فيه الإنسان في أنواع المشكلات و المفاسد. حصلت هذه الحركة العظيمة في حياه الرسول الأكرم (ص) بنحو معجز خلال ثلاثة عشر عاماً فقط، و بعد ثلاثة عشر عاماً انعقدت النطفة الأولى للأمة الإسلامية في المدينة المنورة. و ما كان بمقدوره أن يبدّل هذه النواة المركزية إلى ما نعرفه عن الأمة الإسلامية في القرنين الرابع و الخامس للهجرة هو الإيمان الواضح و التعاليم الواضحة و الشاملة و العزيمة الراسخة و الجهاد المستمر. هذه هي الأمور التي استطاعت تحويل ذلك المجتمع الصغير المؤلف من عدة آلاف من الأشخاص في المدينة المنورة في السنوات الأولى للهجرة إلى أمة عظيمة و مقتدرة و عالمة و عزيزة تمثل ينبوعاً متدفقاً على العالم بالعلم و الحكمة خلال القرنين الرابع و الخامس للهجرة – و هذا ما يشرحه لنا التاريخ – ثم إن الأمة الإسلامية في منعطفاتها و ملابساتها، أين ما غفلت عن تلك التعاليم مُنيت بالهزيمة و التراجع. أين ما حصل تجاهل للعلم و الأخلاق و العلاقات الاجتماعية و الاقتدار

---

١. من كلمته في لقائه مدراء الدولة و الضيوف المشاركين في مؤتمر الوحدة الإسلامية بتاريخ ٢٠٠٤/٠٥/٠٧ م.

المعنوي و العزة و الوحدة، و فوق كل ذلك العدالة، توقف رشد الأمة الإسلامية و تراجعت و وصل الأمر إلى حد استطاعت معه القوى الطامعة المعتدية المتطاولة تمزيق هذه الأمة، و فرض تمزيق بعضها ببعضها من أجل أن تتسلط هي عليها و تستحوذ على مصادرها و خيراتها.

بداية الصحوة الإسلامية المعاصرة.. الهجوم الشامل للاستكبار على الشعوب المسلمة

بدأت الصحوة الإسلامية في الحقبة المعاصرة منذ عشرات الأعوام و إلى الآن بفضل تلك التعاليم و العودة إليها، و أعيد رفع راية التوحيد لترفرف، و كانت ذروة هذه العملية تأسيس نظام الجمهورية الإسلامية في هذه المنطقة الحساسة من العالم الإسلامي، حيث شعر المسلمون من خلال هذا الحدث بالهوية و العزة أكثر. و نحن اليوم مرة أخرى أمام نفس تلك التجربة التي مرّت بها الأمة الإسلامية في القرون التي بدأت فيها فترة انحطاطها و زوالها. اليوم أيضاً تشن على الأمة الإسلامية حرب ليقتلوا هذه النطفة في مهدها. اليوم أيضاً تشن القوى الجشعة المستكبرة بدافع طمعها بمصادر العالم الإسلامي العظيمة و ذخائره الطبيعية و الإنسانية اللامتناهية —كما يصرحون هم أنفسهم — حرباً برايات زائفة مزورة يرفعها الاستكبار، هي رايات الديمقراطية و الحرية. فحقيقة القضية شيء آخر. حقيقة القضية القضاء على عنصر العزة لدى الأمة الإسلامية، ألا و هو الإسلام. حقيقة القضية هو القضاء على مراكز المقاومة، لكي لا تبقى أية عقبة أمام الناهبين الشرهين في هذه المنطقة.

يوم أبدينا الضعف و التقاعس، تقدم العدو و اجتاحنا بنفس المقدار. و في الوقت الحاضر يعاني كل مكان من العالم الإسلامي من المصائب و الويلات. فلسطين تعاني المصائب، و العراق يعاني المصائب، و أفغانستان تعاني المصائب، و الكثير من البلدان الإسلامية معرضة للتهديد من قبل هؤلاء الناهبين المستكبرين. إننا نستطيع عبر التمسك بالإسلام التغلب على هذا الضعف و الخور، و الوقوف بوجه الأعداء. ما يحتاجه العالم الإسلامي اليوم أمسّ الحاجة هو وحدة الكلمة. قلوب الشعوب المسلمة مملوءة قيحاً من ظلم الاستكبار و أعداء الإسلام. قلوب الشعوب المسلمة مكتظة

بالهموم و الغمّ و العقد و حناجرهم مزدحمة بالصرخات لما يشاهدونه في العراق و فلسطين و أفغانستان اليوم. و على الحكومات الإسلامية أن توظف هذه الطاقات و القوى المتراكمة.[١]

وحدة المسلمين واجب عقلاني على عاتق الأمة الإسلامية

نبارك الميلاد السعيد لسيدنا خاتم النبيين و سيد البشر النبي محمد المصطفى (صلى الله عليه و آله و سلم) و الولادة السعيدة لسيدنا الإمام جعفر الصادق (عليه الصلاة و السلام) لكم أيها الحضور المحترمون و الضيوف الأعزاء و سفراء البلدان الإسلامية و كل الشعب الإيراني و الأمة الإسلامية الكبرى في جميع أرجاء العالم.

لقد أضحى هذا الاسم و هذه المناسبة بيننا معياراً للوحدة. لذلك جعلنا اسم هذا الأسبوع من الثاني عشر من ربيع الأول (ولادة هذا الإنسان العظيم على رواية) إلى السابع عشر من ربيع الأول (ولادته على رواية أخرى) أسبوع الوحدة. أولاً لأن وحدة الأمة الإسلامية هي اليوم و دائماً أحد أهم احتياجات هذه الأمة. و ثانياً لأن معيار الوحدة و محور الاتحاد بين المسلمين هو الوجود المقدس لنبي الإسلام المكرم و ذكراه و اسمه (ص).

تحدثنا كثيراً عن الوحدة. و لو عملنا ببعض الذي قلناه لكان مصير المسلمين اليوم أفضل مما هو عليه. توجد بشكل طبيعي عوامل مضادة للوحدة – من قبيل التباينات القومية و المذهبية و الطائفية و السياسية – و يجب مجابهتها. يجب بالاعتماد على الاسم المقدس للرسول الأعظم و ذكراه (ص) – و هو محور وحدة الأمة الإسلامية – التغلب على هذه الاختلافات. لكن الأصعب من هذا هو أسباب التفرقة التي تُحقن بها الأمة الإسلامية. على خلفية هذه الاختلافات القومية و الطائفية و المذهبية يعمل أعداء الإسلام وفقاً لسياستهم الدائمية على بث الخلافات و النزاعات بين المسلمين. يمكن مشاهدة أيدي الأعداء و مؤامراتهم و تدابيرهم خلف هذه الخلافات و النزاعات بكل وضوح. و ينبغي معالجة هذه المشكلة. يجب على عقلاء الأمة من كل فرقة أن لا

---

١. من كلمته في لقائه مدراء الدولة بمناسبة يوم المبعث النبوي الشريف، بتاريخ ٢٠٠٤/٠٩/١٣ م.

يسمحوا لأمواج الفتنة – التي تثار من قبل أعداء الإسلام – بتهدد الهدوء و الألفة و المحبة بين المسلمين باطراد.

القرآن الكريم يوصينا بالوحدة. و القرآن يهددنا بأننا إذا فقدنا اتحادنا و تضامننا فإن ماء وجهنا و هويتنا و قدرتنا ستذهب أدراج الرياح. و للأسف فإن مثل هذه المشكلات و نقاط الخلل تلاحظ اليوم في العالم الإسلامي. المؤامرة ضد العالم الإسلامي اليوم كبيرة جداً. إذا كانت المؤامرات المدبّرة المنظمة قد اشتدت في الوقت الحاضر ضد الإسلام فذلك لأن الصحوة الإسلامية قد أفزعت الأعداء. الاستكبار العالمي و الطامعون في البلدان الإسلامية و المتدخلون بين الحكومات و البلدان الإسلامية يخافون وحدة الإمة الإسلامية.

قرابة مليار و نصف المليار من سكان الأرض هم مسلمون و يسكنون في واحدة من أهم و أثمن بقاع الأرض. كل هذه المصادر الطبيعية، و كل هذا التراث العظيم، و كل هذه الطاقات البشرية و المواهب الكفوءة، و هذا السوق الكبير للبضائع الغربية، و هذا النفط و الغاز الثمين الموجود في هذه البلدان، هذه أشياء تغري القوى المستكبرة، لذا يرومون الهيمنة و التسلط التام عليها، لكن صحوة الأمة الإسلامية تحول دون ذلك. وحدة الأمة الإسلامية أكبر سدّ في وجه هؤلاء الأعداء، لذلك يستخدمون كل طاقاتهم و قواهم لتحطيم هذا السدّ.

قيام الدولة الإسلامية في إيران و رفع راية التوحيد في هذا البلد – هذا المركز الحساس و المنطقة المهمة – أثارت هياج الأمة الإسلامية و بعثت على صحوتها و وعيها، و بثت فيها الأمل في مصيرها و قدراتها و أعادت لها ثقتها بالنفس. هذه الصحوة و الثقة بالنفس دفعت الأعداء إلى مخططات معقدة، و هي مخططات تنتصب أمامنا اليوم. إنهم يعارضون العالم الإسلامي كله، فهم يعارضون وجود الإسلام و تعاليمه. رئيس جمهورية أمريكا تحدّث صراحة عن حرب صليبية. و الأجهزة الاستكبارية – أمريكا و الصهيونية – تسمّم الأجواء دوماً بإعلامها، لتزرع الخلافات و تشعل النزاعات بين البلدان و الحكومات الإسلامية.

أسباب تذرّع الأعداء بحقوق الإنسان و محاربة الإرهاب

أعداء الإسلام يعانون من فقر فكري و نظري، فهم لا يملكون الفكر الذي يمكنهم طرحه في العالم الإسلامي، و ليس لديهم المدرسة و الأفكار الراقية التي تستطيع اجتذاب قلوب النخبة في العالم الإسلامي إليها، و لا يمكنهم عرض مثل هذه الأمور، لذلك يرفعون لاجتذاب قلوب الغافلين راية حقوق الإنسان و معاداة الإرهاب. هذا في حين أن أمريكا و الصهيونية و هؤلاء المستكبرين هم أنفسهم أكبر منتهك لحقوق الإنسان، فقد جرحوا بجرائمهم ضد حقوق الإنسان مشاعر العالم.

أية حكومة أم أية جماعة تضاهي الكيان الصهيوني في تعاملها الشقي السيّئ مع شعب أو جماعة إنسانية معينة؟ أية حكومة مستكبرة تعاملت مع الشعوب المسلمة بكل هذا الاستكبار الذي تنتهجه أمريكا اليوم؟ لقد ركّزوا إعلامهم اليوم ضد الجمهورية الإسلامية الإيرانية، لأن فيها خيرة الوجوه المدافعة عن الإسلام، و مصالحهم هنا مهدّدة أكثر من أي مكان آخر. على أن الهدف ليس الجمهورية الإسلامية فقط، إنما هم يريدون الهيمنة على كل العالم الإسلامي، و كل الشرق الأوسط، و يريدون السيطرة على كل البلدان الإسلامية و الاستحواذ عليها بقبضاتهم المجرمة الآثمة. لو استطاعوا الوصول إلى أهدافهم لتعرّضت الحكومات الواحدة تلو الأخرى للخطر و التهديد. في حال تقصير المسلمين و الشعوب لما سلمت سورية و مصر و العربية و السودان و بلدان أفريقيا و بلدان الشرق الأوسط و البلدان الإسلامية في شرق آسيا من تطاول هؤلاء الناهبين العالميين. هذا تحذير للعالم الإسلامي.

يتحمّل النخبة و السياسيون في العالم الإسلامي اليوم مسؤوليات جسيمة، فليفضحوا الناهبين في بلدانهم و في المناطق التي لهم و لكلامهم فيها نفوذ، و ليحبطوا مفعول إعلامهم الخبيث ضد الإسلام بكل عزم، و لا يسمحوا لمخططاتهم بأن تؤتي أكلها. هذه مسؤولية على عاتقنا جميعاً.

تظاهر القوى الكبرى بالاقتدار أكبر من اقتدارها الحقيقي. ذات يوم لم يكونوا راضين بوجود الجمهورية الإسلامية، و اليوم فإن عمر الجمهورية الإسلامية ست و عشرون سنة، و في كل يوم نحرز تقدماً بلطف الله و حوله و قوّته أكثر من اليوم

السابق. إنهم يتظاهرون بالاقتدار من أجل إخافة الشعوب بهيبتهم و أبّهتهم و وجوههم العبوسة. بيد أن حقيقية الأمر هي قدراتهم ليست كما يُوهِمون. لقد بقيت أمريكا اليوم تتخبط في مستنقع العراق و أفغانستان.

العالم الإسلامي لديه قوى كامنة. و تقع مسؤوليات كبيرة على علماء الدين و المثقفين و السياسيين و الجماعات و الجمعيات و أصحاب الأقلام و الخطباء و كل الذين لهم منابر دولية أو وطنية في أي بلد من البلدان.

اربطوا على قلوب المسلمين، و طمئنوهم من قدراتهم الذاتية و ادفعوهم إلى تعزيز قواهم الداخلية بالعلم و العقل و التدبير، و شجّعوهم على الوقوف بوجه منطق القوة الذي يعتمده العتاة في العالم. لقد وعد الله تعالى: «**من كان لله كان الله له**»،[١] «**و الذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سبلنا و إن الله لمع المحسنين**»،[٢] الله عزّ و جلّ سوف يمدّ يد العون و يهدي و يرشد. لقد علم إمامنا الخميني الجليل هذا الدرس قولاً و عملاً لشعب إيران، و رأى الشعب نتائجه و ثماره بعينيه، و العالم شاهد على هذا المعنى.

لا نشك في أن الوعد الإلهي القائل: «**وعد الله الذين آمنوا منكم و عملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم و ليمكننّ لهم دينهم الذي ارتضى لهم**»،[٣] وعدٌ عملي سوف يتحقق. و شرطه هو الصمود و الاستقامة و عدم إضاعة الطريق و عدم تضييع الهدف و الحفاظ على الوحدة و التوكل على الله تعالى.[٤]

يوم المبعث عيد البشرية كلها عبر التاريخ

يوم المبعث عيد للكل، و ليس للمسلمين فقط. ولادة أي نبي و حصول أية بعثة عيد و يوم جديد لكل البشرية. كل الأنبياء الإلهيين حين بعثوا هدوا قافلة البشرية

---

١. شرح أصول الكافي، ج ١ ، ص ٦٠٤ .

٢. سورة العنكبوت، الآية ٦٩ .

٣. سورة النور، الآية ٥٥ .

٤. من كلمته في لقائه مدراء الجمهورية الإسلامية الإسلامية و سفراء البلدان الإسلامية بمناسبة ولادة الرسول الأعظم (ص) في تاريخ ٢٠٠٥/٠٤/٠٦ م.

التائهة نحو الكمال و العلم و الأخلاق و العدالة، و قرّبوها خطوة من الكمال الإنساني. كل حالات التعقل البشري على مدى التاريخ ناجمة عن تعاليم الأنبياء. الأخلاق الإنسانية – و هي التي توفر للإنسان إمكانية مواصلة الحياة – و الفضائل الأخلاقية كلها من تعاليم الأنبياء. فكرة التوحيد و العبودية أمام الله درس من دروس الأنبياء. الأنبياء و الرسل يعدّون الحياة للبشر و يجعلونها ساحة للرشد و الحركة و التكامل. و رسول الإسلام المكرّم (صلى الله عليه و آله و سلم) خاتم الرسل و الأنبياء و المبعوث بالكلام النهائي الأخير الذي لا نهاية له للبشرية.

نحن المسلمين يجب علينا بطبيعة الحال أن نعرف قدر ذلك. و علينا التفكير في ظاهرة البعثة، و استلهام الدروس منها. علينا تحويل هذا الماضي المشرق إلى نبراس في طريقنا نحو مستقبلنا الصعب.

حقائق العالم المعاصر و ضرورة التنبّه لها: ١ – صحوة العالم الإسلامي

توجد في العالم اليوم عدة حقائق لا سبيل لإنكارها. الحقيقة الأولى صحوة العالم الإسلامي. فهذا مما لا يمكن لأحد الشك فيه. يشعر مسلمو العالم في كل أنحاء العالم اليوم – سواء في البلدان الإسلامية أو في البلدان التي يشكلون فيها أقلية – بالميل نحو الإسلام و باستعادة هويّتهم الإسلامية. المثقفون في العالم الإسلامي اليوم متبرّمون من الاشتراكية و المدارس الغربية و ميالون نحو الإسلام، و يطلبون علاج آلام البشرية من الإسلام، و يستفتونه في ذلك. قلوب أبناء الأمة الإسلامية في الوقت الراهن لها نزوع نحو الإسلام غير مسبوق طوال قرون. بعد الهيمنة السياسية و الثقافية الشديدة و الواسعة للغرب و الشرق طوال عقود من الزمن على البلدان الإسلامية، راح الشباب في العالم الإسلامي حالياً ينظرون للإسلام. هذه حقيقة يعترف بها الغربيون و مستكبرو العالم أنفسهم. لقد كرّروا مراراً إنه في أي بلد من البلدان الإسلامية إذا أقيمت انتخابات حرة سيكون الفائزون عناصر تعتقد و تلتزم بالإسلام و تدعو إلى الإسلام. و لهذا فإن مزاعم الديمقراطية و إرادة الديمقراطية التي يطلقها الغرب اليوم مزاعم متناقضة. من جهة يرفعون راية الديمقراطية و ينادون بها، و من جهة أخرى لا يتجرّأون على رفع هذه الراية بصورة حقيقية في العالم الإسلامي، لأنهم يعلمون أنه في أي بلد من البلدان الإسلامية إذا كان القرار لأصوات الشعب و انتخابه فإن الإسلاميين دون شك سوف يمسكون بزمام

السلطة و الحكم، و هم الذين ستنتخبهم الجماهير.

العالم الغربي و أمريكا و صنّاع الفكر السياسي الغربي – الصهاينة و الأروقة الرأسمالية الغربية – يعلمون اليوم جيداً أن التحرك العظيم للشعب الفلسطيني ناتج عن ميله للإسلام. فقد جعل هذا الشعب الإسلام محور تحركه فاكتسب بذلك الشجاعة و ألقى بنفسه في لهوات الجهاد بالمعنى الحقيقي للكلمة. أين ما اكتسب شعب مثل هذه الروح فلن تستطيع أية قوة – قوة عسكرية أو غير عسكرية – مواجهته و قمعه و التغلب عليه. هذا ما يفهمونه جيداً. و قضايا العالم الإسلامي و أحداثه كلها تؤيّد هذه الحقيقة. هذه حقيقة أكيدة و هي قيام الصحوة الإسلامية بل النهضة الإسلامية في العالم الإسلامي اليوم. ما من أحد بوسعه إنكار هذه الحقيقة.

٢ – إسلام التفكير و التعمّق و التحرّر الفكري.. المظهر الحقيقي للصحوة الإسلامية

الحقيقة الثانية هي أن القوى المستكبرة العدو رقم واحد لهذه الصحوة و النزعة الإسلامية و النهضة التحررية. و السبب واضح، لأن الإسلام يعارض الهيمنة، و يعارض تبعية الشعوب للقوى الأجنبية، و لا يرضى بالتخلف العلمي و العملي – الذي فرض على البلدان الإسلامية سنين طويلة – و يخالف تقليد الشعوب للآخرين تقليداً محضاً أعمى. هذا كله على الضدّ من السياسات الاستعمارية و الاستكبارية التي فرضت طوال مائتي عام أو أكثر من قبل المستكبرين و الغربيين على العالم الإسلامي. و اليوم أيضاً يقرّرون لأنفسهم مصالح في هذه المنطقة. و الصحوة الإسلامية تقف على النقيض تماماً من إراداتهم، لذلك يعارضونها بكل قواهم و بكل الوسائل السياسية و الإعلامية.

يستخدمون اليوم كل الأساليب و الحيل الإعلامية ضد الإسلام. انظروا اليوم و لاحظوا كم هو معقد و واسع ما تقوم به الحكومات الغربية – سواء في أمريكا أو في أوربا – ضد المسلمين و الإسلام. كل الأدوات الفنية في متناول أيديهم و يستخدمونها لخدمة هذا الهدف الدرن. يمارسون العداء ضد الإسلام بأعلى درجاته الممكنة ممزوجاً بالأنشطة الثقافية و الأمنية و السياسية و العسكرية. هذه أيضاً حقيقة ناصعة و أكيدة.

الحقيقة الثالثة – و الكل يعلم بهذه الحقيقة، رغم أن الكثيرين ينكرونها – هي أن مظهر هذه الصحوة الإسلامية ليسوا الذين يعرضون وجهاً إرهابياً في العالم الإسلامي.

الـذين يرتكبـون هـذه الجـرائم في العـراق، و الـذين يعملـون في العـالم الإسـلامي باسـم الإسلام ضد المسلمين، و الذين يجعلون أهم واجباتهم تأجيج الخلافات بين المسلمين – تحت عناوين الشيعة و السنة و القوميات المتنوعة – هؤلاء لا يمكنهم بأي حال من الأحوال أن يمثلوا الصحوة الإسلامية و يرمزوا لها. و هذا ما يعلمه المستكبرون أنفسهم. الـذين يحـاولون عـرض الإسـلام علـى العـالم الغـربي في إطـار الجماعـات المتحجّـرة و الإرهابية، يعلمون جيداً أن الحقيقة شيء آخر. الإسلام الذي يشعر العالم الإسلامي راهناً بصحوة الانجذاب نحوه هو إسلام الفكر و التفكّر و التعمّق و الطرح الجديد.. إسلام حلول مشكلات الحياة لفتح العقد في الحياة الإنسانية، و ليس إسلام التحجّر، و لا إسلام العيون المغمضة، و لا إسلام البُعد عن كل ألوان التحرّر الفكري. هذا شيء يفهمه المستكبرون.

الحقيقة الأخرى هي أن العالم الغربي بكل قواه و قدراته لم يستطع التغلب على الصحوة الإسلامية. يمارسون الإعلام و الدعاية بهذه الكثافة في شتى أنحاء العالم الإسـلامي ضـد الإسـلام و ضـد الجمهوريـة الإسـلامية و ضـد القـادة و المصـلحين الإسلاميين الكبار و ضد الأحكام الإسلامية، و يعدّون و يخرّجون كل هذه الأعداد من المرتزقة لشتم الإسلام و اتهامه و اتهام أحكامه، و يستخدمون الأوراق و الضغوط العسكرية، و يستخدمون الضغوط الاقتصادية، و يلجؤون للحراب الإعلامية الواسعة بشكل عجيب و المدهش، لكنهم لم يفلحوا لحد الآن. الميول الغالبة للشباب المسلم في البلدان الإسلامية هي باتجاه الإسلام و التفكير الإسلامي. هذا الوجد و الشوق و التطلع يزداد في قلوب أبناء الشعوب المسلمة يوماً بعد آخر.

ما يترتّب على هذه الحقائق هو أن العالم الإسلامي يجب أن يعرف قدر هذا الواقع. السبيل الوحيد الذي أمام العالم الإسلامي اليوم لصيانة مصالح الشعوب المسلمة هو توحيد الكلمة حول محور الإسلام، و قول «لا» للأهداف و المطامع الاستعمارية للأعداء و المستكبرين. هدف الاستكبار هو محو الهوية الوطنية و الدينية في العالم الإسلامي، و خصوصاً في الشرق الأوسط. مجابهة هذه الأهداف ممكنة بمزيد من الاتحاد

و التضامن و التمسك بالإسلام و الدعوة للإسلام و الوقوف بوجه أطماع أمريكا و جشع المستكبرين، و لا سبيل غير ذلك. أمريكا اليوم وجه مخزٍ و غير مرغوب به في كل العالم. لقد سحق الأمريكان اليوم كل شعاراتهم تحت أقدامهم بما يمارسونه من أعمال. الضغوط التي يمارسها الأمريكان حالياً في العراق، و انعدام الأمن هناك، و دعمهم غير المشروط للصهاينة القتلة السفاحين، و الفجائع التي يرتكبونها في أفغانستان، و الضغوط التي يمارسونها على الحكومات الإسلامية، هذه كلها صنعت حالياً من أمريكا وجهاً كريهاً ممقوتاً في العالم الإسلامي. بوسع العالم الإسلامي اليوم الوقوف بوجه هذه القوة الجشعة، و يجب أن تقف بوجهها، و لا سبيل أمامها سوى المقاومة و الصمود.

على الحكومات الإسلامية من أجل الحفاظ على مصالحها الوطنية، و لأجل استقطاب عواطف شعوبها، و لأداء مسؤولياتها التاريخية، يجب عليها أن تعتمد على المحاور الأساسية لهوية الأمّة الإسلامية. عليها أن تدافع بصراحة عن الشعب الفلسطيني، و عن كامل استقلال العراق، و منح الشعب العراقي كامل حرّيته و اختياره، و أن تدافع عن شعب أفغانستان، و عن الشعوب المسلمة في أوربا و آسيا و أفريقيا، و عن الهوية القرآنية و عن أحكام القرآن الكريم في البلدان الإسلامية. و عليها توثيق علاقاتها في ما بينها، و أن تكون صادقة مع بعضها، و أن تساعد بعضها، و أن يأخذ بعضها بأيدي بعض. عندئذ ستستطيع الأمة الإسلامية إنقاذ نفسها من تحت نير الاستكبار، و اجتياز التهديدات التي يشكلها الاستكبار للعالم الإسلامي.[١]

دروس الرسول الأكرم (ص) و واجب الجميع في مراجعتها و العمل بها

في هذه المرحلة من الزمن يبدو اسم الرسول الأعظم (ص) و ذكراه أكثر حيوية و حضوراً من أي وقت آخر. و هذه من تدابير الحكمة و الألطاف الإلهية الخفية. الأمة الإسلامية و شعبنا في الوقت الحاضر أحوج من أي وقت مضى لرسوله الأعظم محمد (ص). إننا بحاجة لهدايته و بشائره و إنذاره و رسالته و معنوياته و رحمته التي لقنها

١. من كلمته في لقائه المسؤولين و المدراء في الجمهورية الإسلامية الإيرانية بمناسبة المبعث النبوي الشريف، بتاريخ ٢٠٠٥/٠٩/٠٢ م.

دروساً للبشرية. درس رسول الإسلام الكريم (ص) لأمته و لكل الإنسانية في الوقت الراهن، هو أن نكون علماء و نكون أقوياء، و هو درس الأخلاق و الكرامة و درس الرحمة و درس الجهاد و العزة و درس المقاومة. و إذن، فاسم هذه السنة هو بشكل طبيعي الاسم المبارك لرسول الإسلام الأعظم (ص). في ظل هذا الاسم و هذه الذكرى يجب على شعبنا أن يراجع دروس الرسول الأكرم، و يجعل منها دروساً لحياته و برامجه الجارية. شعبنا يفخر بتتلمذه في المدرسة النبوية و تلقيه الدروس المحمدية. شعبنا يرفع بمقاومة و قوة راية الإسلام بين أبناء الأمة الإسلامية. و قد صبر على الصعاب، و شاهد ثمار المشاركة و التواجد في ساحة الشرف و المجد هذه، و ستكون هناك في المستقبل مزيد من النجاحات و الثمار بفضل من الله.

يجب علينا أدراج دروس الرسول الأخلاقية و دروسه في العزة و في طلب العلم و تحصيل الحكمة و الكرامة و دروسه في الوحدة، و هي كلها دروس حياتنا، يجب أدراجها ضمن خطط حياتنا.

ثمة في وسط الساحة اليوم حكومة مصممة و خادمة، و شعب جاهز للعمل و مفعم بالأمل، و شباب متحمّس موهوب.. هؤلاء متواجدون في هذه الأرض، و هذه بشارة كبرى لمستقبل بلادنا و شعبنا.

نسأل الله تعالى أن يُرضي عنا الروح الطاهرة لرسولنا الأعظم (ص)، و أن يزيد دوماً من بركاته على هذا الرسول الكريم، رسول الرحمة و العزة، و على أمته. و نسأله أن يسرّ القلب المقدس لإمامنا المهدي المنتظر (أرواحنا فداه)، و يمنّ علينا بالتوفيق و التأييد في السير على هذا الدرب الصعب.[1]

رسول الإسلام مجمع كل فضائل الأنبياء و الأولياء

هذه السنة هي سنة رسول الإسلام الأعظم (ص)، و اسمه يزيّن عامنا هذا. و ما عسانا نقول حول رسول الإسلام الأكرم؟ سوى أن نقول إنه مجمع كل فضائل كل الأنبياء و الأولياء. إنه الشكل التام و الكامل لكل الفضائل التي ظهرت طوال التاريخ

١. من ندائه بمناسبة حلول العام الإيراني ١٣٨٥ هـ ش، الموافق لـ ٢٠٠٦/٠٣/٢١ م.

في سلسلة الأنبياء و الأولياء الإلهيين. يقول الشاعر: «اسم أحمد اسم كل الأنبياء، إذا كان لدينا المائة فلدينا التسعين داخل هذه المائة».[١]

حين نذكر اسم الرسول الأعظم، و كأن شخصية النبي إبراهيم، و شخصية النبي نوح، و شخصية النبي موسي، و شخصية النبي عيسي، و شخصية لقمان، و شخصيات كل عباد الله الصالحين، و شخصية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، و أئمة الهدى (عليهم السلام) مجتمعة مجسّدة في هذا الوجود المقدس. يمكن تشبيه الرسول الأعظم (ص) بأزهر نجم في سماء الكائنات، و التعبير بهذا الشكل عن ذلك الوجود الكبير المقدس. لماذا نقول إنه نجم زاهر، و لا نقول إنه شمس؟ لأن للشمس جسم و كتلة معينة و محددة، و هي نيّرة و عظيمة، لكنها بالتالي كرة و كتلة سماوية. و لكن في هذه النجوم التي ترونها هناك في بعض النجوم مجرّات أكبر آلاف المرات من المجرة التي نراها فوق رؤوسنا في السماء ليالي الصيف. المجرّة هي مجموعة من آلاف المنظومات و الشموس. و رسول الإسلام الأعظم (ص) كيان أشبه بالمجرّة التي فيها آلاف الشموس المشرقة بالفضائل. العلم في رسول الله الأكرم ممتزج بالأخلاق، و الحكومة بالحكمة، و عبادة الله بخدمة خلق الله، و الجهاد بالرحمة، و حبّ الله بحبّ مخلوقات الله، و العزة بالتواضع و الترابية، و العصرية ببُعد النظر، و الصدق مع الناس بالحنكة و التعقيدات السياسية، و غرق الروح في ذكر الله بالخوض في شؤون الصلح و سلامة الجسم.. الدنيا و الآخرة مجتمعتان فيه، و قد جمع كذلك بين الأهداف الإلهية السامية و الأهداف الجذابة للبشر. إنه نموذج كامل لم يخلق الله تعالى في عالم الوجود مخلوقاً أكمل منه. إنه المبشّر و المنذر و الشاهد و المشرف على كل البشرية. و هو داعي كل البشرية إلى الله و السراج المنير الذي يضيئ للناس طريقهم. «**إنا أرسلناك شاهداً و مبشراً و نذيراً و داعياً إلى الله بإذنه و سراجاً منيراً**».[٢]

سنة الرسول الأعظم (ص) سنة هذا الوجود الشبيه بالمجرّات لحكومتنا و شعبنا. هذا

---

١. مثنوي معنوي، جلال الدين المولوي الرومي، الكتاب الأول.

٢. سورة الأحزاب، الآيتان ٤٥ و ٤٦ .

بالإضافة إلى أن وجود الرسول الأكرم (ص) على الصعيد الدولي نقطة التقاء معتقدات و عواطف كل الشعوب المسلمة. الكيان المبارك لرسول الإسلام العظيم هو القطب الذي تلتقي عنده كل القوميات و كل المذاهب و الطوائف في الأمة الإسلامية بكل معتقداتها و عواطفها. أن نكون في مثل هذا العام و بمثل هذا الاسم فهذا يضع على عواتقنا تكاليف و واجبات جسيمة. على شعبنا و حكومتنا في هذا العام أن يعملوا بنحو منسجم مع الحكمة النبوية و العلم النبوي و الحكومة النبوية و العدالة النبوية و الأخلاق و الكرامة النبوية و التواضع و العزة النبوية، و الجهاد و الرحمة النبوية. و هذه بالطبع ليست مهمات سنة واحدة، كما أن الرسول الأكرم (ص) ليس رسول سنة واحدة، فكل السنين سنيّ رسول الله، و كل التاريخ تاريخ الرسول محمد (ص). لكن هذا يعني أن علينا في هذه السنة قطع خطوات كبيرة و ضخمة و إنجاز أعمال ممتازة على سبيل بناء مثل هذا المجتمع و العالم الذي قصده رسولنا الكريم. سنة الرسول الأكرم سنة النظرات البعيدة المدى و سنة العمل و الجهاد و الخدمة و سنة البرمجة الواعية الدقيقة لمستقبل البلاد. إنها سنة التحرك إلى الأمام.[1]

رسالة تسمية سنة باسم الرسول الأكرم (ص)

تسمية هذه السنة باسم رسول الله المبارك لها رسالة، و يجب أن نتلقى هذه الرسالة بكل كياننا و قلوبنا، و نسير بمقتضاها، و ليس الأمر أن نبارك عامنا هذا باسم رسول الإسلام الأكرم (ص). و الرسالة هي أن مجتمعنا – أفراداً و جماعات – يجب أن يقتربوا يوماً بعد آخر من الشيء الذي عقد رسولنا الكريم العزم عليه و جاهد و جدّ في سبيله. لا يمكن تلخيص الأهداف السامية لرسول الإسلام (ص) في جملة واحدة، و لكن يمكن تسجيل عناوين لها لجعلها نصب أعيننا و منهج حياتنا طوال عام و طوال عقد و طوال عمر بأكمله.

---

١. من كلمته في الروضة الرضوية المقدسة بداية العام الإيراني ١٣٨٥ هـ ش، الموافق لـ ٢٠٠٦/٠٣/٢١م.

الأهداف العليا لرسول الإسلام: ١ – إتمام مكارم الأخلاق

من العناوين العامة في إطار أهداف رسول الإسلام الكريم إتمام مكارم الأخلاق: «**بعثت لأتمّم مكارم الأخلاق**».[١] المجتمع من دون التحلي بالأخلاق الحسنة لا يمكنه تحقيق الأهداف السامية المرادة من بعثة الرسول. ما يأخذ الفرد و المجتمع إلى المراتب الإنسانية السامقة هو الأخلاق الحسنة. و الأخلاق الحسنة ليست التعامل بأخلاق مع الناس فقط، بل بمعنى تربية الصفات الحسنة و الأخلاق الفاضلة في القلب و الروح، و انعكاسها في الأعمال و التصرّفات. الناس الذين يسود الحسد حياتهم، و يريدون الشر و السوء لبعضهم، و يحتالون على بعضهم، و يعيشون حالات الحرص على الدنيا و البخل بالمال، و الحقد على الآخرين، في مثل هذا المجتمع حتى لو تم تطبيق القانون بشكل دقيق لن تتوفر السعادة و الراحة. و حتى لو تطوّر العلم و تنامت الحضارة الظاهرية لتصل إلى ذروة العظمة و الجلال، فلن يكون ذلك المجتمع المجتمع الإنساني المنشود. المجتمع الذي يشعر الأفراد فيه بانعدام الأمن من بعضهم، و يشعر كل واحد من أفراده بأنه محسود من قبل الآخرين و أن الآخرين يكنون له السوء و الضغينة و الحقد و يتآمرون عليه، و ينظرون بعين الحرص له و لأمواله و ممتلكاته، مثل هذا المجتمع لن يعيش الراحة طبعاً. أما إذا سادت المجتمع الفضائل الأخلاقية و تتغلغلت في قلوب الناس و أرواحهم، و كان الناس عطوفين بعضهم تجاه بعض، و يتعاملون في ما بينهم بالصفح و العفو و التسامح و التجاوز، و لا يحرصون على مال الدنيا، و لا يبخلون بما لديهم، و لا يحسدون بعضهم، و لا يعرقلون سبل تقدم الآخرين، و يتحلون بالصبر و الأناة و التحمّل، مثل هذا المجتمع حتى لو كان من الناحية المادية غير متقدم تقدماً كبيراً، فإن أهله سيشعرون بالراحة و الطمأنينة و السعادة. هذه هي الأخلاق. و هذا ما نحتاج له. علينا تربية الأخلاق الإسلامية في قلوبنا باستمرار. القوانين الفردية و الاجتماعية الإسلامية لها مكانها و مكانتها و هي وسيلة لإسعاد البشر (هذا مما لا شك فيه)، و لكن حتى التطبيق الصحيح لهذه القوانين بحاجة للأخلاق الحسنة.

---

١. بحار الأنوار، ج ٦٨ ، ص ٣٨٢ .

من أجل أن تسود الأخلاق مجتمعاً من المجتمعات، لا بدّ من توفر أمرين: أحدهما تدريباتنا و جهادنا نحن، و الثاني التعليمات الأخلاقية التي يجب أن يغذّى بها الناس عن طريق التربية و التعليم و المراكز التربوية و التعليمية و العلمية على كل المستويات. هؤلاء يتحملون مسؤوليات. هذا جانب من الأعمال اللازم تنفيذها في سنة رسول الله الأعظم (ص). أي أنْ نجعل أنفسنا مؤمنين مسلمين تابعين للرسول الأكرم من حيث الأخلاق الفاضلة. يجب أن نعرف لائحة الصفات الرذيلة و القبيحة، و نرى أيها موجود فينا فنحاول اجتنابه و تركه. كما ينبغي أن نعرف لائحة الأخلاق الحسنة الحميدة و نحاول عن طريق تدريب أنفسنا أن نوفرها فينا. طبعاً المحبة هي سبب التقدم في هذا السبيل.. محبة الله و محبة رسول الله و محبة هذا الدرب و محبة أساتذة الأخلاق – أي الرسل و الأنبياء و الأئمة المعصومين عليهم السلام – إنه الحبّ الذي يتقدم بالإنسان سريعاً في هذا الطريق. يجب أن ننمّي هذا الحبّ في أنفسنا يوماً بعد يوم.. «**اللهم ارزقني حبّك و حبّ من يحبّك و حبّ كلّ عمل يوصلني إلى قربك**».[١] محبة الله و محبة أحباء الله و محبة الأعمال التي يحبّها الله.. هذه أنواع الحبّ التي يجب أن نغذيها و ننمّيها في قلوبنا. هذه واحدة من تعاليم الرسول الأكرم (ص) في سنة الرسول الأكرم.

٢ – الاستقامة و الثبات

المسألة الأخرى هي قضية الاستقامة و الثبات و الصمود. يقول الله تعالى لرسوله الكريم في سورة هود: «**فاستقم كما أمرت و من تاب معك و لا تطغوا**».[٢] و في الرواية عن الرسول الأكرم (ص) أنه قال: «**شيّبتني سورة هود**».[٣] و هذا من شدّة العبء و الجسامة التي في هذه السورة. أي موضع من سورة هود هو المقصود؟ يروى أن المراد هو هذه الآية «**فاستقم كما أمرت**». لماذا شيّبت هذه الآية رسول الله؟ لأن الله تعالى يقول فيها: استقم و اصبر و اثبت في هذا الدرب كما أمرناك. و هذا الثبات

---

١. بحار الأنوار، ج ٨٣ ، ص ١٨٢ ، الباب ٤٣ .

٢. سورة هود، الآية ١١٢ .

٣. وسائل الشيعة، ج ٦ ، ص ١٧٢ .

بنفسه عملية صعبة. إنه الصراط.. إنه جسر الصراط الذي صوّروا مظهره لنا في يوم القيامة. جسر الصراط هنا هو باطن أعمالنا و دربنا. إننا الآن نسير على جسر الصراط، و يجب علينا التدقيق و الحذر بشدة. و إذا أراد المرء التدقيق في كل تصرفاته و سلوكياته فإن ذلك سيشيّبه.

لكن الأهم من كل هذا في رأيي هو الجملة التي تليها: «**و من تاب معك**». ليس الرسول الأكرم وحده هو المأمور بالاستقامة و الصبر، إنما يجب على كل جموع المؤمنين الهائلة الصبر و الاستقامة في هذا الدرب. الناس المعرضون من ناحية لهجمات البلايا و المشكلات الحياتية — من أعداء و متآمرين و خصوم و قوى مسلطة — و المعرّضون من ناحية أخرى لهجمات أهوائهم النفسية — من رغبات و نزوات و عدم طاقة مقابل المال و المتاع الدنيوي الجذاب الذي يشدّ القلوب إليه — قد ينحرفون عن هذا الصراط المستقيم يميناً و يساراً. حبّ الذهب و الفضة، و حبّ المال، و حبّ الشهوات الجنسية، و حب المناصب و ما إلى ذلك، كل واحد من هذه الأمور فخ و أغلال في عنق الإنسان تجرّه إليها. المقاومة و الثبات مقابل هذه الجاذبيات بحيث لا تزلّ أقدام الإنسان: «**و من تاب معك**» و تصبير المؤمنين بين هاتين الجاذبتين القويتين — جاذبة ضغوط الأعداء و جاذبة الضغوط و الأهواء الداخلية — و هذين المغناطيسين، و إبقاؤهم على الخط المستقيم و هدايتهم، هي على أغلب الظن المهمات التي شيّبت النبي الأعظم (ص).

هل تعلمون أية منعطفات و مزالق صعبة عبّر نبي الإسلام الأعظم المسلمين منها — سواء في الفترة المكية (ثلاثة عشر عاماً) أو في الفترة المدينة حيث تأسيس نظام الحكم — ليصل بهم إلى تلك القمم؟ مثل هذا التحرّك العظيم لم يكن من عمل أي إنسان كان. أولئك الناس الذين لم يكونوا يفهمون شيئاً و لم يشموا رائحة الأخلاق الإنسانية، حوّلهم الرسول الأعظم (ص) إلى أناس تشعر ملائكة الله بالهوان و الصغر مقابل عظمتهم و أنوارهم. هذه هي الاستقامة. و نحن اليوم بحاجة إلى الاستقامة. نحن أيضاً تتجاذبنا من جهة زخارف الحياة الملوّنة و تثير رغباتنا و أهوائنا. خلال فترة الثورة، كم شاهدنا من أناس كانت معتقداتهم و قلوبهم صالحة، لكنهم لم يطيقوا الصبر مقابل

الركون للراحة و أمام الشهوات و أمام السلطة و المناصب و مديح هذا و ذاك، و حيال تهديدات العدو، فانزلقوا نحو جانب معين و تحولوا في بعض الحالات إلى معارضين و معاندين لسبيل الله. و إذن، فالصبر و الاستقامة حالة ضرورية. و الاستقامة ضرورية مقابل العدو أيضاً. العدو يهدد و يعد و يتوعد و يستعرض عضلاته و قواه دوماً أمام المجتمع الإسلامي، و يتحدث بمنطق القوة، و قد يخلط لغة القوة في بعض الأحيان بشيء من الحلاوات و الوعود المعسولة ليضلّ القلوب عن سبيل الله. و الاستقامة أمام مخادعات الأعداء و تهديداتهم ميزة كبرى إذا تحلّى بها شعب من الشعوب فسيصل إلى القمّة و إلى حيث لا يجد العدو فائدة من التهديدات، فيضطر للتأقلم أو الاستسلام.[١]

أهمية وضع الأمة الإسلامية بالنسبة لروح الرسول الطاهرة

مما يلفت الانتباه في خصوص العلاقة بين نبي الإسلام الكريم (ص) و الأمة الإسلامية قضية مصير الأمة الإسلامية و الأحداث و الوقائع التي تجري على هذه الأمة. «**لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتّم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم**».[٢] و هذه الحالة تنسحب على كل عصور التاريخ. ما يجري على الأمة الإسلامية مهم بالنسبة لروح الرسول الأكرم الطاهرة. فعيناه البصيرتان الناظرتان قلقتان على حال الأمة الإسلامية.

لقد مرّت هذه الأمة بفترات و عصور عصيبة و شهدت الكثير من المنعطفات التاريخية، و وصلت اليوم إلى هذه النقطة المصيرية الحاسمة. إذا أبدت الأمة الإسلامية اليوم الهمّة فستستطيع اختيار طريق يشطب على تأخرها و مشكلاتها و صعابها و ذلتها. و رواد هذه الحركة هم النخبة في المجتمع، سواء النخبة السياسيون أو النخبة العلميون أو النخبة الثقافيون — على مستوى الحوزات الدينية أو الجامعات — الذين بوسعهم توصية الأمة الإسلامية باختيار هذا الدرب و هدايتها إليه.

الطريق الآخر هو أن تبقى الأمة الإسلامية في الغفلة التي أرادها لها أعداء الإسلام.

---

١. من كلمته في لقائه بالتعبويين، في تاريخ ٢٠٠٦/٠٣/٢٦ م.

٢. سورة التوبة، الآية ١٢٨ .

أن نبقى في الغفلة و الاختلافات و ضيق الأفق و الأنانيات و التكالب على الدنيا و عدم شعور النخبة بالمسؤولية، و إذا حصل هذا فإن درب سعادة العالم الإسلامي في الدنيا سيبتعد عن متناول الأمة الإسلامية لعشرات الأعوام الأخرى على الأقل. هذه هي خصوصية زماننا هذا. اليوم هو يوم اختيار الأمة الإسلامية لطريقها. صحيح أن الحركة في طريق الرشد و الصواب ليست بالأمر الدفعي الفجائي، إنما تؤتي ثمارها تدريجياً و على المدى المتوسط أو على المدى البعيد، إلا إن تحرّك النخب و المسؤولين و اتخاذهم للقرارات بطريقة تكشف الدرب للآخرين و تدلّهم عليه، و في كل بقاع العالم الإسلامي، إذا تأخر فسيكون ذلك في ضرر الأمة الإسلامية مع كل يوم من التأخير. على الجميع الشعور بالمسؤولية. اليوم يوم اتحاد الأمة الإسلامية. لاحظوا كم يبذل العدو من الجهود و الأموال في سبيل إفساد حتى هذا الاتحاد الضعيف الراهن. لاحظوا الوضع في العراق. و الأوضاع في سائر المناطق الإسلامية عرضة لنفس المؤامرات و بدرجات مختلفة، و ذلك من أجل أن يبثوا التفرقة و النزاعات بين الطوائف الإسلامية و الفرق الإسلامية و القوميات و الشعوب الإسلامية بذرائع شتى، فيقتل هؤلاء أولئك و يقتل أولئك هؤلاء، و يحقد هؤلاء على أولئك و يحقد أولئك بالمقابل على هؤلاء، و تكون النتيجة الغفلة عن أعداء العالم الإسلامي الأصليين و المخططين للسيطرة و الهيمنة على هذه المنطقة من العالم.

لو كان العالم الإسلامي متحداً لوجب أن لا تكون فلسطين اليوم وحيدة، و لما كان ينبغي أن تبقى الحكومة المنبثقة من أصوات الشعب الفلسطيني تحت الضغوط، و تهدد بقطع المساعدات ما لم تغض الطرف عن مبادئها. على العالم الإسلامي أن يعلن بصوت واحد و بكلمة واحدة دعمه للشعب الفلسطيني و المسؤولين الفلسطينيين، و يدعم إصرارهم على مبادئهم. لو حصل هذا لما عاد الذين أسسوا أساس البؤس للشعب و البلاد الفلسطينية بمقدورهم أن يتحدثوا بهذه اللهجة الهجومية الدائنة. ترتكب كل هذه الفجائع ضد الشعب الفلسطيني، و السادة الأوربيون المحبّون للإنسان و الإنسانية و المدافعون عن حقوق الإنسان (!) كأنهم صمّ بكمّ و عميان لا يرون

شيئاً. ثم تتولى الحكومة الفلسطينية زمام الأمور بأصوات الشعب و إرادته فيصرّحون و يتخذون المواقف ضدها. هذا بسبب تفرق العالم الإسلامي، و هو بسبب أنانيات النخب و السياسيين في العالم الإسلامي.

الصحوة الإسلامية.. السبيل الوحيد لاستعادة الأمة الإسلامية عزتها

علينا اليوم أن نصحو و نفهم بأن قرارنا و تصميمنا يرسم المصير التاريخي للعالم الإسلامي. و بالطبع فإن هذا القرار لا يرتبط بنا شخصياً و بحاضرنا. ما من سبيل أمام الأمة الإسلامية اليوم سوى أن تؤمن بقدراتها و تكفّ عن الخضوع للظلم و تقرّر الخروج من تحت أعباء التعسف و منطق القوة. إننا لا ندعو الشعوب المسلمة لحمل السيوف و محاربة بلدان العالم، بل ندعوهم و نوصيهم بمعرفة حقوقهم و قدرهم و منزلتهم و عزتهم و عزة شعوبهم و تاريخهم و تراثهم القيم، و الاعتماد عليه، و عدم السماح لعالم الكفر و الاستكبار – و هو اليوم في قبضة الصهاينة – بإهانتهم. هذا هو ما نقوله.. «**عزيز عليه ما عنتّم**».[1] الصعاب التي تمرون بها و يعاني منها العالم الإسلامي و الأمة الإسلامية عسيرة على رسول الله (ص) و تحزّ في نفسه. «**حريص عليكم**».. يريد هدايتكم و يبغي لكم السعادة و التقدم على هذا الصراط الإلهي المستقيم المرسوم لكم من أجل سعادة دنياكم و آخرتكم. هذا ما يريده رسول الله (ص) منا.

ما نقوله هو أن الكيان المقدس لرسول الإسلام الكريم العظيم (ص) هو أهم قطب لإيجاد الوحدة بين المسلمين. و قد ذكرنا سابقاً إن العالم الإسلامي بوسعه الوئام و الاجتماع حول هذا القطب. فهذا القطب هو المحور الذي يمكن لعواطف كل المسلمين أن تدور حوله. إنه مركز الحب و العشق لكل العالم الإسلامي. و لاحظوا حالياً أن الأقلام القابضة أجورها من الصهاينة تستهدف هذا القطب و توجّه له الإهانات، و ذلك من أجل أن يزول تدريجياً قبح و خطر توجيه الإهانات للأمة الإسلامية و يصبح أمراً مألوفاً. هذا هو القطب الرئيسي، و على السياسيين و النخب العلمية و الثقافية و

---

١. سورة التوبة، الآية ١٢٨ .

الكتاب و الشعراء و الفنانين التركيز على هذه النقطة و العمل على تقريب كل المسلمين من بعضهم تحت هذا الشعار. لا تنظروا إلى نقاط الاختلاف، و لا توجّهوا التهم لبعضكم و لا تكفروا بعضكم و لا تخرجوا بعضكم من حدود الدين. القلوب تنبعث و تتوثب في كل أنحاء العالم الإسلامي بذكرى الرسول الأكرم (ص) و حبّه، و تغدو يانعة ريّانة مزدهرة. كلنا والهون و عشاق لهذا الإنسان العظيم.

هذا الأسبوع هو أسبوع الوحدة بحق، و هذه الأيام هي أيام الاتحاد بين المسلمين حقاً. واجبات المسؤولين السياسيين ثقيلة، و على المسؤولين الثقافيين و الكتاب و العلماء أن يتجنّبوا طرح القضايا الخلافية الباعثة على التفرقة. ينبغي للسنة و الشيعة و الجميع أن يركّزوا على محور الاتحاد هذا. و من المتوقع من العلماء و النخب السياسية أن يعوا خطورة الظرف و الزمان و أهمية اتحاد المسلمين، و يتفطنوا لمؤامرة الأعداء لكسر هذا الاتحاد و الوئام.

هذا هو كلامنا و قولنا لشعبنا و للعالم الإسلامي، و نسأل الله تعالى بشرف الرسول (ص) و عزته و كرامته عنده أن يوفّق العالم الإسلامي في هذا الدرب، و يجعل غد الأمة الإسلامية خيراً من يومها.[١]

مميزات الرسول الأعظم (ص) لتحمّل أعباء البعثة الهائلة

هذه السنة في بلادنا هي سنة الرسول الأعظم، و اليوم هو يوم بعثته. و قد قال هو (صلوات الله و سلامه عليه و آله) في حديث متواتر معروف: «**بعثت لأتمّم مكارم الأخلاق**».[٢] حصلت البعثة في العالم بهدف نشر و إكمال مكارم الأخلاق و الفضائل الروحية بين البشر.

ما لم يكن الشخص أفضل الناس من حيث مكارم الأخلاق فإن الله تعالى لا يكلفه بمثل هذه المأمورية العظيمة الخطيرة. لذا يخاطب الله تعالى رسوله الكريم في

---

١. من كلمته بمناسبة ولادة الرسول الأكرم (ص) و الإمام جعفر الصادق (ع) في تاريخ ٢٠٠٦/٠٤/١٦ م.

٢. بحار الأنوار، ج ٦٨ ، ص ٣٨٢ .

بدايات البعثة قائلاً: «**إنك لعلى خلق عظيم**».[١] إعداد الرسول الأكرم (ص) ليكون وعاءً يستوعب الوحي الإلهي عملية تعود إلى ما قبل البعثة. لذا جاء في التواريخ أن الرسول الأكرم (ص) حينما كان شاباً يعمل في التجارة و يحصل على أموال كبيرة من التجارة، كان ينفقها كلها كصدقات على المساكين و الفقراء. في هذه الفترة و هي فترة أواخر مرحلة تكامل الرسول الأكرم (ص) و قبل نزول الوحي – الفترة التي لم يكن قد بعث فيها بالنبوة بعدُ – كان الرسول يصعد الجبل إلى غار حراء و يتأمل الآيات الإلهية، و ينظر عميقاً في السماوات و النجوم و الأرض و هذه الخلائق التي تعيش على الأرض بمشاعر مختلفة و طرائق شتى من العيش. كان يرى فيها جميعاً آيات إلهية، و كان خضوعه أمام الباري عزّ و جلّ و خشوع قلبه حيال الأوامر و النواهي و الإرادة الإلهية يزداد باستمرار، و كانت براعم الأخلاق الحسنة تنمو في نفسه أكثر فأكثر على مرّ الوقت.

و جاء في الرواية إنه كان «**من أعقل الناس و أشجعهم**».[٢] كان الرسول قبل البعثة و بفضل تأمّله في الآيات الإلهية يزداد عمقاً و غنى عقلياً يوماً بعد آخر، إلى أن وصل إلى سنّ الأربعين. «**فلما استكمل أربعين سنة و نظر الله عزّ و جلّ إلى قلبه فوجده أفضل القلوب و أجلّها و أطوعها و أخشعها و أخضعها**».[٣] كان قلبه في الأربعين من عمره أنور القلوب و أخشعها و أكثرها استيعاباً لتلقي الرسالة الإلهية.. «**أذن لأبواب السماء ففتحت و محمد ينظر إليها**»..[٤] حين وصل إلى هذه المرحلة من المعنوية و الروحانية و النورانية و ذروة الكمال، فتح الله تعالى أمامه أبواب السماء و أبواب عوالم الغيب لينظر إلى العوالم المعنوية و الغيبية.. «**و أذن للملائكة فنزلوا و محمد ينظر إليهم**». كان يرى الملائكة و يتكلمون معه، و يسمع كلامهم، إلى أن نزل

---

١. سورة القلم، الآية ٤ .

٢. مختصر البصائر، ص ٦٠ .

٣. التفسير المنسوب للإمام الحسن العسكري (ع)، ص ١٥٦ .

٤. مختصر البصائر، ص ٦٠ .

جبرائيل الأمين عليه و قال: «إقرأ» فكانت بداية البعثة.

بدأ هذا المخلوق الإلهي المنطقع النظير و هذا الإنسان الكامل الذي بلغ مثل هذه المرتبة من الكمال قبل نزول الوحي الإلهي عليه، بدأ منذ اللحظة الأولى للبعثة جهاداً مركباً شاملاً صعباً و واصله على مدى ثلاثة و عشرين عاماً بمنتهى الصعوبة. جهاد في داخله، و جهاد مع الناس الذين لم يكن لهم أي نوع من الإدراك للحقيقة، و جهاد ضد ذلك المناخ المظلم الحالك الذي يقول عنه الإمام على بن أبي طالب (ع) في نهج البلاغة: « **في فتن داستهم بأخفافها، و وطأتهم بأظلافها، و قامت على سنابكها**».[1] كانت الفتن تثقل على الناس من كل حدب و صوب، فتن طلب الدنيا، و الشهوات و الظلم و العدوان و الرذائل الأخلاقية في أعماق وجود الناس، و تعدّي الأقوياء على الضعفاء دون أي مانع أو رادع. حالات التعدّي هذه لم تكن في مكة و في جزيرة العرب فقط، بل كانت أيضاً في أرقى الحضارات آنذاك أي الامبراطورية الرومانية الكبيرة و الدولة الشاهنشاهية في إيران. انظروا في التاريخ.. كانت صفحات التاريخ المظلمة قد استغرقت كل الحياة البشرية. و قد بدأ الجهاد بمثل هذه القدرات العظيمة و الجهود المتظافرة التي لا يمكن تصورها منذ الساعات الأولى للبعثة و تحمّل مسؤولية الوحي الإلهي من قبل النبي الأكرم (ص)، و قد نزل الوحي الإلهي على القلب المقدس للنبي الأكرم كما ينساب الماء الزلال على الأرض الخصبة، فمنحه الطاقة و القوة، و استخدم (ص) كل قوّته ليضع هذا العالم على أعتاب تحوّل عظيم، و نجح في ذلك.

شيّدت الخلايا الأولى من جسد الأمة الإسلامية في أيام مكة الصعبة بيد المقتدرة لرسول الإسلام الكريم (ص). و قامت الأعمدة المتينة التي ينبغي أن ينهض صرح الأمة الإسلامية عليها، و ظهر المؤمنون الأوائل و أول الناس الذين وعوا هذه المعرفة و تحلوا بهذه الشجاعة و النورانية التي أهّلتهم لاستيعاب معنى الرسالة النبوية و الوله بها. «**فمن**

---

١. نهج البلاغة، الخطبة ٢ .

يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام».[١] تفتحت القلوب و أبوابها على هذه المعارف و الأوامر و النواهي الإلهية بفضل اليد المقتدرة للرسول الأكرم (ص). و تنورت الأذهان و تعززت الإرادات. و كانت هناك صعاب و شدائد في فترة مكة واجهت هذا العدد القليل من المؤمنين – الذين كانوا يزدادون يوماً بعد يوم – بشكل لا يمكن تصوّره من قبلنا أنا و أنتم. في مناخ تسوده برمّته القيم الجاهلية، و العصبيات و الحميّات الخاطئة و الأحقاد العميقة و القساوات و الشقاوات و الظلم و الشهوات و تملأ حياة الناس بالبؤس و التعاسة و تجعلها أحجاراً صلدة صمّاء، على مثل هذه الصخور الصمّاء نبتت هذه الغرسات الخضراء و نمت. و هذا ما يقول عنه الإمام علي بن أبي طالب: «**و إن الشجرة البرية أصلب عوداً و أقوى وقوداً**».[٢]

ما من طوفان كان بوسعه أن يزعزع هذه الغرسات و الشجيرات التي نبتت بين الصخور و ضربت جذورها في الأرض. مضت ثلاث عشرة سنة، ثم تمّ تشييد صرح المجتمع الإسلامي و المجتمع المدني النبوي على هذه الأركان القوية. و قد استغرق بناء الأمة عشرة أعوام. و لم تكن صناعة الأمة هذه مجرد عمل سياسي. إنما كانت السياسة جزءاً منها. و الجزء الأصلي فيها هو تربية الأفراد واحداً واحداً: «**هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته و يزكّيهم و يعلمهم الكتاب و الحكمة**».[٣] لاحظوا كلمة «**يزكّيهم**» التي تعني أن كل واحد من القلوب خضع لتربية الرسول الأكرم (ص). لقّن الرسول الأذهان و العقول واحداً واحداً العلم و المعرفة.. «**و يعلمهم الكتاب و الحكمة**».. الحكمة مرتبة أعلى. لم يعلمهم القوانين و الضوابط و الأحكام فقط، بل علمهم الحكمة أيضاً. فتح أعينهم على حقائق العالم. عمل الرسول الأكرم (ص) على هذه الطريقة لمدة عشرة أعوام. من جهة كانت هناك السياسة و الإدارة و الحكومة و الدفاع عن كيان المجتمع الإسلامي و نشر الإسلام و فتح الطريق للجماعات

---

١. سورة الأنعام، الآية ١٢٥ .

٢. نهج البلاغة، الخطبة رقم ٤٥ .

٣. سورة الجمعة، الآية ٢ .

خارج المدينة كي تدخل تدريجياً إلى نور الإسلام و المعارف الإسلامية، و كان هناك من جهة أخرى تربية الأفراد واحداً واحداً. أيها الإخوة و الأخوات الأعزاء.. لا يمكن الفصل بين هذين الجانبين.

إشاعة نظرية فصل الدين عن السياسة من قبل المستكبرين المستعمرين

البعض اعتبروا الإسلام مجرد قضية فردية، و فصلوا السياسة عن الإسلام. هذا هو ما يروّج له حالياً في الكثير من المجتمعات الإسلامية و في علوم العالم المستكبر المستعمر الغربي المهاجم: فصل الإسلام عن السياسة! سلبوا الإسلام السياسة، و الحال أن النبي الأكرم (ص) في بداية هجرته و في مطلع تمكّنه من الخلاص من صعوبات مكة، كانت السياسة أول شيء فعله. تشييد المجتمع الإسلامي، و تأسيس الحكومة الإسلامية، و تشكيل النظام الإسلامي، و تشكيل جيش إسلامي، و إرسال رسائل إلى كبار الساسة في العالم، و الخوض في الميدان السياسي الكبير في العالم آنذاك.. هذا كله سياسة. كيف يمكن فصل الإسلام عن السياسة؟! و كيف يمكن تفسير و صياغة السياسة بيد هادية غير يد الإسلام؟! «**الذين جعلوا الإسلام عضين**»،[١] البعض يبضّعون القرآن و يقسمونه و يمزقونه.. «**نؤمن ببعض و نكفر ببعض**»..[٢] يؤمنون بالعبادة التي جاء بها القرآن الكريم، لكنهم لا يؤمنون بالسياسة التي في القرآن الكريم! «**لقد أرسلنا رسلنا بالبيّنات و أنزلنا معهم الكتاب و الميزان ليقوم الناس بالقسط**».[٣] ما هو القسط؟ القسط معناه تكريس العدالة الاجتماعية في المجتمع. من الذي يستطيع القيام بذلك؟ تشكيل مجتمع فيه العدل و القسط عمل سياسي و من مهمة مدراء البلاد. هذا هو هدف الأنبياء. ليس نبينا محمد و حسب، بل النبي عيسي و النبي موسى و النبي إبراهيم و كل الأنبياء الإلهيين (عليهم السلام) جاءوا من أجل السياسة و لتأسيس النظام الإسلامي، و ترى البعض من المتظاهرين بالقداسة و التديّن يقولون: لا شأن لنا

---

١. سورة الحجر، الآية ٩١ .

٢. سورة النساء، الآية ١٥٠ .

٣. سورة الحديد، الآية ٢٥ .

بالسياسة! و هل الدين منفصل عن السياسة؟! و تصرّ الآلة الإعلامية الغربية الخبيثة على تكرار التوصية بفصل الدين عن السياسة، و فصل الدين عن الدولة. إذا كنا مسلمين فالدين و الدولة ممتزجان. و هما ليسا من قبيل الشيئين الذين ألصقا ببعضهما، بل الدين و الدولة شيء واحد.

الدين و الدولة في الإسلام ينبعان من مصدر واحد و هو الوحي الإلهي. هذا هو القرآن و الإسلام. البعض يفصلون السياسة عن الإسلام، و البعض في الجانب المقابل يعتبرون الإسلام ليس سوى سياسة و ألاعيب و ممارسات سياسية، و يتجاهلون الأخلاق و المعنويات و المحبّة و الفضيلة و الكرامة و هي الأهداف الأكبر لبعثة رسولنا الأكرم (ص). هؤلاء أيضاً هم من «**الذين جعلوا القرآن عضين**».[١] و هذا أيضاً من قبيل «**نؤمن ببعض و نكفر ببعض**».[٢] اختزال الإسلام إلى جملات سياسية براقة و ناصعة، و الغفلة عن خشوع القلوب و عن ذكر الله و النقاء و المعنوية و الركوع أمام الله و الطلب من الله و عشق الله و البكاء مقابل عظمة الخالق و طلب الرحمة من الله و الصبر و الحلم و السخاء و الجود و الصفح و التسامح و الأخوّة و الرحمة، و الالتصاق بالسياسة فقط باسم الإسلام.. هذا أيضاً انحراف يشبه ذاك الانحراف، و لا فرق بينهما.

حاجة الأمة الإسلامية للحكومة الإسلامية الحقيقية

«**يزكيهم و يعلمهم الكتاب و الحكمة**»..[٣] هنا توجد تزكية و تعليم. مجال التربية في الدين هو قلوبنا أنا و أنتم، و أيضاً عقولنا أنا و أنتم، و جوارحنا و أيدينا و أرجلنا أنا و أنتم. «**يا أيها النبي جاهد الكفار و المنافقين وأغلظ عليهم**»،[٤] لا بدّ من الأيدي و القوة مقابل الأعداء و المهاجمين و الذين يريدون الحؤول دون انتشار أنوار

١. سورة الحجر، الآية ٩١ .
٢. سورة النساء، الآية ١٥٠ .
٣. سورة الجمعة، الآية ٢ .
٤. سورة التحريم، الآية ٩ .

المعنوية و الوحي. «**و أنزلنا الحديد فيه بأس شديد و منافع للناس**».[1] لا بدّ للمهاجمين من أن يواجهوا يداً فولاذية و قبضة حديدية و إرادة لا تتزعزع و لا تتحلحل. هذا هو علاج آلام الأمة الإسلامية اليوم.

الأمة الإسلامية في الوقت الراهن بحاجة للحكومة الإسلامية بالمعنى الحقيقي للكلمة. الحكومة الإسلامية تعني الحكومة التي يهمّها أمر قلوب الناس و الشعوب، و كذلك عقولهم و علومهم و تقدّمهم العلمي، و أيديهم و جوارحهم و قدراتهم، و كذلك إدارة شؤونهم إدارة سياسية صحيحة. هذا هو ما تحتاجه الأمة الإسلامية اليوم.

جذور انحطاط الأمة الإسلامية و عوامله

منذ أن فصلت الأمة الإسلامية بين الدين و نظام الحكم و فصلت الأخلاق عن إدارة المجتمع، تعرضت لصنوف من الخلل. يوم رفع ملوك أطلقوا على أنفسهم أسم الخلفاء – في بغداد و الشام و هنا و هناك من العالم الإسلامي – راية الإسلام، و انشغلوا تحت هذه الراية بأهوائهم النفسية و شهواتهم و أغراضهم و تكبّرهم و غرورهم السلطوي، و جمعهم للثروات و خزائنهم، تمهّدت الأرضية لانحطاط العالم الإسلامي. مع أن حركة النبي الأكرم (ص) و أصحابه الأجلاء المجاهدين المقاتلين كانت تنشر الإسلام بسرعة كبيرة – و كان هذا الإنجاز العظيم الذي قام به الرسول الأكرم قد أهدى الازدهار للمسيرة السياسية و العلمية للإسلام التي استمرت إلى القرون الرابع و الخامس للهجرة – إلا أنه كان في الوقت نفسه أشخاصٌ في البلاطات و العوائل الحاكمة ينثرون بذور الضعف و الانحطاط و الفساد و النفاق. و كانت تلك البذور هي التي نمت و فرضت الانحطاط على الأمة الإسلامية، و ها نحن نشعر اليوم بنتائج ذلك بجلودنا و لحمنا و دمنا و عظامنا بعد عدة قرون. نحن الشعوب الإسلامية الذين تعرضنا في القرن التاسع عشر و القرن العشرين الميلادي للاستعمار و هيمنة الأعداء تأخرنا عن قافلة العلم، و ازداد أعداؤنا قوة و ازددنا نحن ضعفاً – و قد امتصّوا دماءنا و ازدادوا بها قوة، و فقدنا نحن دماءنا و ازددنا ضعفاً – و وصل الأمر إلى درجة أن

---

١. سورة الحديد، الآية ٢٥ .

وقع مصير الأمة الإسلامية و مصير الشعوب المسلمة، في منطقة الشرق الأوسط خصوصاً، بيد حكام ظلمة غير منصفين، و سيطرت بريطانيا في فترة و من بعد ذلك حوّلت بريطانيا تراثها للشيطان الكبير المعاصر أي نظام الولايات المتحدة الأمريكية. على كل حال استغلوا ضعف العالم الإسلامي.

رحمة الله على إمامنا الخميني الجليل الذي أيقظ شعبنا و أنزل طاقاته و قدراته إلى الساحة. نحن أيضاً كنا ننسحق تحت الأرجل و الأقدام. في مدينة طهران هذه كانت تمارس أنكر المنكرات و لا أحد يعترض. جاء لمدينة طهران هذه أعدى أعداء الإسلام و تصرفوا و كأنهم في بيوتهم و عاشوا بمنتهى الأمن! نهبوا أموال هذا البلد و نهبوا نفطه و حالوا دون تقدمه و فرضوا مخططاتهم الخيانية الظالمة على هذا الشعب، و كان مدراء البلاد أي محمد رضا شاه و من حوله يقفون منحنين أمامهم يلبّون كل مطاليبهم و يجدّون في خدمتهم. طبعاً كانت هناك في ظاهر الأمر بعض الأبّهة و الفخفخة، لكن الأمور لم تكن في أيديهم. في مدينة طهران هذه، كان بلاط إيران يسأل سفير أمريكا و سفير بريطانيا حول أهم قضايا البلاد: هل أفعل هذا و هل أترك ذاك. و هذه الأمور موثقة و موجودة حالياً. و للأسف فإن هذا الوضع لا يزال قائماً اليوم في الكثير من البلدان الإسلامية. هذا الشعب القدير و الواعي و ذو السوابق التاريخية العظيمة.. هذا الشعب الذي راح اليوم يعبّر عن مواهبه و قدراته في ميادين العلم و الجهاد و التقنية و السياسة، كان ينسحق تحت الأقدام.

أنزل الإمام الخميني الشعب إلى الساحة، و وثق به، و عبّر الشعب عن نفسه و أثبت قدراته. حينما وثق الإمام الخميني بالشعب وثق الشعب به. هذا البلد الذي كان أمل الكفر تحوّل إلى رافع لواء الإسلام المحمدى الأصيل، و سوف يتقدم إن شاء الله باستمرار على هذا الصراط. الذين يتصوّروا أنه بتقادم العهد على بداية الثورة و برحيل إمامنا الخميني الجليل سوف يبتعد الشعب عن القيم و المبادئ كانوا على خطأ و تلاحظون أنهم أخطأوا. إننا معتصمون بهذه القيم و نعتبرها سبباً لعزتنا الوطنية، و نعتقد أنها تؤدي إلى نمو مواهب شعبنا و قابلياته. سوف نستطيع بفضل الإسلام و بحول الله

و قوته و بسرعة أكبر من السرعة المألوفة و العادية أن نرتقي قمم العلم و نفتحها. سوف نتغلب على الضعف الذي فرض علينا سنين طوالاً و سوف نقوّي أنفسنا و نزداد قوة و عزة. و من الواضح أن لا يرضى الاستكبار عن هذا. و من الأكيد أن يحاول العتاة بضجيجهم و غوغائهم و إعلامهم و دعاياتهم و عملهم السياسي و ضغوطهم الاقتصادية أن يمنعوا استمرار هذه المسيرة، لكنهم لن يستطيعوا. فنحن واقفون صامدون. هذا الشعب واقف صامد و الشعوب المسلمة قد استيقظت. قلوب الشعوب المسلمة اليوم مليئة بمقت الصهاينة و كره أمريكا. البلدان الإسلامية و شبابها حالياً في كل منطقة الشرق الأوسط و شمال أفريقيا و آسيا متشوّقون لانبثاق هويتهم الإسلامية. هذا هو الشيء الذي نما و تصاعد لدى الشعوب.[١]

١. من كلمته في لقائه مدراء الدولة و سفراء البلدان الإسلامية و ضيوف مؤتمر الوحدة الإسلامية بمناسبة ولادة الرسول الأعظم (ص) بتاريخ ٢٠٠٦/٠٨/٢٢ م.

حاجة البشرية الدائمة لرسول الرحمة (ص) و رسالته الإلهية

إحياء هذه الأيام هو من إجل أن نتذكر عظمة مولود هذا اليوم. و الفهم و الإدراك البشريّان أصغر حقاً من يستطيعا استيعاب تلك الحقيقة الهائلة و الروح السامية استيعاباً صحيحاً. ما يجري على ألسنة أمثالنا يتعلق بالجوانب الظاهرية للقضية:

فاق النبيين في خَلق و في خُلق

و لم يدانوه في علم و لا كرم

و كلهم من رسول الله ملتمس

غرفاً من البحر أو رشفاً من الديم[1]

هذه هي الأمور التي يستطيع العقل و الإدراك البشريان أن يشاهداها من بعيد في وجود النبي الأعظم (ص)، فيغرق من يدركها في بركات أحكامه و قوانينه و كلماته.

إننا اليوم كمسلمين و كبشر بحاجة إلى الرسول الأكرم (ص). نحن بحاجته إليه حتى من باب كوننا بشراً. فالرسول الأكرم كان رحمة للعالمين، و لم يكن رحمة للمسلمين فقط. البشرية كلها مدينة لبركات الرسول الأعظم و رحمته. ما منحه هذا الإنسان العظيم للبشرية كرسالة إلهية – و القرآن الكريم يجمع كل كلياتها و قضاياها العامة – موجود اليوم بين أيدينا و نستطيع الانتهال و الاستفادة منه.

فتح الرسول الأكرم (ص) سبيل النجاة أمام البشرية، و فتح أمامها طريق الصلاح. و شجّع الإنسانية على السير في درب يمكن للسير فيه أن يعالج مشكلات الإنسانية، و يداوي جراحها و أوجاعها. للبشرية آلام قديمة مزمنة لا تختص بزمن دون زمن. البشرية بحاجة للعدالة و بحاجة للهداية و بحاجة للأخلاق الإنسانية العليا، و تحتاج لمن يأخذ بيدها و يهديها. العقل البشري يحتاج لمعونة المبعوثين الإلهيين. و قد فتح الرسول الأكرم (ص) هذا الدرب أمام الإنسانية بكل سعة الهداية الإلهية و إمكانياتها. ما أدّى و سيؤدّي في المستقبل أيضاً إلى أن يتمتع البشر بهذه الهداية و المعونة الإلهية أمر يتعلق بالبشر أنفسهم، و يتعلق بجهلنا نحن، و بقصورنا و كسلنا و تقاعسنا و أهوائنا و أنانياتنا. لو فتح البشر أعينهم و استخدموا عقولهم و عقدوا هممهم و ساروا و قاموا و

---

١. المصباح للكفعمي، ص ٧٣١ .

تحركوا فإن الطريق مفتوح من أجل علاج كل هذه المشكلات و الآلآم القديمة و الجراح المزمنة التي يعانون منها.

ثمة في مقابل هذه الدعوة دعوة الشيطان الذي يعبّئ جنوده و أنصاره و تلامذته مقابل الأنبياء، فيقف البشر على مفترق طريقين و يجب عليهم اختيار واحد منهما.

صحوة المسلمين الراهنة و الانفتاح على المعارف الإسلامية

الأمة الإسلامية اليوم و في كل الأقطار الإسلامية لها نظرة جديدة للشريعة و الديانة الإسلامية. بعد حالات الغفلة الطويلة و بعد الابتعاد عن زلال الحقائق الإسلامية خلال العصور المتعاقبة و القرون المتوالية، فتحت البشرية عينها اليوم و فتح العالم الإسلامي و الأمة الإسلامية عينها اليوم على الأحكام و المعارف الإسلامية، فقد أثبتت الفلسفات البشرية المصطنعة ضعفها و عجزها على مسرح الحياة. بوسع العالم الإسلامي في الوقت الحاضر و عبر تمسكه بالشريعة و المعارف الإسلامية أن يتقدم البشرية و يكون رائدها نحو السموّ و الكمال. العالم اليوم جاهز لتحرّك الأمة الإسلامية. التقدم العلمي الذي أصابته البشرية — و قد تمّشت الأخلاق و المعنوية و الروح الدينية غالباً — و العلوم البشرية و نظرة الإنسان الجديدة لحقائق الطبيعة و العالم يمكنها أن تمثل رصيداً و عاملاً مساعداً لحركة الأمة الإسلامية. المعارف الإسلامية بين يدي العالم الإسلامي و في متناول يديه. سيرة الرسول و كلامه و فوق كل ذلك «القرآن الكريم» موجود لدى العالم الإسلامي و بوسع المسلمين أن يتحركوا.[1]

---

١. من كلمته في لقائه مدراء الجمهورية الإسلامية الإيرانية بتاريخ ٢٠٠٧/٠٤/٠٦ م.

حاجة البشرية لرسالة البعثة، و ثلاثة معالم مهمة للدعوة الإسلامية: العلم و الحكمة، و التزكية و الأخلاق، و العدالة و الإنصاف

بعثة الرسوم الخاتم (صلى الله عليه و آله و سلم) كانت بمثابة فتح الباب أمام كل واحد من أبناء البشر لإنقاذهم من الآلآم المزمنة القديمة التي عانت منها المجتمعات البشرية. البعض استجابوا لهذا النداء و انتهلوا من معينه و أحرزوا فوائده، و البعض تخلفوا و أصابهم ضرر ذلك.

و نعتقد أن البشرية اليوم أيضاً في أمسّ الحاجة لرسالة البعثة و اتباع تعاليم الأنبياء الإلهيين العظام، المجتمعة على أكمل وجه في تعاليم الإسلام و القرآن الكريم. و على رأس المعالم و الخطط في الدعوة الإسلامية ثلاثة أمور أهم من غيرها صرّحت بها الآيات القرآنية الكريمة، و هي: العلم و الحكمة، و التزكية و الأخلاق، و العدالة و الإنصاف.

لو نظرنا بدقة و بصورة صحيحة لوجدنا البشرية اليوم أيضاً بحاجة لهذه الأشياء الثلاثة. لقد تطور العلم البشري في الوقت الراهن تطوراً كبيراً، و لكن تطوره كان في بُعد واحد. تطورت العلوم المادية و الطبيعية – العلوم ذات الصلة بالحياة المادية – بين أبناء البشر، لكن الإنسانية لا تزال على صعيد العلوم المعنوية – الأمور التي تنوّر عقول البشر في ما يتعلق بأصل الخلقة و التوحيد الإلهي و تهدي قلوبهم نحو الاتجاه الذي خلقوا من أجله – بحاجة للتعلم و التطور. دعوة الإسلام إلى العلم دعوة شاملة. و قضية الأخلاق و التزكية المعنوية و الروحية أهمّ اليوم حتى من العلم. معضلات البشرية و ويلاتها ناجمة عن الابتعاد عن التزكية الأخلاقية.

الواجب الخطير للنخبة و المسؤولين في البلدان الإسلامية

المعنيّون بهذا الكلام هم بالدرجة الأولى النخبة من الشعوب و المسؤولون عن شؤون البلدان و المجتمعات. إذا كانت ثمة أخلاق و معنوية و تزكية في الرأس و القمّة من المجتمعات البشرية – و هم النخبة السياسيون و العلميون و الثقافيون – فسوف تهبط مياه هذا الينبوع الفيّاض على السفوح و يتمتع عموم الناس أيضاً بالأخلاق الحسنة. مسؤولو البلدان الإسلامية هم المعنيون قبل غيرهم بهذا النداء و الكلام. المعضلات و الأوجاع الرئيسية للإنسانية هي حبّ الدنيا و حب الشهوات و الانجراف وراء النزوات و الميول الحيوانية، و الصداقات و العداوات ذات الأصل الحيواني المادي، و تأجيج

الحروب لأسباب حبّ السلطة و الرغبة في التوسّع و نشر السلطة المادية، و حالات انعدام الأمن الناجمة عن الخبث و الرذائل السياسية لدى السياسيين و المسؤولين في البلدان المختلفة.

التزكية الأخلاقية عملية ضرورية لأي بلد من البلدان. عطف الناس على بعضهم و إنصافهم لبعضهم و مراعاة حال الآخرين في التخطيط للحياة، و الرحمة و المروءة بين الناس، أشياء تبث الهدوء و الطمأنينة في حياة البشر. حين نلاحظ أن العالم اليوم يحترق بنيران انعدام الأمن أكثر من الماضي — انعدام الأمن اليوم أكبر بلاء يعاني منه البشر، أو هو على الأقل من أكبر البلايا التي يعانيها البشر حالياً، فالناس لا أمن لهم داخل عوائلهم و في بيئة حياتهم الاجتماعية، و في بلدانهم و أوطانهم — فانعدام الأمن هذا ناجم عن سوء السياسات و التعطش للسلطة و انعدام الأخلاق و بعد الناس عن التزكية. و قد دعانا الإسلام للتزكية، و هذا جانب مهم جداً من التعاليم الإسلامية. «**يتلو عليكم آياتنا و يزكّيكم و يعلمكم الكتاب و الحكمة**».[١]

و العدالة و إفشاء العدالة و تكريسها هو ما أمر به كل الأنبياء الإلهيين، و قد قال عزّ و جلّ إن إرسال الرسل و إنزال الكتب السماوية و كل جهود الأنبياء و أنصارهم هو «**ليقوم الناس بالقسط**».[٢] أي لأجل أن يعيش الناس حياة فيها قسط و عدل.

الشخصية الفذة لنبي الإسلام الكريم (صلى الله عليه و آله و سلم) هي القطب الأصلي و المحور الرئيسي لاتحاد كل الطوائف الإسلامية. قلوب الجميع مفعمة بحبّ الرسول الأكرم (ص). كل واحد من أبناء الأمة الإسلامية يعشق هذا العبد المختار من عباد الله و هذا الإنسان الراقي على مرّ التاريخ. فليجعلوا هذا الحبّ وسيلة و محوراً لاتحاد الأمة الإسلامية، و ليقرّبوا مكوّنات الأمة الإسلامية من بعضها.[٣]

---

١. سورة البقرة، الآية ١٥١ .

٢. سورة الحديد، الآية ٢٥ .

٣. من كلمته في لقائه مدراء الدولة و مختلف شرائح الشعب بمناسبة يوم المبعث النبوي الشريف، بتاريخ ٢٠٠٧/٠٨/١١ م.

استذكار البعثة مراجعة لدرس خالد للأمة الإسلامية و كل البشرية

استذكار البعثة لا يعني مجرد استذكار حدث تاريخي – هذا ما ينبغي أن لا نغفل عنه أبداً عند تعاملنا مع هذا الحدث الكبير و هذه الذكرى البشرية و الإنسانية العزيزة – إنما التركيز على هذه الذكرى العظيمة هو في الحقيقة تكرار و مراجعة لدرس لا ينسى موجّه بالدرجة الأولى للأمة الإسلامية، سواء كل واحد من أبناء الأمة الإسلامية أو خواصها و نخبتها من سياسيين و علماء و مثقفين. و هو درس موجّه بالدرجة التالية لكل أبناء البشر. إنه تكرار درس و استلهام نموذج و تمرين و استذكار حدث فيه الكثير من الدروس و العبر.

أبعاد هذا الحدث متنوعة جداً. و الحق أنه لو أراد شخص التعبير ببيان بليغ – و لو على نحو الإجمال – عن جوانب البعثة لوجب عليه كتابة كتب و التحدّث ساعات طوالاً. و لكن حين ينظر المرء لهذا الحدث نظرة أولية يستفيد دروساً متعددة. لاحظوا أن الرسول الأكرم (ص) ظهر بهذه الرسالة التي جمعت كل احتياجات البشرية للكمال في مجتمع لم يكن فيه أيّ من تلك الكمالات و القيم الإيجابية.

كان الرسول الأكرم (ص) رسول العلم، و لم يكن في ذلك المجتمع علوم. و كان رسول العدل و لم يكن في ذلك المجتمع حتى رائحة العدل، و كان الأقوياء و العتاة و الرؤساء المتعسفون مسلطين على أرواح الناس و أموالهم. و كان رسول الأخلاق و التسامح و الصفح و الإنصاف و المحبة، و قد كان المجتمع آنذاك يعيش ظروف القحط بخصوص هذه الأحوال و المعاني، حيث كان مجتمعاً عنيفاً متعسفاً يتقبل العنف و يرضخ له، و بعيداً عن الأخلاق و المعنوية و عن العلوم و المعرفة، و منشدّاً للأهواء و النزوات النفسية و العصبيات الجاهلية و حالات التكبر و الغرور غير المسوّغة.

الأبعاد المتعددة و المتنوعة لبعثة الرسول الأكرم (ص)

في مثل هذه الأجواء المتحجّرة و العسيرة، و في مثل هذا الجدب الخالي من أي ماء أو زرع، نبتت هذه الغرسة و نمت طوال ثلاثة عشر عاماً في تلك الظروف الصعبة، و أفضت هذه الأعوام الثلاثة عشر إلى تشكيل نظام حكم و تأسيس مجتمع على أساس

العلـم و العـدل و التوحيـد و المعنويـة و الأخـلاق و الكرامـة. أبـدل الذلـة إلى عـزة، و الوحشية إلى أخوّة، و العصبية إلى تسامح و تعقل، و الجهل إلى علم. و أوجد أرضية و قاعدة متينة صلبة استطاع المسلمون على أساسها الرقيّ طوال قرون إلى قمة المدنية و الحضارة، و إيجاد قمم ذاتية غير مسبوقة في تاريخ البشرية.

بعثـــة الرســـول الأكـــــرم (ص) طليعـــة تـــاريخ إنساني جديد

و لم يستمر عمر هذه الحكومة لأكثر من عشرة أعوام. لاحظوا كم هي ثلاثة عشر عاماً بالإضافة إلى عشرة أعوام في عمر الشعوب. و كأنها لحظة واحدة، أو ساعة عابرة. خلال هذه المدة القصيرة انبثقت مثل هذه الحركة العظيمة التي يمكن القول عنها إنها قسّمت التاريخ إلى قسمين: قسم ما قبل الإسلام و قسم ما بعد الإسلام. و تقدّمت بالإنسانية، و رسّخت أركان الأخلاق، و تركت للإنسانية دروساً عصيّة على النسيان. انظروا لعظمة البعثة من هذه الزاوية.

العناصـر المـؤثرة و الضـــــــامنة لنجـــاح رســـول الإســـــلام (ص) فـــي ظـــروف الجاهليـــــــة و العصبية

ما ضمن هذه النجاحات عناصر كثيرة و متشابكة طبعاً. لكن العنصر المهم الأول الذي كان رمزاً للثبات و القوة و الامتلاء بالروح المعنوية و النقاء و الإخلاص و معرفة الخالق و التوكل عليه، هو الكيان المقدس للرسول الأكرم (ص) نفسه. كان الرسول الأعظم أعلم أهل مكة و أعقلهم قبل أن يبعث بالنبوة. كان أكرم و أشرف و أحسن الناس في تلك المنطقة أخلاقاً، حتى قبل أن يبعث نبياً مرسلاً.

و قد وقع هذا الإنسان الممتاز من بين أولئك الناس موقع اللطف الإلهي، و ألقيت هذه الأعباء و المهام على كاهله، لأن الله تعالى كان قد اختبره. الله سبحانه يعرف عبده و يعلم على عاتق من يُلقي هذا القول الثقيل. و صبر الرسول و صمد، و كان هذا الصمود و الاستقامة إلى جانب معرفة عميقة بالهدف الذي يسير نحوه و الطريق الذي يسير فيه، و هذا ما وفر الرصيد لكل حالات التقدم و النجاح و الازدهار التي حققها الرسول الأكرم (ص) في هذه المسيرة الجبّارة. نعم، الحق منتصر، و لكن بشروط. و شرط انتصار الحق هو الدفاع عن الحق. شرط انتصار الحق الصمود و

الثبات في طريق الحق.

في المرحلة الأولى للبعثة، و بعد مضي نحو ثلاثة أعوام أو أكثر – حيث كانت الدعوة سرية خفية – استطاع النبي (ص) أن يهدي إلى الإسلام ثلاثين أو أربعين شخصاً. و بعد ذلك جاء الأمر الإلهي: «**فاصدع بما تؤمر و أعرض عن المشركين إنا كفيناك المستهزئين**».[1] أي أعلن دعوتك و انزل إلى الساحة و ارفع الراية علناً. و نزل الرسول الأعظم (ص) إلى وسط الساحة و حدث ما حدث من الأمور التي سمعتم بها. ارتعد كبار قريش و صناديدها و عظماء المال و القوة في ذلك المجتمع. و كان أول ما قاموا به تجاه هذا التيار الجديد هو تطميع الرسول الأعظم (ص). جاءوا إلى سيدنا أبي طالب و قالوا له إن ابن أخيك إنْ كان يطلب الرئاسة أمّرناه علينا، و إن كان يريد الثروة أعطيناه منها ما يجعله أثرانا، و إن كان يريد أن يكون ملكاً اخترناه ملكاً علينا، و لكن قل له يكف عن هذه الأقوال التي يقولها. و كان سيدنا أبو طالب يخاف على حياة الرسول الأعظم (ص) و يخشى عليه من مؤامرات القوم، فجاء للرسول الأكرم (ص) و نقل له رسالة كبراء مكة، و ربما نصحه و أوصاه بأن يتنازل بعض الشيء، فلماذا الإصرار إلى هذه الدرجة، فهذا غير ضروري. لكن الرسول الأعظم قال: «**يا عمّ.. لو وضعوا الشمس في يميني و القمر في شمالي لأعرض عن هذا الأمر لا أفعله حتى أظهره الله أو يذهب بما فيه**».[2]

و في الرواية: «**ثمّ اغرورقت عيناه من الدمع**».. أخذ يبكي و نهض من مكانه. حين شاهد أبو طالب هذا الإيمان و هذا الصبر انقلب حاله و تغيّر و قال: «**يا ابن أخي اذهب و قل ما أحببت**».. اذهب و افعل ما شئت و تابع هدفك.. «**و الله لا أسلمنّك بشيء**». هذا الثبات يستجلب الثبات. هذه الاستقامة من الرسول الأعظم تعزز جذور الاستقامة لدى أبي طالب. هذا الالتزام بالهدف و عدم الخوف من الأعداء و عدم الطمع في ما في أيدي الأعداء، و عدم الانجراف للامتيازات التي يريد العدو أن

---

١. سورة الحجر، الآيتان ٩٤ و ٩٥ .

٢. تفسير القمي، ج ٢ ، ص ٢٢٨ .

يمنحها مقابل الإقلاع عن السير في هذا الدرب، يخلق الصمود و الثبات و يبث السكينة و الطمأنينة، و يوجد الثقه بالدرب و بالهدف و بالله الذي أمر بهذا الهدف. لم يكونوا أكثر من ثلاثين أو أربعين شخصاً. و ثبت هؤلاء الثلاثون أو الأربعون بوجه كل تلك الصعاب و ازداد عددهم يوماً بعد يوم. كانوا يرون في مكة ما يصنع المشركون بعمّار و بلال و سمية و ياسر و كيف يعذبونهم و يقتلونهم. كانوا يرون ذلك و مع ذلك يؤمنون. هكذا هو تقدّم الحق و انتشاره. الحق لا يتقدم فقط برفع رايته في ظروف الرخاء و الأمن، إنما يتقدم الحق حين يبدي صاحب الحق و السائر في طريق الحق الاستقامة و الثبات في درب الحق.

تقول الآية القرآنية الكريمة: «**محمد رسول الله و الذين معه أشدّاء على الكفار رحماء بينهم**».[١] أشداء على الكفار لا تعني أنهم في حالة حرب و قتال دائمي مع الكفار. الشدة هنا بمعنى القوة و الثبات و عدم التزعزع. المعدن قد يصدأ و يتآكل و يتهرّأ و قد يخور و يزول. إذا مضت القرون على المعدن يتعرض للصدأ و التهرّؤ و الفساد. و الأشداء معناها عدم التهرّؤ بل المتانة و الثبات. و الثبات قد يكون تارة في ساحة القتال حيث يبرز هناك بشكل من الأشكال، و تارة يبرز بشكل من الأشكال في ميدان الحوار مع الأعداء. لاحظوا كيف كان الرسول الأعظم يتحدث مع عدوّه حين ينبغي أن يتحدث. لم يكن هناك في خططه سوى الثبات و القوة، و لا يمكن مشاهدة حتى ذرة من الخلل و الخور فيه. في حرب الأحزاب دخل الرسول الأكرم (ص) في حوار مع الأطراف المقابلة له، و لكن أي حوار؟! اقرأوا التاريخ. إذا كان الظرف ظرف قتال كان ذلك بشدة، و إن كان حواراً كان حواراً بشدة، و إذا كان تعاملاً كان تعاملاً بشدة، أي بثبات و عدم تزلزل. هذا معنى أشداء على الكفار.

و معنى رحماء بينهم هو أن يكونوا في ما بينهم على العكس من وضعهم مع العدو. التعامل هنا مرن و ناعم و فيه كثير من المرونة، و لا مكان فيه لتلك الشدة و الصلابة. هنا ينبغي ودّ الآخرين و كسب ودّهم. هنا يجب التعامل مع البعض بالتعاطف و

---

١. سورة الفتح، الآية ٢٩ .

التسامح.

الصمود في أول البعثة يؤدّي إلى استقامة و صبر عجيبين طوال ثلاثة أعوام في شعب أبي طالب. و ليس هذا بالهزل. ثلاث سنين في وادٍ بجوار مكة من دون ماء و نبات و تحت الشمس المحرقة. عاش الرسول الأكرم (ص) و سيدنا أبو طالب، و سيدتنا خديجة الكبرى، و كل المسلمين و عوائلهم في ذلك المكان و هو شعب بين جبلين. و كان الطريق مسدوداً عليهم لئلا يصلهم طعام. أحياناً كان بوسعهم في أيام الموسم – التي كانت أياماً حرّة حسب التقاليد الجاهلية، أي كانت أياماً بلا حروب – أن يدخلوا المدينة، و لكن ما إن يريدوا شراء شيء من دكان، حتى يأتي غلمان و أبناء أبي جهل و أبي لهب و سائر كبراء مكة، و كان هؤلاء الكبراء قد أوصوهم بأن يسارعوا لشراء الأشياء التي يريد المسلمون شراءها بأسعار مضاعفة، فيشتروها بأسعار مضاعفة و لا يسمحون للمسلمين بشراء شيء. قضوا ثلاثة أعوام في مثل هذا الوضع الصعب. فهل هذا بالهزل اليسير؟

تلك الاستقامة الأولى و ذلك العمود المتين لهذه الخيمة و ذلك القلب المتوكّل على الله هو الذي أوجد مثل هذه الاستقامة في تلك الأجواء بحيث يستطيع كل واحد من المسلمين الصبر إلى هذه الدرجة. كان الأطفال يبكون من الجوع من الليل إلى الصباح، و كانت أصوات بكاء الأطفال تصل أسماع كفار قريش من شعب أبي طالب، و كان بعض ضعفائهم ترقّ قلوبهم للمسلمين، لكنهم لا يتجرّؤن على مساعدتهم خوفاً من الأقوياء. لكن المسلمين الذين شاهدوا أطفالهم أمام أعينهم يتضوّرون و يتمزّقون جوعاً – و كم ماتوا في شعب أبي طالب، و كم مرضوا، و كم جاعوا – لم يتزعزعوا و لم يلينوا. يقول الإمام علي بن أبي طالب (ع) لابنه العزيز محمد بن الحنفية: «**تزول الجبال و لا تزل**».[1] أي لا تتزلزل و لا تزل من مكانك حتى لو زالت الجبال من مكانها. و هذه هي نصيحة الرسول الأكرم (ص). و هذا هو سبيل نهضة الأمة

١. المستدرك، ج ١١ ، ص ٨٦ .

الإسلامية، و هذه هي بعثة الأمة الإسلامية. و هذا هو درس الرسول الكريم(ص) لنا. هذا ما تعلمنا البعثة إيّاه.

مجرد أن نقعد و نقول نزلت آية و جاء جبرائيل و بعث النبي بالرسالة و نفرح بأن هذا آمن و ذاك لم يؤمن، فهذا لا يحلّ مشكلة. القضية هي أننا يجب أن نستلهم الدروس من هذه الحادثة و هي أمّ كل الأحداث في حياة الرسول المباركة. كل هذه الأعوام الثلاثة و العشرين دروس و عبر.

ضرورة الدراسة الدقيقة لحياة الرسول الأكرم (ص) و فهم دروسها، و من دروسها البصيرة و الصبر

قلت ذات مرة لبعض الأصدقاء إنه ينبغي دراسة حياة الرسول الأكرم (ص) بالمليمترات. كل لحظة من هذه الحياة حدث و درس و تجليات إنسانية عظيمة. هكذا هي كل هذه الأعوام الثلاثة و العشرين. ليهبّ شبابنا و يقرأوا تاريخ حياة الرسول الأعظم (ص) من مصادرها الموثوقة، و يروا ما الذي حدث. إن كنتم ترون أن أمة بهذه العظمة قد ظهرت — حيث توجد اليوم أيضاً أفضل الآراء و أحسن السبل و أعظم الدروس و أشفى العلاجات للبشرية في منظومة الأمة الإسلامية — فقد ظهرت هكذا و انتشرت و تنامت و تجذرت هكذا. و إلّا مجرد أن يكون الحق معنا و نكون على الحق فإن ذلك لن يضمن لنا التقدم و النجاح، إنما لا بدّ من الحق المصحوب بالثبات و الاستقامة. يقول الإمام علي بن أبي طالب (ع) في حرب صفين، و قد نقلتُ قوله هذا مراراً: «**لا يحمل هذا العلم إلا أهل البصر و الصبر**».[١] الذين يمكنهم حمل هذه الراية هم الذين يتحلون أولاً بالبصيرة، فهم يفهمون القضية و الهدف، و ثانياً بالصبر. و الصبر معناه الاستقامة و التحمّل و الصمود و الثبات. هذا هو الدرس الذي يجب أن نتعلمه من البعثة.[٢]

---

١. نهج البلاغة، الخطبة رقم ١٧٣ .

٢. من كلمته في لقائه مدراء الدولة بمناسبة عيد المبعث النبوي الشريف، بتاريخ ٢٠٠٨/٠٧/٣٠ م.

معاني الأحداث التي اقترنت بولادة الرسول الأعظم (ص)

لم تكن ولادة الرسول الأعظم (ص) مجرد حدث تاريخي، بل كان حدثاً غيّر مسار البشرية. الظواهر التي يروي التاريخ أنها وقعت عند هذه الولادة الكبرى تعدّ إشارات بليغة لمعنى هذه الولادة و حقيقتها. يُروى أنه عند ولادة نبي الإسلام الكريم (صلى الله عليه و آله و سلم) اختلت علامات الكفر و الشرك في مختلف أنحاء العالم. النار في معبد النار في فارس و التي لم تكن قد انطفأت منذ ألف عام، انطفأت عند ولادة الرسول الكريم (ص). و انهارت الأوثان التي كانت في المعابد، و تحيّر الرهبان و الخدمة في المعابد الوثنية من هذا الحدث! كانت هذه ضربة رمزية من هذه الولادة للشرك و الكفر و النزعة المادية. من جهة أخرى تعرّض قصر الجبابرة المشركين في إيران لمثل هذه الأحداث و انهارت قمة قصر المدائن – أربع عشرة قمة – و كانت هذه أيضاً إشارة رمزية أخرى على أن هذه الولادة ستكون مقدمة و أرضية لمكافحة الطغيان و الطواغيت في العالم. ذاك عن الجانب المعنوي و الهداية القلبية و الفكرية للبشر، و هذا عن الجانب الاجتماعي و الهداية الاجتماعية و العملية للبشر. مكافحة الظلم و الطغيان و السيادة الجائرة للظالمين على الناس، هذه هي الإشارات الرمزية لولادة الرسول الأكرم (ص).

لأمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (عليه الصلاة و السلام) في نهج البلاغة العديد من العبارات في وصف الزمن الذي ظهر فيه الرسول الأكرم (ص) و طلعت شمسه الوضّاءة. و من ذلك قوله: «**و الدنيا كاسفة النور ظاهرة الغرور**».[1] لم يكن ثمة نور في بيئة الحياة البشرية، و كان الناس يعيشون في ظلمات.. ظلمات الجهل و ظلمات الطغيان و ظلمات الضلال، و طبعاً كان مظهر كل هذه الظلمات المكان الذي ولد فيه الرسول الأكرم (ص) ثم بُعث هناك، و هو شبه الجزيرة العربية. كل الظلمات و الضلالات كان لها نموذجها في مكة و في بيئة الحياة في الجزيرة العربية. الضلالات الفكرية و العقيدية و الشرك الذي يذل الإنسان و الأخلاق الاجتماعية العنيفة و انعدام الرحمة و قساوة القلب: «**و إذا بُشّر أحدهم بالأنثى ظلّ وجهه**

---

١. نهج البلاغة، الخطبة رقم ٨٨ .

مسوداً و هو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بُشّر به أ يمسكه على هون أم يدسّه في التراب ألا ساء ما يحكمون».[١] هذا نموذج من أخلاق الناس في زمن ولادة الرسول الأكرم (ص) و من ثم زمن بعثته بعد ذلك. «**و كان بعده هدى من الضلال و نوراً من العمى**».[٢] كانت الإنسانية عمياء فتفتحت أعينها. و كان العالم مظلماً فتنور بنور الرسول الأعظم (ص). هذا هو معنى تلك الولادة الكبرى و من ثم البعثة العظيمة. لسنا نحن المسلمين فقط مدينين للمنّة و النعمة الإلهية العظمى بسبب هذا الوجود المقدس، بل الإنسانية كلها مدينة لهذه النعمة.

صحيح أن هداية الرسول الأعظم (ص) طوال قرون من الزمان لم تستغرق لحد الآن البشرية كلها، لكن هذا السراج المنير و هذا المشعل الوضاء موجود و قائم بين البشر و يهدي الناس تدريجياً و على مدى الأعوام و القرون إلى معين النور. و حين ننظر في التاريخ بعد ولادته (ص) و بعثته نلاحظ مثل هذا التدبير. سارت الإنسانية نحو القيم و عرفت القيم و سينتشر هذا الأمر تدريجياً و يشتد يوماً بعد يوم، إلى أن يأتي إن شاء الله اليوم الذي يغمر فيه العالم كله «**ليظهره على الدين كله و لو كره المشركون**»،[٣] و تبدأ البشرية مسيرتها الحقيقية على جادة الهداية و الصراط الإلهي المستقيم، و سيكون هذا في الواقع بداية لحياة الإنسانية. يومئذ تتمّ حجّة الله على الناس و تضع الإنسانية أقدامها في هذا الطريق الكبير.

إننا اليوم كأمة إسلامية نقف حيال هذه النعمة الكبرى، و يجب أن ننتفع من هذه النعمة. يجب أن ننوّر قلوبنا و ديننا و أفكارنا و كذلك دنيانا و حياتنا و بيئتنا ببركة تعاليم هذا الدين المقدس. و لأنه نور و بصيرة بمقدورنا أن نقرّب أنفسنا منه و ننتفع من خيراته. هذا واجب عام علينا نحن المسلمين.

---

١. سورة النحل، الآيتان ٥٨ و ٥٩ .

٢. إقبال الأعمال، ج ١ ، ص ٢٩٥ .

٣. سورة التوبة، الآية ٣٣ .

الوحدة الإسلامية الواجب الأصلي و المهم على المسلمين

ما أشدّد عليه اليوم، و هو من الواجبات الكبرى و الأولى على المسلمين، هو قضية الاتحاد و الوحدة. لقد سمّينا هذا الأسبوع الذي ينتهي بالسابع عشر من شهر ربيع الأول منذ مطلع الثورة بأسبوع الوحدة، و السبب هو أن يوم الثاني عشر من ربيع الأول حسب رواية مشهورة بين إخواننا أهل السنة هو يوم ولادة الرسول الأكرم (ص)، و يوم السابع عشر من ربيع الأول حسب الرواية المشهورة بين الشيعة هو يوم ولادته (ص). و قد أطلق الشعب الإيراني و مسؤولو البلاد على الأيام الواقعة بين هذين اليومين منذ بداية الثورة اسم أسبوع الوحدة، و جعلوا ذلك رمزاً للاتحاد بين المسلمين. لكن الكلام لا يكفي، و التسمية لا تكفي، بل يجب أن نعمل و نسير صوب الوحدة. العالم الإسلامي اليوم بحاجة إلى الوحدة. و ثمة عوامل تفرقة يجب التغلب و الانتصار عليها.

كل الأهداف الكبرى بحاجة إلى كفاح و جهود. ما من هدف كبير يحصل من دون جهود و مكابدة. و الاتحاد بين المسلمين لا يتأتّى من دون مكابدة. واجبنا هو الكفاح من أجل اتحاد العالم الإسلامي. بوسع هذا الاتحاد حلّ الكثير من العقد، و بمقدوره إعزاز المجتمعات الإسلامية و الشعوب المسلمة. لاحظوا ما هو واقع البلدان الإسلامية، و انظروا ما هو حال المسلمين الذين يشكلون ربع نفوس العالم، و كيف أن تأثيرهم في سياسات العالم و حتى في قضاياهم الداخلية أضعف و أقل بكثير من تأثير القوى الأجنبية ذات النوايا السيئة. المسألة ليست أنهم قوى أجنبية فقط – و نحن نحذّر أنفسنا و مخاطبينا منهم – بل لأنهم إلى ذلك ذوو نوايا سيئة و محفزات سلطوية، و يريدون إذلال الشعوب المسلمة و تحطيمها و فرض الطاعة المحضة عليها.

العوامل الداخلية و الخارجية الناقضة لوحدة الأمة الإسلامية

ما هو السبيل من أجل أن تقف هذه البلدان البالغ عددها خمسين و نيفاً، و هذه الشعوب المسلمة مقابل هذه النوايا السيئة الواضحة الكبيرة المتغطرسة؟ هل من سبيل سوى الوحدة؟ يجب أن نتقارب من بعضنا. ثمة عاملان أساسيان عامان يقفان دون الوحدة، و يجب علاجهما.

أحد العاملين عامل داخلي يتمثل في عصبياتنا و الالتزاماتنا بمعتقداتنا، كل فئة

لنفسها. يجب التغلب على هذا. إيمان الجماعة بمبادئها و أصولها و معتقداتها شيء جيد جداً و محمود، و الإصرار عليها حسن أيضاً، لكن هذا يجب أن لا يتعدّى حدود الإثبات إلى حدود النفي و التعرّض و العدوان. الإخوة في منظومة الأمة الإسلامية يجب أن يحافظوا على احترام بعضهم، و لهم طبعاً أن يحافظوا على عقائدهم، و لكن ليحافظوا أيضاً على احترام الآخرين و حدود الآخرين و حقوق الآخرين و احترام أفكارهم و عقائدهم، و يتركوا النقاش و المجادلات للمجالس العلمية. ليجلس العلماء و أهل الفن و الاختصاص و يتناقشوا و يبحثوا في القضايا المذهبية، و لكن النقاشات العلمية و في الأروقة العلمية تختلف عن التراشق بالإساءات في العلن و على مستوى الرأي العام، و حين يكون المتلقين من الذين لا قدرة لهم على التحليل و البحث العلمي. يجب أن يحتوي العلماء و المسؤولون هذه الحالات السلبية. كل الفئات و الطوائف المسلمة تتحمّل مسؤوليات في هذا الشأن. على الشيعة واجباتهم و على السنة واجبات. يجب أن يسيروا صوب الاتحاد. كان هذا أحد العاملين و هو العامل الداخلي.

و العامل الخارجي هو اليد المغرضة العاملة على التفرقة لأعداء الإسلام. يتحتم عدم الغفلة عن هذا الأمر. ليس اليوم و حسب، بل منذ أن شعرت القوى السياسية المهيمنة في العالم أن بمقدورها التأثير على الشعوب ظهرت هذه اليد العاملة على التفرقة، و هي تعمل اليوم بأشدّ ما يمكن. و تساعدها وسائل التواصل الجماعي، و الوسائل الإعلامية الحديثة العصرية. إنهم يؤجّجون النيران و يشعلونها و ينحتون الشعارات من أجل التفرقة. يجب التحلي بالوعي و اليقظة. و للأسف فإن البعض من داخل الشعوب و البلدان المسلمة يتحولون إلى وسائل لتنفيذ أولئك الأعداء الأصليين أغراضهم.

إنها لعبرةعظيمة جداً.. لاحظوا قبل عامين حين انتصر شباب المقاومة اللبنانية و حزب الله لبنان على إسرائيل، و أذلوا الكيان الصهيوني بتلك الطريقة، و كان ذلك انتصاراً و ازدهاراً للمسلمين في العالم الإسلامي، بادرت أيدي التفرقة من فورها إلى طرح قضايا الشيعة و السنة، و تشديد العصبيات الطائفية و المذهبية، سواء في لبنان

نفسه أو في منطقة الشرق الأوسط، أو في كل العالم الإسلامي. و كأن قضية الشيعة و السنة بنت يومها و جديدة الظهور! كل ذلك من أجل إبعاد أبناء الأمة الإسلامية عن بعضهم بعد تحقيقهم ذلك الانتصار الكبير الذي عمل على تقريب قلوبهم من بعضها. كان هذا قبل عامين.

و قبل شهرين من الآن وقع انتصار آخر للأمة الإسلامية هو انتصار المقاومة الفلسطينية على العدو الصهيوني في غزة، و كان انتصاراً كبيراً و متألقاً. أيُّ انتصار أكبرُ من أن يحاول جيش مجهز مدجّج بالسلاح – استطاع في يوم من الأيام هزيمة ثلاثة جيوش كبيرة لثلاثة بلدان في سنوات ٦٧ و ٧٣ للميلاد – لمدة إثنين و عشرين يوماً و لا يستطيع فرض التراجع و الهزيمة على هؤلاء المجاهدين المؤمنين في غزة؟ و يعود مخفقاً خالي الوفاض، فضلاً عن ذهاب سمعة الكيان الصهيوني و حماته و على رأسهم أمريكا أدراج الرياح، و إراقة ماء وجههم على التراب. كان هذا انتصاراً كبيراً للمسلمين أدى إلى تقارب قلوبهم و تعاطفهم. هنا لم يكن بوسعهم طرح قضية الشيعة و السنة. لكنهم عمدوا إلى طرح قضايا القومية، و قضية العرب و غير العرب، و مشكلة أن قضية فلسطين تختص بالعرب و الإصرار على أنها قضية خاصة بالعرب، لكي لا يحق لغير العرب التدخل في قضية فلسطين! لماذا؟ قضية فلسطين قضية إسلامية، و ليس فيها عرب و عجم.

في قضايا العالم الإسلامي إذا طرحت المسألة القومية لكانت أكبر عامل تفرقة. حين يطرحون مسألة القوميات في قضايا العالم الإسلامي و يفصلون بين العربي و الفارسي و التركي و الكردي و الأندونيسي و الماليزي و الباكستاني و الهندي، فماذا يبقى بعدها؟ أليس هذا بيعاً للأمة الإسلامية و طاقاتها و قدراتها في المزاد؟

هذه حيل الاستكبار و للأسف يوجد في العالم الإسلامي من يقع أسيراً لهذه الحيل. لا يريدون بقاء حلاوة الانتصار في قضية لبنان و في قضية غزة متفاعلاً في نفوس المسلمين. يثيرون على الفور عامل نزاع و تفرقة و يختلقونه من أجل فصل ناس عن ناس.

واجبات الساسة و النخبة و المثقفين في العالم الإسلامي لمواجهة حيل الاستكبار

يجب أن تكون الأمة الإسلامية يقظة، و تقف مقابل المستكبرين. و الواجب الأول يقع على عاتق الساسة و المسؤولين. على المدراء و الساسة في العالم الإسلامي أن يتحلوا باليقظة و الوعي. قد تصدر هذه الصرخة من حناجر بعض الساسة الأصدقاء، لكننا لا نقع في الخطأ. إننا لن نخطئ في تشخيص العامل الأصلي. قد يصدر شيء من حناجرهم لكنه ليس لهم، فالصرخة صرخة الآخرين. إنها صرخة القوى الاستكبارية في العالم. هم الذين يعارضون وحدة الأمة الإسلامية. و حتى لو خرجت هذه الصرخة من حناجر أشخاص داخل الأمة الإسلامية فهم مخدوعون. و هذا الصوت ليس صوتهم. إنما هو صوت أولئك، و نحن نعرف حقيقة هذا الصوت. الساسة و المسؤولون بالدرجة الأولى و أيضاً في درجة متقدمة جداً المثقفون و من يتعاملون مع عقول الناس و قلوبهم، و علماء الدين و المستنيرون و الكتاب و الصحافيون و الشعراء و الأدباء و علماء العالم الإسلامي، يتحمّلون على عواتقهم هذا الواجب الكبير و هو فضح الأصابع التي تحاول الإخلال بهذه الوحدة و سلب المسلمين هذا الحبل الإلهي المتين.

يقول لنا القرآن الكريم صراحة: «**و اعتصموا بحبل الله جميعاً**». يمكن الاعتصام بحبل الله كل فرد على حدة و بشكل متفرق، لكن القرآن الكريم يقول لنا: «**و اعتصموا بحبل الله جميعاً**». أي كونوا معاً و سوية. «**و لا تفرقوا**»،[1] لا تتفرقوا و لا تبتعدوا عن بعضكم حتى في الاعتصام بحبل الله، فما بالك إذا أراد البعض الاعتصام بحبل الله و أراد آخرون الاعتصام بحبل الشيطان. حتى الاعتصام بحبل الله إذا أراد الجميع الاعتصام به فليكن ذلك سوية و **جميعاً** و بدون تفرقة و تشتت، بل بتعاطف و وئام و اتحاد. هذه هي قضية العالم الإسلامي الكبرى.[2]

---

١. سورة آل عمران، الآية ١٠٣ .

٢. من كلمته في لقائه المسؤولين و المدراء في البلاد بمناسبة ذكرى ولادة الرسول الأعظم (ص) و الإمام جعفر الصادق (ع)، بتاريخ ٢٠٠٩/٠٣/١٥ م.

أبعاد التربية العقلانية و الأخلاقية و القانونية في بعثة الرسول الأكرم (ص)

قضية بعثة النبي الأكرم (ص) التي ذكرت ألسنتنا القاصرة و أذهاننا الضعيفة حولها الكثير من الأمور و الملاحظات – و قد ذكر الجميع حولها ما تيسّر لهم – هي في الواقع ساحة هائلة لن يمكن في القريب العاجل التعبير عن أبعادها كحدث كبير. كلما مرّ الزمان و تقدمت العصور و أدرك الإنسان بفضل تراكم تجاربه نواقص حياته و الأضرار و الآفات التي يعاني منها، كلما تجلت الأبعاد المتنوعة لبعثة نبي الإسلام الكريم (ص) أكثر فأكثر. هذه البعثة في الحقيقة دعوة للناس إلى ساحة التربية العقلانية و التربية الأخلاقية و التربية القانونية. هذه أمور تحتاجها حياة الإنسان الهادئة السائرة نحو التكامل.

١ – التربية العقلانية

هناك التربية العقلانية بالدرجة الأولى، و هي استخراج طاقات و قدرات العقل البشري، و تحكيمها على أفكار الإنسان و أعماله، و منح الإنسان مشعل العقل البشري ليشخّص الدرب بأنوار هذا المشعل، و يكون قادراً على السير في هذا الدرب. هذه هي المسألة الأولى و الأهم. و فضلاً عن أن القضية العقلانية مطروحة بدرجة أولى في بعثة الرسول الأكرم (ص) تطرح فيها كذلك مسألة المعرفة و العلم. مهما نظرتم في القرآن الكريم من أوله إلى آخره، و في تعاليم الرسول الكريم خارج نطاق القرآن، لوجدتم هناك تركيزاً على العقل و التعقل و التأمل و التدبر و التفكر و ما إلى ذلك من تعابير. بل إن القرآن الكريم يقول عن لسان المجرمين في يوم القيامة: «**لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا من أصحاب السعير**».[١] السبب في دخولنا نار جهنم هو أننا لم نراجع عقلنا و لم نستشره و لم نصغ له و لم ننشدّ إليه، و اليوم حيث قامت القيامة صار مصيرنا هذا المصير المرّ الأبدي.

تحتل الدعوة للعقل و التعقل موضعاً رئيسياً من الدرجة الأولى في سير كافة الأنبياء و حيواتهم، و خصوصاً في حياة الرسول الخاتم محمد (ص). و هذه النقطة طبعاً تبدو أقوى و أوضح و أنصع في الدين الإسلامي. لذلك يقول الإمام علي بن أبي طالب

---

١. سورة الملك، الآية ١٠ .

(عليه الصلاة و السلام) في سبب بعثة الأنبياء: «**ليستأدوهم ميثاق فطرته**»، و يستمر إلى أن يقول: «**و يثيروا لهم دفائن العقول**».[١] أي إن الأنبياء يريدون استخراج كنوز العقل للإنسان. إنها كنوز عقلية موجودة في داخلنا أنا و أنتم، و الإشكال في أمرنا هو أننا أشبه بشخص ينام على كنز و لا علم له به و لا ينتفع منه و يموت من الجوع. هكذا هو وضعنا. حين لا نراجع العقل و لا نحكّمه و لا نربّيه و لا نعطيه زمام النفس، فسيكون هذا هو وضعنا.

هذا كنز نمتلكه، لكننا لا ننتفع و لا نستفيد منه، و لهذا السبب نعاني من الجهل و أعراضه الكثار و مشكلات حياتية في الدنيا و الآخرة. و من هنا يقول الرسول الأكرم (صلى الله عليه و آله و سلم) في حديث له: «**إن العقل عقال من الجهل**»،[٢] و العقال هو الحبل الذي يربطونه بأرجل الحيوانات من إبل أو غيرها حتى لا تتحرك و يمكن السيطرة عليها. إنه رباط يمنع الإنسان من الحركة بجهل. ثم يقول: «**و النفس كمثل أخبث الدواب**»،[٣] نفس الإنسان مثلها مثل أسوء الحيوانات و أكثرها شروراً. هذه هي النفس.. «**فإن لم تعقل حارت**».. حين لا تربط هذه النفس و لا تضرب عليها الأزمّة و لا تكن أزمّتها في اليد فإنها ستتحيّر كالحيوان الوحشي الذي لا يدري إلى أين يذهب. هذه الحيرة تخلق للإنسان المشكلات في حياته الشخصية و الاجتماعية و للمجتمع الإنساني.. هذا هو العقل.

أول مهمة للرسول الأكرم (ص) هي إثارة العقل و تحفيزه و تفعيل قدراته. تقوية القدرة على التفكير في المجتمع. هذا هو حلّال المشكلات. عقل الإنسان هو الذي يقود الإنسان و يهديه إلى الدين. و عقله هو الذي يفرض عليه العبودية أمام الله. و عقله هو الذي ينهاه و يمنعه عن الأعمال السفيهة و جاهلة و التهالك على الدنيا. هذا هو العقل. لذا فالمهمة الأولى هي تعزيز طاقات العقل و التعقل في المجتمع. و هذا

---

١. نهج البلاغة، الخطبة رقم ١ .

٢. تحف العقول، ص ١٥ .

٣. تحف العقول، ص ١٥ .

هو واجبنا.

و نحن اليوم في المجتمع الإسلامي الذي أردنا له أن يكون نموذجاً للمجتمع الإسلامي الذي دعا إليه الرسول الأكرم (ص)، على الرغم من كل نقاط ضعفنا و نواقصنا و إشكالاتنا مقابل تلك العظمة الفذة التي كانت للرسول العظيم، سرنا و أردنا أن نحقق نموذجاً لذلك المجتمع. في هذا المجتمع أيضاً يجب أن يكون العقل معياراً و ملاكاً.

٢ – التربيـــــة الأخلاقية

النمط الثاني من التربية هو التربية الأخلاقية، حيث قال: «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**»،[١] بعث ليكمّل المكرمات و الفضائل الأخلاقية بين الناس. الأخلاق هو ذلك الهواء اللطيف الذي إن توفر في المجتمع البشري استطاع الناس بتنفسّه أن يعيشوا حياة سليمة. و إذا لم تتوفر الأخلاق و إذا ساد انعدام الأخلاق، و عمّت حالات الحرص و الأهواء النفسية و الجهل و طلب الدنيا و المقت الشخصي و الحسد و البخل و سوء الظن و عدم الثقة، فستكون الحياة عسيرة و ستضيق الآفاق و سيسلب الإنسان القدرة على التنفس السليم. لذلك ورد في القرآن الكريم في عدة مواضع تعبير «**يزكّيهم و يعلمهم الكتاب و الحكمة**»، و التزكية هي الرشد الأخلاقي، و هي سابقة على التعليم. و في هذه الرواية التي أوردناها عن الرسول الأكرم (ص) حول العقل، و بعد أن يبيّن ما هو العقل، يقول: و من العقل ينشأ الحلم، و من العلم ينشأ العلم. ليلتفت الإنسان إلى ترتيب هذه الأمور: العقل يوجد الحلم أولاً، و هو التحمّل و الأناة. و إذا توفرت حالة الحلم و الأناة تتوفر الأرضية لتحصيل العلم و زيادة المعلومات – فردياً و مجتمعياً – أي إن العلم يأتي في المرتبة التالية للحلم. و الحلم هو الأخلاق. و في الآيات القرآنية «**يزكّيهم و يعلمهم الكتاب و الحكمة**» تتقدم التزكية. هذه هي التربية الأخلاقية. و نحن اليوم بأمسّ الحاجة لهذه التربية الأخلاقية. نحن أي الشعب الإيراني و المجتمع الإسلامي في هذه الحدود الجغرافية، و كذلك في كل

---

١. بحار الأنوار، ج ٦٨ ، ص ٣٨٢ .

العالم الإسلامي و الأمة الإسلامية الكبرى و مجتمعات المسلمين. هذه هي حاجتنا الأولى.

٣ – التربيـــــة القانونية

و من بعد ذلك تأتي التربية القانونية و الانضباط القانوني. كان شخص الرسول الأكرم (ص) أول عامل بكل أحكام الإسلام. يُروى عن أم المؤمنين عائشة أنها سئلت عن أخلاق الرسول (ص) و سلوكه فقالت: «**كان خُلقه القرآن**».. أخلاقه و سلوكه و تصرفاته و حياته كانت تجسيداً للقرآن. أي لم يكن ثمة شيء يأمر به الرسول الأكرم (ص) و يكون هو نفسه غافلاً عنه. هذه كلها دروس لنا، هذه كلها دروس. لا أننا نروم مقارنة تلك العظمة بوضعنا التافه الصغير، فهو قمّة، و نحن نسير على السفح، لكننا نسير نحو القمة فهي المعيار و الملاك.

الرسول الأعظم (ص) كان نفسه عاملاً: «**آمن الرسول بما أنزل إليه من ربّه**»،[1] و المؤمنون تبع للرسول يقتدون به. الرسول عامل و الناس ينظرون لعمله فيترسّمون الخطى و الطريق. هذا هو دور الكبار و القادة و النخبة في المجتمع. يجب عدم الاكتفاء بالكلام.

ليس المبعث مجرد احتفال نحتفل به و نصفق و نأكل الحلويات و نوزعها و نفرح، ليس هذا هو المبعث. المبعث طور و مرحلة و عيد. و العيد هو المحطة الزمنية التي تنبّه الإنسان إلى حقيقة معينة. إنه عيد.. لننظر للمبعث و للرسول الأكرم (ص) و لتلك الجهود الهائلة العظيمة، ثم لننظر إلى ذلك التأثير العميق الهائل، ما الذي فعله هذا الرجل العظيم، عظيم العظماء هذا، خلال عشرة أعوام، و عشرة أعوام كاللحظة الواحدة في عمر الشعوب. هل يمكن مقارنة عشرة أعوام أخرى مع هذه الأعوام العشرة المباركة التي حكم فيها الرسول الأكرم (ص)؟! أية حركة اطلقها في تاريخ الإنسانية، و أي طوفان أطلقه، و أي ساحل أمان دلّ عليه الإنسانية وراء ذلك الطوفان، و كيف هدى إلى الدرب؟! عاش ثلاثة و ستين عاماً. و نحن الآن نريد و بأعمار طوال و بهذه

---

١. سورة البقرة، الآية ٢٨٥ .

التحركات الصبيانية أن نسير في ذلك الطريق بمقدار ما نستطيع. حين تحصل مثل تلك الحركة بكل ذلك الإخلاص و الجهاد و الهداية الربانية، فستكون النتيجة ما ترتب على عشرة أعوام من حكومة النبي (ص) و تلك العظمة التي انبثقت منها.[١]

حاجة الأمة الإسلامية الشديدة إلى إعادة إنتاج الحقائق الإسلامية

هذا اليوم يوم مبارك جداً على المسلمين. ففي اليوم الذي جاء فيه هذا الكيان المقدس إلى هذا العالم كان نوراً في صميم الظلمات المتراكمة، «**ظلمات بعضها فوق بعض**».[٢] يقول الإمام علي بن أبي طالب (عليه الصلاة و السلام) في شرحه لتلك الأيام و الأوضاع و الظلمة التي عاشتها البشرية إذ ذاك: «**و الدنيا كاسفة النور ظاهرة الغرور**».[٣] نور الإنسانية كان قد غاب عن قلوب الناس و المجتمعات في ذلك الحين، لا في بيئة الجزيرة العربية و حسب، بل حتى في قلب الامبراطوريات الكبرى و الحكومات المتحضرة ذلك الوقت، و أعني بها الدولة الإيرانية القديمة و الروم القديمة. كان الغرور و الأخطاء في فهم الحقيقة ظاهرة شائعة في كل مفاصل الحياة البشرية. لم يكن البشر يعرفون الطريق، و لا يعرفون الهدف. طبعاً كان ثمة مؤمنون يسيرون في الدرب الصواب. هذا لا يعني أن كل واحد من البشر في ذلك الأوان كان عاصياً و مذنباً، لكن الوضع العام للعالم هو على ما ذكرنا. الوجه العام للعالم هو وجه الظلام و الظلم و نسيان كل مؤشرات الإنسانية. في مثل ذلك الوضع سطع نور الرسول الأكرم (ص) بإرادة من الله الحق العزيز المتعال. هذا يوم لا ينسى في تاريخ البشر، و استذكاره لا يعني أننا نروم تجديد أثره في العالم. فسواء شئنا أم أبينا تركت هذه الحادثة و هذه الظاهرة العجيبة العظيمة أثرها في التاريخ البشري. إذا كان هناك للشرف الإنساني و الفضائل الأخلاقية و الخصال الحميدة ذكر و اسم فسبب ذلك هذا الوجود المبارك، و هذه البعثة التي أكملت كل البعثات و جمعت كل فضائل الأنبياء و الرسل (ع).

---

١. من كلمته في عيد المبعث النبوي الشريف، بتاريخ ٢٠٠٩/٠٧/٢٠ م.

٢. سورة النور، الآية ٤٠ .

٣. نهج البلاغة، الخطبة رقم ٨٩ .

نحن الأمة الإسلامية يجب أن نجعل هذا الحدث درساً لنا. قبل أن نعلم غيرنا يجب أن نعلم أنفسنا. الأمة الإسلامية اليوم أحوج ما تكون لإعادة إنتاج الحقائق الإسلامية و إعادة إنتاج تلك الأحوال العظيمة الهائلة. نحن الأمة الإسلامية اليوم بمنتهى الحاجة لمصباح هداية الرسول الأكرم (ص). الأمة الإسلامية من حيث حجم السكان منظومة كبيرة و مبرزة – فهناك مليار و نصف المليار من البشر يشكلون الأمة الإسلامية في العالم – و مناطق تواجد هذا الحجم الهائل من الناحية الجغرافية و من حيث الخصائص الطبيعية و من حيث مصادر الحياة من أكثر مناطق العالم حساسية و أهمية. و مع أنها لا يعوزها شيء من حيث المواهب الإنسانية و المصادر و المواهب الطبيعية، فإنها في الوقت الحاضر مجموعة تائهة و حائرة. و سبب حيرتها هو ما تلاحظونه. المشكلات العالمية الكبرى موجودة غالباً في هذه البلدان الإسلامية. الفقر موجود في الأمة الإسلامية، و هناك انعدام العدالة و التمييز، و التأخر العلمي و التقني و الانهزام الثقافي و البؤس الثقافي. أقوياء العالم يضيعون حقوق الأمة الإسلامية بكل سهولة و وضوح، و الأمة الإسلامية لا تستطيع الدفاع عن حقوقها.[١]

بعثة النبي الأكرم (ص) سبيل تأمين كل المطاليب الفطرية كالعدالة و السلام

عيد المبعث أكبر ذكرى تاريخية خالدة لأنه أوجد حقبة تاريخية حساسة للغاية، و عرض على الإنسانية طريقاً و مساراً إذا سار فيه أبناء الإنسانية فسيحققون كل مطاليبهم و تمنياتهم الفطرية و الطبيعية التاريخية. حين ننظر على مرّ التاريخ نجد أن البشرية أنّت و عانت من انعدام العدالة. بمعنى أن العدالة مطلب كبير لكل أبناء البشر على امتداد التاريخ. لو رفع اليوم شخص راية العدالة يكون في الواقع قد طرح مطلباً إنسانياً تاريخياً طويلاً طبيعياً فطرياً. الدين الإسلامي و حركة الإسلام و بعثة النبي الأكرم (ص) تنشد العدالة كمطلب يقف على رأس أهدافها و مطاليبها. و شأنها في ذلك شأن ما نادى به كل الأنبياء الآخرين.

المطلب الإنساني المهم الكبير الآخر هو الصلح و الأمن و السلام. البشر بحاجة

---

١. من كلمته بمناسبة ولادة الرسول الأعظم (ص) و الإمام جعفر الصادق (ع) بتاريخ ٢٠١٠/٠٣/٠٤ م.

للهدوء و المناخ الآمن الهادئ داخل أنفسهم و داخل عوائلهم و في مجتمعاتهم و على المستوى العالمي و الدولي، من أجل أن يعيشوا و ينمّوا أفكارهم و يتقدموا عملياً و يستقروا نفسياً. الهدوء و الأمن و السلم و الصلح من المطاليب الأساسية للإنسانية. الإسلام يحمل رسالة الأمن و الصلح و السلام. حين نقول تبعاً للقرآن الكريم و حسب تعاليمه إن الإسلام دين الفطرة، فهذا هو معنى قولنا. الدرب الذي يضعه الإسلام أمام البشرية هو درب الفطرة، و طريق تلبية الاحتياجات الفطرية للإنسان. كانت بعثة الرسول الأكرم (ص) من قبل رب العالمين بهذه الدقة و الأهمية، و قد وعدت و بشرت بفلاح الإنسانية، «**بشيراً و نذيراً**».[١] البشارة بالدرجة الأولى تبشير بهذه الحياة الهادئة المصحوبة بالعدالة المتناسبة و طبيعة البشر. و بالطبع، ثمة وراء هذا بشارةُ الثوابِ الإلهي ذات الصلة بالحياة الأبدية للإنسان. لذا كانت بعثة الرسول (ص) في الحقيقة بعثة للرحمة. بهذه البعثة شملت الرحمة الإلهية عباد الله، و انفتح هذا الطريق أمام البشر، و طرحت العدالة و الأمن و السلام. «**قد جاءكم من الله نور و كتاب مبين، يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام و يخرجهم من الظلمات إلى النور**».[٢] بهذه الدساتير و الأوامر و النواهي و التعاليم دلّ رسول الإسلام الأكرم (ص) البشر على سبل الأمن و السلام. و سبل السلام – سبل الأمن و الهدوء و الاستقرار و السكينة – تعود لكل البيئات المهمة للإنسان، من البيئات القلبية الداخلية للإنسان إلى بيئات المجتمع الخارجية و البيئة العائلية و بيئة العمل و الكسب و بيئة الحياة الجماعية، وصولاً إلى البيئة الدولية العالمية. هذا هو الشيء الذي ينشده الإسلام و يرنو إليه.

ما يستهدفه الإسلامُ كعدوّ هو تحديداً الأمور التي تتعارض مع الخطوط الأصلية لحياة البشر. الذين يعارضون العدالة و يناوئون الصلح و الأمن و الاستقرار، و الذين يخالفون نقاء الروح و صفاءها و سموّها، هؤلاء يقفون على الضد من الدعوة النبوية. لقد أوجب الله الجهاد على المسلمين من أجل العدالة. و هو فرض لا يختص بالإسلام،

---

١. سورة البقرة، الآية ١١٩ .

٢. سورة المائدة، الآيتان ١٥ و ١٦ .

فهناك جهاد في كل الأديان الإلهية. أعداء الدعوة هم الذين يعارضون هدوء الناس و استقرارهم و سكينتهم و راحة المجتمع و تعاليه، و يعادون مصالح البشر. هذه هي الأمور التي يستهدفها الإسلام و يريد القضاء عليها. منذ بدايات البعثة شخّص نبي الإسلام الكريم (ص) عبر آيات الوحي الإلهي نقاطاً واضحة جلية في هذا المضمار.

في سورة «إقرأ» هذه التي تعتبر آياتها الأولى حسب الظاهر أوّل ما نزل على الرسول الأكرم (ص) — و قد نزلت آياتها اللاحقة بعد فترة من ذلك لكنها أيضاً من آيات بدايات البعثة — يقول عزّ و جلّ: «**كلا لئن لم ينته لنسفعن بالناصية، ناصية كاذبة خاطئة، فليدع ناديه، سندع الزبانية**».[١] الذين يقفون بوجه دعوة الرحمة و العزة و الاستقرار و السكينة و الأمن، هدّدهم الله تعالى في أول سورة من القرآن الكريم.

أو في سورة «المدثر» المباركة و هي أيضاً من أوائل السور التي نزلت على الرسول الأكرم (ص)، نرى تشديداً ضدّ العنصر المعارض لحياة الناس: «**ذرني و من خلقت وحيداً، و جعلت له مالاً ممدوداً، و بنين شهوداً، و مهّدت له تمهيداً، ثم يطمع أن أزيد، كلا إنه كان لآياتنا عنيداً، سأرهقه صعوداً**».[٢] هذه إشارة إلى هذه الحركة العظيمة و معارضتها و من يناهضون الرسول الأكرم (ص) و يعارضون مصالح المجتمع الإنساني و يناوئون طريق الحق. إذن، فثمة في الإسلام كفاح و جهاد، بيد أن هذا الجهاد حرب على معارضي سكينة المجتمع الإنساني و استقراره، و أعداء العدالة و المتربّصين بالسعادة الإنسانية. من هنا حين نراجع القرآن الكريم و سيرة الرسول الأكرم (ص) نجد أنه منذ اليوم الأول لتأسيس الحكومة الإسلامية، كان ثمة أناس غير مسلمين يعيشون الأمن و الأمان في ظل الرسول الأكرم (ص). اليهود الذين كانوا في المدينة المنورة أبرم الرسول معهم معاهدات ليعيشوا حياة هانئة هادئة إلى جواره. لكنهم تآمروا ضده و عارضوه و خانوه و طعنوه من الخلف، لذلك جابههم الرسول. لو لم يكن يهود المدينة قد عارضوه و عادوه و خانوه لربما لم يكن الرسول ليتعرّض لهم أبداً. إذن، هذه

---

١. سورة العلق، الآيات ١٥ — ١٨ .

٢. سورة المدثر، الآيات ١١ — ١٧ .

الدعوة للإسلام دعوة معنوية، و هي دعوة مدعمة بالأدلة و البراهين.. دعوة بمعنى عرض الحياة المشرقة السعيدة على الإنسانية.

سمات الجاهلية الحديثة في العصر الراهن

يظهر معارضون في المقابل.. و الإسلام يقضي على هؤلاء المعارضين و يقيلهم من طريقه. لا يعمل الإسلام بطريقة منفعلة. إذا كان ثمة معارضون يناصبون العداء سعادة البشر و دعوة الحق، فإن الإسلام يكافح هؤلاء المعارضين و يصمد في وجوههم. قارنوا هذا بما قامت به القوى المعتدية على مرّ التاريخ، و تقوم به اليوم أيضاً. إنها تحارب من أجل تنمية سلطتها و هيمنتها و من أجل نشر الإجحاف و اللاعدالة.

انظروا اليوم و ستجدون القوى المهيمنة المستكبرة في العالم تصنع الأسلحة لتهديد البشرية و ليس لنشر العدالة، بل لنشر اللاعدالة، و ليس لتوفير الأمن للناس بل لسلب الناس أمنهم و ممن لا يستسلمون لهم. هذه هي الحالة و القضية في العالم اليوم.

و لهذا السبب نسمّي الجاهلية الموجودة في العالم اليوم بالجاهلية الحديثة. لم ينته عصر الجاهلية بعد، فالجاهلية معناها مواجهة الحق و مجابهة التوحيد و حقوق الإنسان و مناوءة السبيل الذي اختطه الله تعالى لسعادة الإنسانية. و هذه الجاهلية موجودة اليوم أيضاً و بشكل حديث و باستخدام العلوم و التقنيات المتطورة و الأسلحة النووية و مختلف أنواع السلاح من أجل ملء جيوب أصحاب الصناعات المخرّبة و المدمرة لحياة البشرية.

قصة التسلح و التكاليف العسكرية في العالم اليوم من القصص المحزنة. تنتج مصانع السلاح في العالم اليوم مختلف أنواع السلاح من أجل بيعها. يختلقون الحروب و يوقعون بين الناس و يضعون الحكومات في مقابل بعضها و يخلقون التهديدات و الأخطار في العالم من أجل تأمين أفكارهم الخبيثة و إشباع رغباتهم الدنيئة.

لذلك طالما بقيت القوى العظمى تحرّك القضايا العالمية فإن الحروب في العالم لن تنتهي. الحروب فيها منافع و مصالح لهم. إنها ليست حروباً في سبيل العدالة. يكذب الأمريكان و الآخرون حين يقولون إننا نحارب من أجل الأمن. لا، العكس تماماً هو

الصحيح. أين ما سجّلوا تواجداً عسكرياً و تحركات عسكرية أدّى ذلك إلى انعدام الأمن و اللاعدالة و تعثر حياة الناس و صعوبتها. منذ أن ظهرت هذه الأدوات و الوسائل الحديثة في العالم تعرّض البشر لشتى صنوف الضغوط. على مدى خمس و أربعين سنة – أي من بعد الحرب العالمية الثانية إلى سنة ١٩٩٠ ميلادية – التي تسمّى اصطلاحاً بفترة الحرب الباردة، ورد في التقارير الدولية الرسمية أن الأرض لم تخلُ من الحروب إلا ثلاثة أسابيع فقط! طوال كل هذه الأعوام الخمسة و الأربعين كانت الحروب تشتعل هنا و هناك. من الذي أوجد هذه الحروب و أشعلها؟ إنهم الذين يصنعون السلاح. الميزانيات العسكرية للقوى العظمى اليوم من أبهض الميزانيات. وفقاً لإحصائياتهم هم أنفسهم في السنة الميلادية الماضية أنفقت الحكومة الأمريكية أكثر من ستمائة مليار دولار على الشؤون العسكرية! و نحن نشاهد هذه الأموال العسكرية اليوم إلى جوارنا. إنها تنفق في أفغانستان لقمع الشعب الأفغاني المسلم، و تنفق في العراق من أجل السيطرة على الشعب العراقي، و تنفق على الكيان الصهيوني الخبيث من أجل إلهاب الشرق الأوسط بشكل دائمي. هذه هي توجّهات القوى الفاسدة راهناً. الإسلام يحارب هؤلاء و يعارضهم.

مؤشرات الصحوة الإسلامية و الزوال الأكيد للاستكبار و أعداء العدالة و السلام

الذين ينفعهم و يربحهم أن تقتتل الشعوب و الحكومات المسلمة في ما بينها، و يكره بعضها بعضاً، و يخاف بعضها من بعض، و يعتبر بعضها بعضاً تهديداً، هم الذين يرتبط استمرار اقتدارهم الاستكباري و الاستعماري بوجود حروب في العالم. الحرب بالنسبة لهم وسيلة نهب و سلب. تقتل هذه الأعداد الكبيرة من الناس، و تنفق كل هذه الأموال من خزائن الشعوب على التسلح و شراء الأسلحة الغالية الأثمان، لماذا؟ من أجل أن يحصل أصحاب الشركات الكبرى على أموال أكثر، و يتمتعون بحياتهم أكثر. هذا هو النظام الطاغوتي الجاهلي الخطير على البشرية الذين يسود للأسف على حياة الناس البعيدين عن جادة التوحيد.

لا مراء أن هذا المنهج لن يبقى، لأنه بخلاف الحق، و لأنه باطل، و زائل.. «**جاء**

الحق و زهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً».[١] الباطل هو الشيء المعارض للسنن الإلهية في الخلقة. هذا الباطل زائل و آيل للزوال و الاضمحلال، و لا يبقى. و مؤشرات هذا الزوال مما يمكن للمرء أن يشاهده اليوم. حين ينظر المرء للوضع الدولي و العالمي يمكنه مشاهدة علامات و مؤشرات هذا الزوال.

لقد تغيّر وضع العالم، و صحت الشعوب. و لحسن الحظ فإن هذه الصحوة أكبر لدى الشعوب المسلمة. الشعوب و الحكومات المسلمة أخذت تدرك أهمية الإسلام و عظمته و عظمة هذا السند و الدعامة القوية الموثوقة. لقد أدّت الصحوة الإسلامية في العالم الإسلامي راهناً إلى ضمور الاقتدار السابق للقوى الأخرى. الوضع الأمريكي اليوم يختلف عنه في السابق. و القوى التي تأتي في المراتب التالية لأمريكا تعيش نفس الوضع من ضمور و تراجع، و هذا واضح. على الشعوب المسلمة أن تغتنم سبيل التوحيد و تعلم أن وعد الله حق و صدق. سعادة المسلمين اليوم في أن يتحدوا مع بعضهم حول محور الإسلام.

طبعاً العداء و العراقيل موجودة و ستبقى. أين ما كانت صحوة شعر أعداء الإنسانية بمزيد من الخطر، لذلك يمارسون مزيداً من العداء و الخصومة. إننا نعرف جيداً معنى العداوات و الخصومات التي تمارس حالياً ضد الجمهورية الإسلامية، و نعلم أسبابها، فالجمهورية الإسلامية رفعت راية صحوة الشعوب المسلمة بيديها، و لأن الجمهورية الإسلامية تدعو الشعوب و الحكومات إلى الاتحاد و العزة و إلى أن تعرف الشعوب و الحكومات قدر عزتها في ظل الإسلام. هذا هو سبب العداء، و نحن نعرف ذلك. و نعلم أن هذه الخصومات سوف تخفق، كما أخفقت لحد الآن. يعملون ضد الجمهورية الإسلامية منذ ثلاثة و ثلاثين عاماً، و الجمهورية الإسلامية تتجذر و تزداد قوة يوماً بعد يوم بفضل من الله تعالى و على مدى ثلاث و ثلاثين سنة. و سوف يستمر هذا السياق. كلما استمر العداء سيزداد شعبنا و الشعوب الإسلامية و الدعامات الشعبية في العالم الإسلامي وعياً و صحوة، و ستعرف قدر نفسها أكثر.

---

١. سورة الإسراء، الآية ٨١ .

نتمنى أن يعين الله كل الحكومات و الشعوب الإسلامية لتعتمد على نفسها و لا تخاف من القوى المستكبرة، و تعلم أن اقتدار هذه القوى آيل للزوال، و هو اقتدار زائف باطل، و هذا الباطل لا يبقى، و ما يبقى هو ما ينفع البشرية و الناس: «**و أما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض**».[١]

نرجو من الله تعالى ببركة البعثة النبوية أن يقرّبنا جميعاً إلى طريق الإسلام أكثر و سبل الإسلام أكثر، و يزيد قلوبنا معرفة بالأحكام و المعارف الإلهية، و يقرّب قلوب المسلمين من بعضها، و يجعل أيدي الحكومات المسلمة تتعاضد مع بعضها لتستطيع الأمة الإسلامية إن شاء الله أن تستعيد اقتدارها و عزتها و سمعتها المفقودة.[٢]

ولادة نبي الإسلام الكريم (ص) بداية فجر مشرق في حياة البشر. بهذه الولادة ظهرت البشائر الإلهية لأنظار الناس في ذلك الزمان. تهدّمت قمم قصور الملوك الظلمة و انطفأت النيران في معابد النار، و زالت المقدسات الزائفة و الخرافية في مناطق مختلفة من العالم بفضل القدرة الإلهية. كانت هذه الولادة مقدمة للبعثة، و كانت هذه البعثة رحمة لكل العالمين، كما قال عزّ و جلّ: «**و ما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**».[٣] تمتع العالم كله ببركات هذا الوجود المقدس و سوف يبقى يتمتع. تطور البشر، و التقدم العلمي، و حالات الوعي المختلفة، و الاكتشافات العظيمة في عالم الوجود كانت بفضل ظهور نور الإسلام في تلك البرهة العجيبة من التاريخ. و قد وضعت هذه النعمة بين أيدي الناس. لو كان البشر يتمتعون بمزيد من الوعي و بمعرفة أعمق و يعرفون الرسول الأكرم (ص) و الإسلام و رسالته، لكانت صفحة التاريخ الإنساني اليوم صفحة أخرى. جهلنا نحن البشر و قصر نظرنا هو الذي تسبب في تأخرنا. و لا مراء

---

١. سورة الرعد، الآية ١٧ .

٢. من كلمته في لقائه المسؤولين و المدراء في البلاد بمناسبة يوم المبعث النبوي الشريف، بتاريخ ٢٠١٠/٠٧/١٠ م.

٣. سورة الأنبياء، الآية ١٠٧ .

أنه كلما تقدم التاريخ أكثر و كلما ازدادت معرفة البشر و استيعابهم و قدراتهم على الفهم فسوف تزداد هذه الشمس المشرقة تألقاً، و سيزداد الانتفاع من هذه الأنوار الحياتية. و نحن اليوم نشاهد مؤشرات ذلك.

العالم اليوم يضيق ذرعاً تحت الأعباء المفروضة عليه من قبل الحضارة المادية، و هو يبحث له عن سبيل نجاة. ما تلاحظونه اليوم من صحوة إسلامية في بعض البلدان الإسلامية مثل مصر و تونس، مؤشر و دليل على تبرّم البشرية و أنينها. عندما يهيمن الشياطين على حياة الناس- و شياطين الأنس أخطر من شياطين الجن — سوف يتدخّل مستكبرو العالم في حياة الناس الاجتماعية و حياتهم الخاصة و في اقتصادهم و في فهمهم و تصوراتهم، و يجرّونهم نحو طرق الضلال، و تكتسي الحياة أجواء حالكة، و مثل هذه المناخات الثقيلة المعتمة لا تنسجم مع فطرة البشر، و بالتالي فإن الفطرة الإنسانية سوف تستيقظ، و هذا ما يحدث في العالم اليوم. حتى العالم الغربي الواقع أسيراً لعجلات و هيمنة القوى المادية بدأ اليوم يتبرّم و يضجر. لو كنا نحن المسلمين نستطيع عرض الإسلام بصورة صحيحة، و لو كنا نستطيع مطابقة سلوكنا مع الإسلام فثقوا إن العالم سوف يميل نحو الإسلام ميلاً عموماً شاملاً. الضعف و الإشكال فينا، و نحن أول من يخاطبهم القرآن الكريم و رسالة الرسول الأكرم (ص). يجب أن نصلح أنفسنا و نقوّم وضعنا.

آثار الصحوة الإسلامية في الحقبة المعاصرة

لقد صحت الشعوب اليوم بفضل الإسلام، و بوسع المرء مشاهدة هذه الصحوة على مستوى العالم الإسلامي. الأثر الأول لهذه الصحوة هو إبداء الانزعاج من تواجد المستكبرين في هذه المنطقة. الأمريكان يحاولون عبر سياساتهم و إعلامهم الواسع أن ينأوا بأنفسهم عن سهام الحركة الشعبية العظيمة التي تشاهد اليوم في بعض البلدان الإسلامية. لكن هذا غير ممكن. فهذه الحركات هي بالدرجة الأولى ضد هيمنة الاستكبار في هذه المنطقة. الشيء الذي وجّه الإهانات و الإذلال للشعوب هو هيمنة

الاستكبار. و الشيء الذي يحول دون قيام وشائج الأخوّة بين الشعوب المسلمة، و أن لا يفهم بعض المسلمين بعضاً، و لا تتراكم قدراتهم و لا تتعاضد، و لا تتشكل الأمة الإسلامية بالمعنى الحقيقي للكلمة هو دسائس الاستكبار و تدخلاته في هذه المنطقة. هذا ما يجب أن لا يستمر. ينبغي أن تتحرر الشعوب من تدخلات الاستكبار و تتخلص من هيمنته و تسلطه. هذا هو مفتاح حل المشكلات في هذه المنطقة. معضلات الناس و الشعوب و مشكلات الحكومات – الحكومات البعيدة عن شعوبها و جماهيرها – تعود إلى تواجد القوى المستكبرة و تدخلاتها و على رأسها أمريكا. علاج مشكلات هذه المنطقة هو أن تصحو الشعوب على نفسها، و تتحلى الحكومات بالوعي اللازم، و تقصي الشيطان الأكبر عن التدخل و التصرف في مصائرها.

سياسات أمريكا الشرق أوسطية من شأنها أن تعارض الشعوب حكوماتها، و ينفتح بون شاسع بين الشعوب و الحكومات. إذا رافقت الشعوب حكوماتها فلن تقدر أية قوة على الهيمنة على هذه البلدان، و لن تستطيع أية قوة المقاومة بوجه الشعوب. ما يحدث راهناً في بعض البلدان الإسلامية هو تواجد الشعوب في ساحة الكفاح و النضال. حين تحضر الشعوب و تشارك و تسجّل تواجدها الفاعل المؤثر فإن سيوف القوى الكبرى ستعود كليلة. القوى الكبرى لا تستطيع أن تفرض منطق القوة على الشعوب، إنما تسلط أفراداً من أصدقائها و مرتزقتها على الناس، و هم الذين يتولون التعسف و فرض منطق القوة ضد الجماهير. و حين تنزل الشعوب للساحة ستستند الحكومات إلى دعامات و أرصدة قوية تعتمد عليها، هذا إذا كانت مواكبة لشعوبها. هذا هو سبيل علاج المشكلات في المنطقة.

الحكومة الصهيونية المزيفة حالياً أشبه بالغدة السرطانية في المنطقة، و تفرض عليه الآفات و المرض. تنصبّ كل جهود الاستكبار على إبقاء هذه الغدة السرطانية في المنطقة. وجود هذه الغدة السرطانية في هذه المنطقة يسبب الحروب و الاختلافات و

الانقسامات و السياسات الخاطئة في هذه المنطقة. يستخدمون كل طاقاتهم و قدراتهم من الأجل الحفاظ على هذا الكيان و مكانته في المنطقة. هذا هو ما نشاهد اليوم آثاره و نتائجه، ألا و هو ردود أفعال الشعوب. حين تصحو الشعوب فسوف لن تطيق هذا الوضع و لن تصبر عليه.

نعتقد أن بعض التحركات التي تحصل في بلدان إسلامية معينة هي ردود أفعال الشعوب حيال الإهانات الطويلة التي وجّهتها القوى الاستكبارية لها. و قد وجدت اليوم فرصة فنزلت إلى الساحة.

واجبات النخب السياسية و العلمية و الدينية في العالم الإسلامي لاستمرار الصحوة الإسلامية

واجبات علماء الدين و النخب السياسية و العلمية و الجامعية ثقيلة جداً. الجماهير في هذه البلدان تحتاج حالياً إلى هداية هذه النخب و توجيهاتها، سواء النخب السياسية أو النخب العلمية أو النخب الجامعية أو الدينية. ثمة واجبات جسيمة و كبيرة تقع على عواتقهم. يجب أن لا يسمحوا لأجهزة الاستكبار و أدواتها المتنوعة بمصادرة تحركات الشعوب العظيمة، و سرقة نهضات الجماهير. يجب أن يراقبوا و يكونوا على حذر. و يتحتّم عليهم أن يوجّهوا شعوبهم نحو الأهداف السامية التي تعدّ آمالاً و أهدافاً راقية في كل بلد من البلدان. إذا كان هذا كان مستقبل المنطقة مستقبلاً مشرقاً، و كان غد الأمة الإسلامية غداً متألقاً.

نحن المسلمين في العالم مليار و نصف المليار نسمة. و نقطن في أكثر المناطق حساسية من الناحية العسكرية و من حيث المصادر الطبيعية و الجوفية. لكن الآخرين هم الذين يحكموننا، و يعيّنون مصيرنا، و يحدّدون ما ينبغي أن يكون عليه نفطنا. الآخرون هم الذين يتخذون القرارات لحكوماتنا. يجب تغيير هذا الوضع، و سوف يتغير بلا شك. و تلاحظ اليوم علامات و مؤشرات ذلك. هذه هي الصحوة الإسلامية التي جاءت ببركة الإسلام.

هكذا يربّي الإسلام أتباعه: «**و الذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركّعاً سجّداً يبتغون فضلاً من الله و رضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود**».[١] هذه علامات الأمة الإسلامية. هذه هي الروح المعنوية الموجودة فيهم من توكل على الله و توجّه إليه و ذكر و تذكّر له، و خضوع أمامه. هذه هي خصوصية تربية الإنسان المسلم المؤمن. هذا هو الإنسان الذي يربّيه الإسلام: خاضع أمام الله تعالى، و رحيم عطوف مع إخوته في الإيمان، لكنه يقف كالجبل الأشمّ بوجه المستكبرين و الظالمين.. «**و مثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطئه فأزره فاستغلظ فاستوى على سوقه**».[٢] إنها مراحل رشد الأمة الإسلامية.. زرع ينبت و ينمو و يكبر و يترعرع و

---

١. سورة الفتح، الآية ٢٩ .

٢. م س.

يقوى. «**يعجب الزّرّاع**». المزارعون أنفسهم الذين عملوا على إنبات هذا الزرع يندهشون حين يرونه. إنها يد القدرة الإلهية التي تنمّي مثل هؤلاء الأشخاص. «**ليغيظ بهم الكفار**». حين ينظر الأعداء المستكبرون إلى هذا الإنسان المسلم المتربّي في أحضان الإسلام سوف يتملكهم الغضب و الانزعاج طبعاً.

هكذا يجب أن نعمل.. يجب أن نبني أنفسنا. و نطابق أنفسنا مع القرآن الكريم. علينا تنظيم وضعنا و برامجنا مع القرآن الكريم من حيث الأخلاق و السلوك مع الأصدقاء و مع المعارضين و المعاندين و المستكبرين. يعد الله تعالى أمثال هؤلاء الذين يسيرون على هذا الدرب بأن لهم أجراً و ثواباً. و هو أجر مرصود لهم في الدنيا و في الآخرة. لهم في الدنيا العزة و التمتع بالجماليات الإلهية في هذا العالم – التي أعدها الله للناس – و لهم في الآخرة رضوان الله تعالى و جناته.

هذا درب اخترتموه أيها الشعب الإيراني العزيز و سرتم فيه، و سوف تواصلونه بتوفيق من الله. و هو الدرب الذي نشاهد و الحمد لله الشعوب المسلمة اليوم في أنحاء العالم الإسلامي تختاره تدريجياً و تسير فيه الواحد تلو الآخر. قال الله عزّ و جلّ: «**و العاقبة للمتقين**».[1] لو جعلنا هذه التقوى منهج عملنا فلا ريب أن عاقبة الأمر و خاتمته ستكون للأمة الإسلامية، و لن يكون هذا المستقبل ببعيد على أمل الله.

أتمنى أن يوفق الله تعالى كل الشعوب المسلمة و الأمة الإسلامية، خصوصاً النخبة و المؤثرون من هذه الأمة، ليستطيعوا الانتفاع من بركات وجود الرسول الأكرم (ص) و تعاليم القرآن الكريم. و نسأل الله سبحانه أن يشمل برحمته الواسعة إمامنا الخميني الجليل الذي فتح أمامنا هذا الدرب، و يشمل برحمته أيضاً شهداءنا الأبرار الذين ضحّوا بأرواحهم في هذا السبيل.[2]

---

١. سورة القصص، الآية ٨٣ .

٢. من كلمته في لقائه مدراء الجمهورية الإسلامية الإيرانية و سفراء البلدان الإسلامية في يوم ولادة الرسول الأعظم (ص)، بتاريخ ٢٠١١/٠٢/٢١ م.

يوم المبعث.. أهم و أعظم و أكثر أيام السنة بركة

لو كانت عظمة و أهمية الأيام باللطف الذي ينزله الله تعالى في ذلك اليوم على الإنسانية، فلا ريب أن يوم المبعث هو أعظم و أهم كل أيام السنة. ذلك أن نعمة البعثة و إرسال النبي الأعظم (ص) للبشرية أكبر من كل النعم الإلهية على طول التاريخ. من هنا يمكن القول بكل جرأة إن يوم المبعث هو أرقى و أكبر و أعظم أيام السنة بركة و فضلاً. يجب إحياء ذكرى هذا اليوم و تجسيد عظمته في أنظارنا.

يقول الإمام علي بن أبي طالب (عليه الصلاة و السلام): «**أرسله على حين فترة من الرسل و طول هجعة من الأمم**».[١] حدثت البعثة بعد فترة طويلة من عدم وجود أنبياء إلهيين بين البشرية. كان قد مضى نحو ستمائة عام على بعثة النبي عيسى (ع). لم تكن البشرية قد شاهدت بينها سفيراً إلهياً منذ مئات السنين. فما كانت النتيجة؟ «**و الدنيا كاسفة النور ظاهرة الغرور**».[٢] كان العالم مظلماً و المعنويات غائبة و البشر يعيشون الجهل و الضلال و الغرور. في مثل هذه الظروف أرسل الله تعالى رسوله الأمين محمد (ص).

النبي الأكرم (ص) هو العنصر اللائق و الجدير الذي أعدّه الله تعالى لمثل هذه المسيرة الهائلة الممتدة على طول التاريخ البشري. لذلك استطاع طوال ثلاثة و عشرين عاماً إطلاق تيار تقدّم بالتاريخ إلى الأمام لحد اليوم على الرغم من كل الموانع و المشكلات و العقبات. ثلاثة و عشرون عاماً فترة قصيرة، و قد انقضت ثلاث عشرة سنة منها في جهاد و كفاح تشوبه الغربة و المظلومية. بدأ الأمر في مكة أولاً بخمسة أشخاص و عشرة أشخاص و خمسين شخصاً، و استطاع عدد قليل من الأفراد المقاومة تحت ضغوط منهكة مارسها ضدهم أعداء متعصبين جهلاء لا يهتدون. أرسيت دعائم قوية لينهض عليها المجتمع الإسلامي و الحضارة الإسلامية. و بعد ذلك هيّأ الله تعالى ظروفاً استطاع فيها الرسول الأكرم (ص) الهجرة إلى المدينة و إقامة نظام و مجتمع، و تشييد حضارة. لم تتجاوز كل المدة التي أقام فيها الرسول الأكرم (ص) هذا النظام الفتيّ

---

١. الكافي، ج ١ ، ص ٦٠ .

٢. نهج البلاغة، الخطبة رقم ٨٩ .

و أعدّه و تقدم به إلى الأمام، لم تتجاوز العشرة أعوام، و هي فترة قصيرة طبعاً. مثل هذه الأحداث عادة من تضيع وسط طوفانات و أمواج الأحداث العالمية و تزول و يلفّها النسيان. عشرة أعوام مدة قصيرة جداً، لكن الرسول الأكرم (ص) استطاع خلال هذه المدة غرس هذه النبتة و تعهدها و سقايتها و توفير أسباب نموها و رشدها، و إيجاد حركة خلقت حضارة ارتقت في أحقابها المناسبة قمم التحضر الإنساني، و ذلك في القرنين الثالث و الرابع للهجرة. لم تشاهد في أية بقعة من العالم إذ ذاك و على الرغم من سوابق الحضارات و الدول المقتدرة ذات المواريث التاريخية المتنوعة، لم تشاهد أية حضارة في ذلك الحين بعظمة و ازدهار و رونق الحضارة الإسلامية.. هذه هي ميزة الإسلام.

هذا في حين وقعت بعد فترة حياة النبي الأكرم (ص) و مدة الأعوام العشرة لحكومته أحداث متنوعة و مريرة للأمة الإسلامية، و ظهرت بعض العقبات و الاختلافات و النزاعات الداخلية. و رغم كل هذا و مع وجود انحرافات تكوّنت على مرّ الأعوام و شوائب ظهرت و تفاقمت في التيار الإسلامي، استطاعت رسالة الرسول الأكرم (ص) و رسالة البعثة على مدى ثلاثة أو أربعة قرون عرض تلك العظمة التي تدين لها اليوم الدنيا كلها و جميع الحضارات.. هذه تجربة..

العودة للإسلام السبيل الوحيد لإنقاذ البشرية و السير نحو الكمال

لو فكرت البشرية و راعت الإنصاف فستعترف و تصدّق بأن سبيل إنقاذ البشرية و مسيرتها نحو الكمال ممكن بواسطة الإسلام لا سواه. نحن المسلمين لم نشكر النعمة و لم نقدرها حق قدرها. لقد جازينا بجزاء سنمّار، و لم نعرف قدر الإسلام. لم نحافظ على الأركان و الدعائم التي أرساها الرسول الأكرم (ص) لتشييد المجتمعات الإنسانية المميزة المتكاملة. لم نشكر و لم نقدّر، و ها نحن نقطف الثمار المرّة لهذا الجحود. كان و لا يزال بمقدور الإسلام أن يأخذ بأيدي البشرية إلى السعادة و الكمال و الرشد و النمو المادي و المعنوي. أرسى الرسول الأكرم (ص) هذه الدعائم و الركائز — ركائز الإيمان و العقلانية و النضال و العزة — و هي الدعائم الأصلية للمجتمع الإسلامي.

لنقوّ إيماننا في قلوبنا و أعمالنا، و لنستفيد من العقل الإنساني الذي جعله الله تعالى هدية كبرى للبشر، و لنعمل بالجهاد في سبيل الله سواء في ميادين القتال العسكري إذا اقتضت الضرورة، أو في الميادين الأخرى كميدان السياسة و ميدان الاقتصاد و الميادين الأخرى، و لنغتنم مشاعر العزة و الكرامة الإنسانية و الإسلامية في نفوسنا.

حين تنبعث هذه المعاني في مجتمع من المجتمعات فسوف يتابع هذا المجتمع بلا شك المسار الإسلامي و خط النبيّ الكريم (ص). لقد استطاع الشعب الإيراني ببركة رسالة الإسلام و بفضل نداء إمامنا الخميني الكبير تحقيق جانب من هذه المعاني في حياتنا، و ها نحن نشاهد آثارها و ثمارها الطيبة.

لقد استيقظ العالم الإسلامي اليوم و تنبّه. التحركات و التطورات التي تلاحظ اليوم في بعض بلدان شمال أفريقيا و منطقة الشرق الأوسط، هي استفادة و استضاءة من نور الإسلام، و انتفاع من توجيهات و إرشادات رسول الإسلام الأكرم (ص). لذا فإن مستقبل هذه المنطقة و هذه البلدان مستقبل مشرق بتوفيق من الله و حوله و قوته سبحانه.

عدم جدوى مساعي الاستكبار لمواجهة الصحوة الإسلامية

الغربيون يلجّون و يصرّون عبثاً، و يلحّون على مواقفهم الخاطئة دون جدوى. ما يحدث في الوقت الراهن في مصر و تونس و بعض البلدان الأخرى و يلاحظ معناه أن تاريخ هذه المنطقة قد تغيّر، و الصفحة قد انقلبت، و بدأ فصل جديد. المعادلة الخاطئة الظالمة التي أوجدها المستكبرون و المستعمرون الغربيون منذ مائة عام أو مائة و خمسين عاماً في هذه المنطقة، و أرادوا تسويدها على مصير هذه المنطقة العظيمة الحساسة، قد انقلبت و تغيّرت و بدأ فصل جديد.

طبعاً القوى المستكبرة الغربية تبدي اليوم إصراراً و عناداً و تشدداً، و لا يريدون الاستسلام مقابل هذا الواقع الكبير الذي لا سبيل لإنكاره و هو أن شعوب المنطقة قد استيقظت و عادت إلى الإسلام، بيد أن هذه هي الحقيقة. لقد بُثت الروح الإسلامية في البلدان الإسلامية. لقد فعل عملاء أمريكا و الغرب و المرتبطون بهم بهذه الشعوب

ما أشعرها أنها لا سبيل لها أمام هؤلاء إلّا الثورة و التحرك الشامل الهائل و النهضة، لذلك سارت في هذا الدرب و هي تتقدم فيه إلى الأمام. و سوف تؤتي هذه التحركات أكلها و ثمارها دون شك.[١]

تعليم دروس الرسول الأكرم (ص) السبيل إلى إحياء العزة الإسلامية

نحن المسلمين من أجل أن نجد سبيل الهداية يكفينا أن نتعرف على شخصية الرسول الأعظم (ص). عقيدتنا طبعاً هي أن تنتفع البشرية كلها من وجود الرسول الأعظم (ص) و يجب أن تنتفع و هي تنتفع، لكن الأولى بالانتفاع هو نحن الأمة الإسلامية. هذا الوجود العظيم ذو الخُلق العظيم و هذه الشخصية التي ربّاها الله تعالى لأضخم رسالة في تاريخ البشر، و الذي يقول عنه الإمام الصادق (عليه السلام): «**إن الله عزّ و جلّ أدّب نبيه فأحسن تأديبه، فلمّا أكمل له الأدب قال إنّك لعلى خلق عظيم، ثمّ فوّض إليه أمر الدين و العباد ليسوس عباده**»،[٢] ربّى الله سبحانه هذه الشخصية العظيمة و رشّدها و نمّاها و هيّأ في هذا الكيان المطهر المقدس كل مستلزمات مشروع تاريخي عظيم، ثم ألقى على عاتقه هذه الأعباء الثقيلة.. أعباء الرسالة التاريخية. لذا فإن هذا اليوم و هو السابع عشر من ربيع الأول يوم ولادة النبي الكريم (ص) ربما أمكن القول إنه أعظم عيد للإنسانية على مدى التاريخ البشري، حيث أهدى الله تعالى للبشرية و للتاريخ الإنساني مثل هذا الإنسان العظيم، و قد نهض هذا الإنسان العظيم بمقتضيات المشروع الهائل الذي ألقي على عاتقه.

لو ركّزنا نحن المسلمين اليوم على شخصية الرسول الأكرم (ص) و دققنا فيها و استلهمنا منها الدروس، لكفانا ذلك لديننا و دنيانا. النظر لهذا الوجود و التعلم منه و استلهام الدروس منه يكفينا للعودة إلى عزتنا. كان (ص) مظهراً للعلم و الأمانة و الأخلاق و العدالة. ما الذي يحتاجه البشر؟ هذه هي احتياجات البشر. هذه احتياجات لم تتغير على مرّ التاريخ الإنساني. كل هذه التحوّلات و التطورات التي

---

١. من كلمته في لقائه مدراء الدولة في إيران بمناسبة يوم المبعث النبوي الشريف، بتاريخ ٢٠١١/٠٦/٣٠ م.
٢. الكافي، ج ١ ، ص ٢٦٦ .

شهدتها حياة الإنسانية منذ بدايتها و إلى اليوم – حيث شهدت أوضاع الحياة الإنسانية و أحوالها و تنظيماتها الكثير من التغييرات – لم تؤدّ إلى تغيير المطالب و الاحتياجات الأصلية للإنسان. منذ فجر حياته و إلى يوم الناس هذا كان الإنسان ينشد الأمن و الاستقرار، و يرنو إلى العدالة، و يبحث عن الأخلاق و يريدها، و يحتاج إلى أواصر متينة بمصدر الخلقة و الوجود. هذه هي المطاليب الرئيسية للبشرية و النابعة من فطرته.

الرسول الأكرم (صلى الله عليه و آله و سلم) تجسيد لكل هذه المعاني. نحن الأمة الإسلامية بحاجة لكل هذه الخصوصيات و الخصال. الأمة الإسلامية اليوم بحاجة للتقدم العلمي، و إلى الثقة بالله تعالى و الاطمئنان له، و هي بحاجة للعلاقات السليمة و الأخلاق الحسنة في ما بين أبنائها. يجب أن نتعامل في ما بيننا بروح أخوية و بصفح و تسامح و حلم و غضّ للطرف عن الهنّات. و الرسول الأكرم (ص) مظهر كل هذا الصفات و الأحوال بعلمه و حلمه و صفحه و رحمته و تودّده مع الضعفاء و عدله مع كل أبناء المجتمع. لنتعلم الدروس من الرسول الأكرم (ص) فنحن بحاجة لذلك. نحن اليوم بحاجة للثقة بالله عزّ و جلّ و الاعتماد عليه و الاطمئنان لوعوده. لقد وعدنا الله تعالى فقال إذا جاهدتم و سعيتم فإن الله سبحانه يأخذ بأيديكم إلى المقصود و الهدف، و ستحققون أهدافكم في ظل صمودكم و مقاومتكم. ينبغي أن لا نشعر بالضعف و الانهيار أمام الشهوات الدنيوية.. يجب أن لا نشعر بالضعف حيال المال و المناصب و الوساوس النفسية المختلفة، بل نصبر و نقاوم. هذه هي الأمور التي تأخذ البشرية إلى ذروة الكمال، و تورث الأمة العزة، و تحقق للمجتمع السعادة و الرخاء الحقيقيين. نحن بحاجة لهذه الأمور، و مظهرها جميعاً هو رسول الإسلام الأمين(ص).

شخصية الرسول الأكرم (ص) و خصالها

هذه هي حياة النبي الأكرم (ص) في فترة طفولته و شبابه قبل البعثة. كانت أمانته بحيث لقّبته كل قريش و كل العرب الذين عرفوه بالأمين. إنصافه تجاه الناس و نظرته العادلة لهم كانت بحيث عندما أرادوا أن ينصبوا الحجر الأسود في مكانه، و اختلفت قبائل العرب و تنازعت في هذا الشأن، جعلوه حكماً، و الحال أنه كان شاباً. و في هذا

دليل على نظرته المنصفة للجميع، و الكل كانوا يعلمون ذلك. كانوا يعلمونه صادقاً و أميناً. هذا عن فترة شبابه. ثم جاءت فترة البعثة و التضحية و الجهاد و العناء و الصمود. كل الناس في ذلك الحين وقفوا بوجهه و عارضوه و ساروا في الاتجاه المعاكس لمسيرته. كل تلك الضغوط و الصعاب طوال ثلاثة عشر عاماً.. أية أعوام عسيرة كانت، لكن النبي الأكرم (ص) وقف و قاوم فصنعت مقاومته أفراداً مسلمين مقاومين أقوياء لا تؤثر فيهم أية ضغوط. هذه دروس لنا. ثم شكّل مجتمع المدينة، و لم يحكم لأكثر من عشر سنين، لكنه أرسى دعائم صرح ظلّ لقرون من الزمن قمة الإنسانية في العلم و الحضارة و التقدم المعنوي و الأخلاقي و الثروة. هكذا كان المجتمع الذي أسس له الرسول الأعظم (ص) و أرسى دعائمه.

على أن المسلمين أبدوا من بعده حالات خور و تقاعس، و قد فرضنا نحن المسلمين على أنفسنا التخلف بأنفسنا، فلنسر اليوم على خطاه و نتقدم إلى الأمام. الأمة الإسلامية اليوم بحاجة للاتحاد و التراحم و التعارف. بهذه النهضات التي قامت حالياً في العالم الإسلامي و العالم العربي.. هذه الصحوة التي شهدتها الشعوب، و هذا التواجد الذي سجّلته الجماهير في الساحات، و هذه التراجعات المتتابعة لأمريكا و الأجهزة الاستكبارية، و هذا الضعف المتزايد الذي يعيشه الكيان الصهيوني، هذه كلها فرص لنا نحن المسلمين و للأمة الإسلامية. لنعد إلى أنفسنا و نستلهم الدروس، و لا ريب إن شاء الله في أن تستمر هذه المسيرة بهمّة الأمّة الإسلامية و الكبراء و المثقفين و النخبة العلمية و السياسية و الدينية، و سيرى العالم الإسلامي مرة أخرى أيام عزته إن شاء الله.[1]

أبارك للشعب الإيراني الكبير الذي جعل البعثة و الحركة وجهة عمله و مسيرته، و جاهد و ناضل و تحمّل الصعاب من أجل تحقيق الأهداف الكبرى لبعثة خاتم الأنبياء (ص)، و شملته و الحمد لله الوعود الإلهية، حيث وعد الله تعالى الشعوب التي تسير في هذا الدرب بالفتح و التقدم و السعادة، و وعد الله تعالى لا إخلاف فيه. كما نبارك

---

١. من كلمته في ذكرى ولادة نبيّ الإسلام الكريم (ص) بتاريخ ٢٠١٢/٠٢/١٠ م.

هذا العيد الكبير للأمة الإسلامية التي جعلت دين محمد (صلى الله عليه و آله و سلم) وجهتها بعد عشرات الأعوام من التجارب. من بعد أن جرّب المستنيرون و النخبة و روّاد الشعوب المسلمة على مدى سنوات طويلة الكثير من المدارس و المذاهب الشرقية و الغربية و تأكّدوا من إخفاقها و عقمها، أقبلت الأمة الإسلامية اليوم على مضمون البعثة و أهدافها. هذا اليوم يوم مبارك للأمة الإسلامية و نتمنى أن تتمتع البشرية كلها ببركات هذه البعثة.

ما أودّ أن أقوله اليوم هو أن للبعثة أبعاداً و مناحٍ عديدة. أحزمة النور التي شعت من هذا الحدث على البشرية ليست واحدة أو اثنتين، لكن البشرية اليوم بأمسّ الحاجة لتيارين ناجمين عن البعثة: أحدهما إثارة الفكر و التفكير، و الثاني التهذيب الأخلاقي. إذا جرى تأمين هذين التيارين، فسوف يصار إلى تأمين المطاليب و الآمال القديمة للبشر، من قبيل العدالة و السعادة و الرفاه الدنيوي. المشكلة الأساسية تكمن في هذين القسمين.

قال (ص): «**بعثت لأتمّم مكارم الأخلاق**».[1] و قال سبحانه و تعالى في القرآن الكريم: «**هو الذي بعث في الأمّيّين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته و يزكّيهم**». و من بعد التزكية يقول: «**و يعلمهم الكتاب و الحكمة**».[2] هذا هدف رفيع سام، تزكية النفوس و تطهير القلوب و رفع مستوى الأخلاق الإنسانية، و إنقاذ الناس من مزابل الرذائل و الأمراض الأخلاقية و الشهوات النفسية. هذا مقصد و هدف بحدّ ذاته.

و قضية التفكّر أيضاً قضية أساسية و مهمة، و لا تختصّ برسولنا الكريم (ص)، فالأنبياء و الرسل (ع) كلهم بعثوا لإحياء قدرة الإنسان على التعقل و التفكّر. يقول الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في خطبة له في نهج البلاغة: «**ليستأدوهم ميثاق فطرته و يذكّروهم منسيّ نعمته.. و يثيروا لهم دفائن العقول**».[3] بعث الأنبياء

---

١. بحار الأنوار، ج ٦٨ ، ص ٣٨٢ .

٢. سورة الجمعة، الآية ٢ .

٣. نهج البلاغة، الخطبة رقم ١ .

ليظهروا للبشر الكنوز العقلية المدفونة في داخلهم و يستخرجوها لهم. نحن البشر لدينا مواهب عظيمة من التفكير مودعة في داخلنا. حين لا نفكر و لا نقرأ و لا نتدبّر في الآيات الإلهية، و لا نتأمّل في تاريخنا و في ماضينا و في مختلف القضايا التي تحدث للبشر، و في مشكلات الأمس، و في عوامل الانتصارات الكبرى التي حققتها الشعوب، سنبقى محرومين من ذلك الكنز المعنوي الذي أودعه الله تعالى في داخلنا.. «**و يذكّروهم منسيّ نعمته... و يثيروا لهم دفائن العقول**». البشرية اليوم بحاجة لهذين الأمرين.[1]

١. من كلمته في لقائه مسؤولي الدولة و البلاد و سفراء البلدان الإسلامية بتاريخ ٢٠١٢/٠٦/١٨ م.